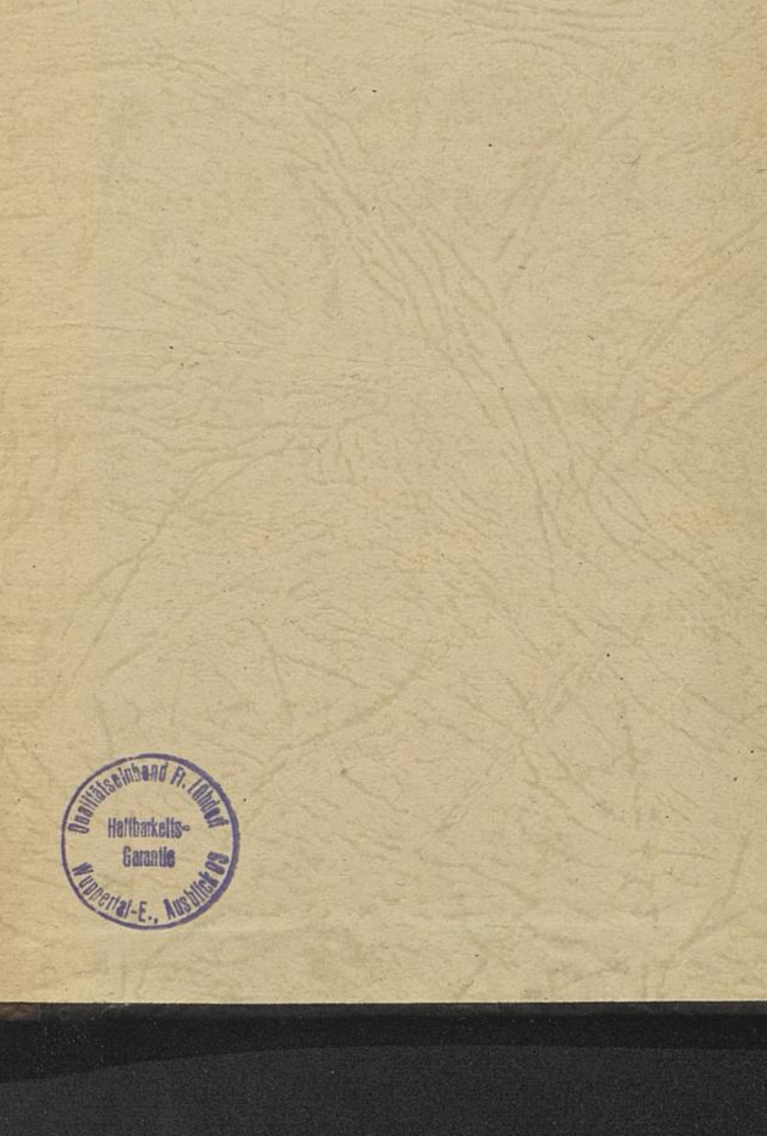



Qualitätseinband Fr.
Haftbarkeits-
Garantie
Wuppertal-E., Ausblick 63



مبارك شعبي مصر اش ١٩ : ٢٥



مبنيين على اساس الرسل والانبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية اف ٢ : ٢٠

لماذا يترك الاقباط كنيستهم

فى ذلك اليوم يكون للرب مذبح فى وسط ارض مصر . . . فيعرف الرب في مصر ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للرب نذراً ويوفون به اش ١٩ : ١٩ — ٢١

وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى وابواب الجحيم لن تقوى عليها مت ١٦ : ١٨

ولكن ان كنت ابطىء فلكي تعلم كيف يجب ان تتصرف فى بيت الله الذى هو كنيسة الله الحى عمود الحق وقاعدته ١ تى ٣ : ١٥

واما انت فاثبت على ما تعلمت وايقنت عارفاً ممن تعلمت ٢ تى ٣ : ١٤

فانه لا يستطيع احد ان يضع اساساً آخر غير الذى وضع الذي هو يسوع المسيح ١ كو ٣ : ١١

تأليف

باسيليوس بطرس المحامى بقنا

١٦٤٠ ق — ١٩٢٤ م



مطبعة الشمس



تمسك بصورة الكلام الصحيح الذي سمعته مني ٢ تى ١ : ١٣

غبطة سيدنا البابا كيرلس الخامس بطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي أنار بصائر المؤمنين بنور الحق اليقين وأنعم عليهم بنعمة الايمان المبني على قوة الحجة والبرهان وأسس كنيسته على الرأي المستقيم المستمد من محكم الانجيل وآي الكتاب الحكيم

وبعد فهذه أول مرة في حياتي اكتب فيها عن مواضيع دينية أو لها مساس بالدين ولا بد من أن البعض يستغرب ان محامياً مهنته الاشتغال بالقانون والقضايا يكتب ويباحث ويناضل في الامور الدينية كأنه أحد رجال الدين والامر بسيط فمهنة المحاماة الدفاع عن الحق ولا اسمى من الدفاع عن الحقائق الالهية السماوية وهذا الدفاع من حسن الحظ ليس محصوراً في فئة دون فئة بل هو جائز وواجب على كل مؤمن بكل ما استطاع اليه سبيلاً بلسانه وقلمه وفكره ونفوذه وقدرته وماله وحياته

ولدت في الكنيسة القبطية ولكنني تربيت صغيراً في حضن الكنيسة الانجيلية المشيخية ومدارسها وقضيت سنة في مدرسة الاميركان بأسيوط فنشأت ميالاً الى المبادىء البروتستانتية وكنت من اكبر الغيورين عليها والمدافعين عنها وطالما دفعتني غيرتي الى مجادلة بعض

رجال الاكليروس وتسفيه رأيهم وراي كنيستي القبطية ولكن لم ألبث طويلاً حتى عرفت عن كنيستي ما لم اكن اعرفه من قبل ورأيت أنه ليس من العدل والصواب في شيء أن أهجر كنيستي قبل التروي والتريث والبحث والتدقيق والتعمق في الوقوف على عقائدها والبراهين التي ترتكن عليها ومقارنتها بالادلة والبراهين التي تستند عليها الكنائس الاخرى فواليت الدرس والتنقيب وكانت نتيجة ابحاثي انني لم أجد مذهباً كالمذهب الارثوذكسى مذهب الكنيسة القبطيـة في اعتداله وسمو تعاليمه وانطباقه على الانجيل وأن السبب في اخفاء بهاء نور الكنيسة القبطية هو الجهل الذى كان مخيماً حولها ولا لوم على أحد في ذلك الجهل لانه كان نتيجـة لازمة لعصور واجيال قاست فيها الكنيسة من الشدائد والاهوال ما لم تقاسه كنيسة أخرى وانما اللوم كل اللوم على الارساليات الاجنبية التي بمجرد أن اشتمت من الاقباط رائحة الميل للاصلاح الطائفي في عصر الاسرة المحمدية العلوية أخذت ترد الى هذا القطر زرافات ووحدانا لتختطف الاقبـاط في فرصة الغفلة وتم لهـذه الارساليات ما تمنت فأبعدت الكثيرين من الاقباط عن حظيرة كنيستهم وصيرتهم أعداء الداء لها « وأعداء الانسان أهل بيته » وتوالت الضربات على الكنيسة القبطيـة من الخارج والداخل ولولا العناية الالهية التي حافظت على هذه الكنيسة فى العصور الخالية ولا تزال ترمقها بعينها التي لا تغفل ولا تنام ولولا

يقظة بعض أبناء الكنيسة وغيرتهم لاصبحت الكنيسة القبطية أثراً بعد عين

ومع ما بلغته الطائفة القبطية من التقدم فى المعرفة الدينية فان هذه الارساليات لا تزال دائبة في عملها وفى كل يوم تخترع سلاحاً جديداً تصوبه نحو الكنيسة القبطية. والقساوسة والمبشرون الاجانب والوطنيون تراهم يجولون فى طول البلاد وعرضها لاهم لهم الا السعي في قطع أوصال الكنيسة القبطية وابعاد بنيها عنها وتشكيك أذهان الباقين. لذلك رأيت بصفتي فرداً من أبناء الكنيسة ان أطرق موضوع ترك الاقباط لكنيستهم وأحلل العلل والاسباب التي ينتحلها أولئك الخارجون عنها وارد على هذه الاسباب وأبين الطرق الواجبة لصد تيار هدم الكنيسة مستعيناً بكتب وآراء من سبقني من أهل الفضل والغيرة الدينية من أبناء الطائفـة وسواهم وأخص بالذكر كتاب اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس الكنيسة تأليف العالم الفاضل القمص يوحنا سلامه الذي يجب أن يكون فى مكتبة كل قبطي

ولا أنسى المساعدات المعتبرة والارشادات الثمينة التي أبداها لي حضرة صاحب النيافة الانبا لوكاس مطران قنـا وحضرتا القمص شنوده بقطر والقمص يسى جورجيوس راعي كنيسة قنا القبطية أثناء وضع هذا الكتاب

ولا أقصد بكتابي هذا فتح باب للمجادلات المذهبية التي لا أرى

فائدة فيها على الاطلاق ولا الطعن على كنيسة من الكنائس وانما
قصدي الوحيد الدفاع عن معتقدات الكنيسة القبطية وصد الهجمات
الموجهة اليها وأن اضع امام نظر أبناء الطائفة صورة مصغرة لجمال
كنيستهم وأبين اليهم بمرأى العين انه ان كان يحق لكنيسة أن تلقب
بلقب كنيسة انجيلية فهي الكنيسة القبطية بلا مراء وان كل محاولة
في ملاشاة هذه الكنيسة المؤسسة على الصخر ذاهبة عبثاً فالكنيسة
القبطية التي عاشت من بدء التاريخ المسيحي الى الآن ستبقى وتدوم
الى نهاية الدهر كنيسة مصر بل كنيسة قارة افريقيا جميعها والاقباط
الذين أظهروا من غبطة بطريركهم الى أصغر صغير منهم منتهى التسامح
واحتملوا الضربات والاهانات الموجهة اليهم من المنابر والمجالس
العمومية والخصوصية والكتب والمجلات بمناسبة وبغير مناسبة فى أعز
شيء لديهم وهو معتقدهم القويم لا يمكنهم ان يحتملوا الضيم طويلا
ويسمحوا ان يروا بأعينهم التهجم علي كنيستهم واحتقارها
واختطاف ابنائها ويقفوا مكتوفي الايدي وانه وان جاز في الزمن
السابق التمويه على عقول البسطاء والدخول بينهم بحجة « تبشيرهم
باسم الرب » فلا يجوز ذلك الآن وقد انفتحت عيونهم وعرفوا انهم
أصحاب أعرق كنيسة فى الانجيل وأدرك الصغير قبل الكبير انه لا
يوجد شيء فى العالم أسخف من فكرة تضييع المال والوقت فى تحويل
القبطي « من مسيحي أرثوذكسي » الى مسيحي بروتستانتي أو

كاثوليكى » بينما اكثر من نصف المعمور لا يزالون يعبدون الاوثان ولا يعرفون اسم الله

ولي ملء الثقة أن يقرأ اخوتي الاقباط كتابي هـذا بامعان فيثبتون في كنيستهم ويقومون بالواجب نحوها والمحاماة عنها وعمل ما يؤول لرفع شأنها — أما الذين خرجوا من الكنيسة فان لم يقبلوا الرجوع الى احضانها بعـد أن حصحص لهم الحق وبان وظهر لهم رجحان كفة تعليمها على تعليم سواها فعلى الاقل يجب أن ينظروا الى هذه الكنيسة بعين الاحترام ككنيسة مسيحية راسها المسيح وأن من يضطهدها يضطهد المسيح نفسه وأن يفهموا أن الاختلاف بين المعتقدات هو نتيجة خلاف فى التفسير لا ينبني عليه استعمال سلاح التشهير والتعيير والتهكم وجرح الاحساسات

أما المرسلون والمبشرون فامامهم شعوب وأمم أحق من الاقباط بالتبشير وان أرادوا خدمة الاقبـاط فمرحبا ولكن لا من طريق هدم كنيستهم

هدانا الله جميعاً الى سواء السبيل ووفقنا لما فيه مجد اسمه الجليل

مجد الكنيسة القبطية

حاز المصريون الاقدمون قصب السبق فى كل علم وفن فلم تجارهم أمة في الفلك والهندسة والبنـاء والنقش والطب والجراحة والكيمياء والزراعة والصناعة والفنون الحربية وشهرتهم في العلوم الدينية لم تكن أقل شأناً عن شهرتهم في تلك العلوم فقد كانت مدارسهم اللاهوتية ومعابدهم مهبط الحكمه والعرفان فيها وقد وصل بعضهم الى كشف سر وحدانية الله وقيامة الاموات والثواب والعقاب في الآخرة وبلغ بهم الامر أن صنعوا ما كان يعـد في زمنهم من الخوارق والمعجزات واذا راجعنا تاريخ الديانة اليهودية نجد انه مرتبط بعض الارتباط بتاريخ الامة المصرية فقد زار أرض مصر ابرهيم ويعقوب واستوطنها بنو اسرائيل نحو ٢٥٠ سنة[١] وسط الشعب المصرى المتعبد ولم يبعث موسى بالرسالة الى بني اسرائيل الا بعـد أن تربى على يد الكهنة « وتهذب بحكمة المصريين » حتى زعم بعض المتطرفين أن معظم الشرائع والطقوس اليهودية ورسم الهيكل وقدس الاقداس نقلها موسى عن مصر : وفي جبال سينا التابعة لارض مصر ظهر الله لموسى وأعطاه الشريعة الموسوية ومع أن الله غضب على المصريين بسبب سوء معاملتهم لليهود الا أنه لم يحقد عليهم الى الابد بل أعلن الرضى الالهى عنهم

(١) اذا ضم الى هذه المدة الزمن الذي خرج فيـه ابرهيم من وطنه تكون ٤٣٠ سنة

وهتف الوحي « مبارك شعبي مصر » « في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط ارض مصر . فيعرف الرب في مصر ويعرف المصريون الرب في ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمه » اش ص ١٩ — ٢١ وتأييداً لذلك الرضى ومصداقاً لتلك النبوة شرف السيد المسيح أرض مصر بقدمه السعيد اليها هرباً من هيرودس ولم تطأ قدماه الطاهرتان أرضاً غريبة خلافها « من مصر دعوت ابني » وبعد صعوده الى السماء لم ينس مصر بل بعث اليها مرقص الانجيلي أحد رسله وصاحب الانجيل المسمى باسمه فأسس أول كنيسة مسيحية فيها ولم يمض زمن طويل حتى عمت الديانة المسيحية كل أرض مصر وأصبح في كل مدينة وقرية مذبح للرب وامتد نفوذها الى بلاد النوبة والسودان والحبشة والواحات وبعض بلاد الغرب ولم تكن الكنيسة القبطية علماً يهتدى به في قارة افريقيا فقط بل امتد نورها الى قارتي أسيا وأوربا فكانت مدرسة الاسكندرية اللاهوتية نبراسا تستضيء به كل الشعوب وكان رجال الدين القبطي يشار اليهم بالبنان فى كل مكان فهم الذين كانوا يرأسون المجامع المسكونية في أغلب الاوقات وهم أول من ناضل عن الايمان بقوة الحجة والبرهان وحارب أهل البدع ولقب اثناسيوس أحد بطاركتهم بلقب الرسولي لمدافعته فى عهد قسطنطين عن قانون الايمان الذى تمسكت به كل الكنائس المسيحية وبطريرك الاسكندرية هو أول من نعت بلقب بابا . ولكن الدهر بالناس قلب

فقد حل بالاقبــاط من المصائب والويلات والاضطهادات ما تشيب لهوله الولدان ورغم ذلك استمرت الكنيسة القبطية تناضل عن الانجيل مناضلة الابطال حتى أوصلت لنا الايمان سالماً من كل شائبة ولكن من الاسف انه بمجرد أن نال بعض الاقباط الحرية فى عصر الاسرة المحمدية العلوية كان أول جزاء منهم لكنيستهم شق عصا الطاعة والخروج عليها وعز عليهم أن تكون لهم كنيسة مجيدة مستقلة تغبطهم عليها باقي الامم فأبوا الا ان ينبذوا الاستقلال الديني الذى تمتعوا به نحو عشرين قرناً وعمدوا الى التعلق باذيال الاجانب وعوضاً عن أن يكونوا قادة للشعوب فى الدين الامر الذى لا تزال آثاره باقيــة للآن في السودان والحبشة أبوا الا ان يكونوا تابعين لمختلف الطوائف والارساليات جاعلين الاجنبي بمثابة الرأس منهم وهم بمثابة الذنب وقبلت نفوسهم الصغيرة ان يعدوا كوثني الهند والصين وزنوج افريقيا الذين يرسل لهم المرسلون الاجانب لتبشيرهم باسم الرب كأنهم لا يعرفون الرب وكأنهم بلا كنيسة

ولما كان هذا لا يتفق مع الكرامة ولا الواجب الديني وانه اذا دامت الحال على هذا المنوال سيأتي يوم يتقلص فيـه نفوذ الكنيسة ويتفرق الاقباط شذر مذر وجب على كل قبطي خصوصاً فى هذا الزمن الذى بدأت فيه النهضة الوطنية ان يفكر ويعمل بكل ما أوتي من قوة فى صد هذا التيار مدفوعاً بالعوامل الآتية

العوامل التي تدفع القبطي للتمسك بكنيسته
والمدافعة عنها

اولاً — ان القبطي مدين للكنيسة القبطيـة بالايمان فلا يصح أن يقابل هذا الاحسان بالجحود والنكران

ثانياً — ان القبطي قد اعطى عهداً على نفسه وقت المعمودية امام الله وامام الناس ان يسير بمقتضى تعاليم الكنيسة فلا يصح ان ينكث هذا العهد المقدس

ثالثاً — ان القبطي بصفته ابناً للكنيسة التي ولد فيهـا ورضع لبانها وجب عليه ان يقوم بواجب البنوة نحو تلك الام الحنون ومن واجبات البنوة الطاعة لها وبذل كل مرتخص وغال فى صد هجمات من يحاول انتهاك حرمتها مقتفياً آثار آبائه واجداده الذين قدموا نفوسهم وحياتهم ضحيـة فى خدمة الكنيسة — واذا كان المرسل الاجنبي يأتي من تلك البلاد السحيقة خصيصاً لهدم كنيستنا افلا يليق بنـا على الاقل ان نواجه فى عقر دارنا ذلك الاجنبي ونوقفه عند حده ؟

رابعاً — ان الكنيسة القبطية اسسها احد رسل المسيح وتعاليمها مستمدة من الكتاب المقدس وتعاليم الرسل وقد حافظت على تلك التعاليم بغير تغيير ولا تبديل مع ما مر عليها من الاحقاب والاجيال

فيجب على كل قبطي مؤمن يهمه اعلاء منار الحق ان يهتم ليس فقط في التمسك بعقائد تلك الكنيسة والمدافعة عنها بل عليه ان يسعى في نشر الدعوة والتبشير بتلك التعاليم المبنية على الرأي المستقيم

خامساً — ان الكنيسة القبطية رابطة قوية يتوقف عليها وحدة الطائفة وبالالتفاف حولها تزول المجادلات السخيفة الغبية والانقسامات والتحزبات والتعصبات المذهبيـة التي هي آفة الشرق وتمحى آثار التربية الاجنبية للارساليات المختلفة التي تعمل في تفريق ابناء الطائفة ويكون الاقباط كتلة واحدة كالبنيان المرصوص بفكر واحد وايمان واحد يعملون بالاخلاص مع باقي مواطنيهم في خدمة الوطن العزيز

سادساً — ان الطعن على تعاليم الكنيسة القبطية فضلاً عن انه كان سبباً في اخراج بعض الاقباط من حظيرة كنيستهم بغير حق فأنه أضعف هيبة الكنيسة وأوجد الشكوك والعثرات لدى الكثيرين من أبناء الكنيسة الباقين فقلل من أيمانهم وابعدهم عن عبادة الله وصير بعضهم بلا دين والويل كما قال السيد المسيح لمن تأتي بسببه الشكوك والعثرات

سابعاً — ان ترك الاقباط لكنيستهم يحرمها من كثيرين من أبنائها البررة الاتقياء الذين لو بقوا في الكنيسة لاستفادت من فضائلهم ومواهبهم وعطاياهم وكانوا من اكبر رسل الاصلاح فيها العاملين في نهضتها — نعم ان بعض الذين خرجوا من الكنيسة لا يزالون

يعطفون عليها بعض العطف ويساعدون طائفتهم بعض المساعدات المادية ولكن هذا العطف وهذه المساعدات الضئيلة لا تغني عن وجودهم فيها ولا تذكر بجانب مجهوداتهم المتجهة لخدمة تلك الكنائس الغريبة التي تسعى في خراب الكنيسة القبطية بل أن الكثيرين من الذين يهجرون كنيستهم تنقاب غيرتهم الدينية على المذهب الجديد الى غل وحقد وكره لطائفتهم وكنيستهم فيتهكمون باحتقار وازدراء على تعاليمها القديمة ويحاربونها بكل وسيلة ويعاكسون حتى في اعمال البر والخير التي تجوز على كل الناس وقد يتخيل الواحد منهم أنه يؤدي بذلك خدمة مرضية لله ولا يشعران بعمله هذا يبرهن على انه ابليس عدو الخير بعينه ولكن في ثوب الانجيل

ثامناً — ان مذهب الكنيسة القبطية هو غالباً المذهب الارثوذكسي الذى يدين به نحو مأتي مليون من البشر فى كافة انحاء المعمور ويتبعه قياصرة وملوك ولم يفعل المرسلون في مملكة من تلك الممالك او طائفة من تلك الطوائف فعلهم في الاقباط وبعض الطوائف المغلوبة على امرها والا فاروني الآن طائفة في مصر من سائر الطوائف المختلفة امكن للمرسلين ان يبثوا الدعوة فيها خلاف الاقباط وهل يقبل الاقباط ان يكونوا اكثر الناس قابلية للاستهواء والتأثير وأن يكون الاحباش التابعون لهم ديناً اقوى منهم تمسكا بالكنيسة واعلا كعباً فى الدين

تاسعاً — أن الكثيرين من وطنيين واجانب بما فيهم مرسلون غير متحيزين يتعجبون من تلك المحاولات والمجهودات العقيمة في تحويل

الاقباط من مسيحيين الى مسيحيين ويسخرون بالاقباط لتركهم كنيستهم المجيدة وتنقلهم من مذهب لمذهب والحق يقال ان الاقباط الذين اشتهروا في الزمن السابق بالرزانة والثبات على العقيدة والمبدأ أظهروا في الايام الاخيرة ضعفاً وخفة زائدة واصبح في امكان كل صاحب مذهب جديد ما دام لابساً قبعة ان يبث تعاليمه فيهم ويجد اقبالا منهم ولو كان صاحب المذهب ذا جنة او به مس في عقله

عاشراً — انه لا يليق بكرامة الاقباط وهم اصحاب اقدم وامجد كنيسة فى الشرق ان يشبهوا بمتوحشي افريقيا وعبدة الاصنام والاوثان فتبعث لهم الارساليات لتبشيرهم باسم الرب وبالعكس لو انصف الاقباط لبعثوا ارساليات قبطية لبلاد تلك الارساليات ضد الكفر والالحاد والرقص والخلاعة والفساد والميسر والمطامع الاشعبية والحروب والبدع والمبارزة والاضاليل التي لا حد لها

ولنبحث الان فى الاسباب التى ينتحلها الاقباط لتبرير خروجهم عن الكنيسة

الاسباب التي ينتحلها الاقباط لتبرير خروجهم عن الكنيسة

تنقسم هذه الاسباب الى قسمين

(١) قسم يتعلق بعقائد الكنيسة

(٢) وقسم لا علاقة له بالعقائد بل هو مبني على أوجه خارجية لا مساس لها بالدين والعقيدة مطلقاً

وأصحاب القسم الاول وان بنوا علة تركهم للكنيسة على الخلاف فى صحة المعتقدات الا أن تسعة وتسعين فى الماية منهم يتركون كنيستهم وهم يجهلون عقائدها ويجهلون بالمرة الادلة النقلية والعقلية التى ترتكن عليها تلك الكنيسة فيجازفون بأثمن قنية لديهم وهي ايمانهم القويم منقادين انقياداً أعمى تحت تأثير المعلمين الغرباء بغير وزن ولا فحص ولا تلبث ان تتأصل فيهم تلك التعاليم بحكم العادة ويصير من الصعب اقلاعهم عنها ولو كانوا منصفين ويقدرون الواجب نحو الله ونحو كنيستهم ونحو أنفسهم لما تسرعوا في هجر كنيستهم واعتناق مذهب آخر قبل البحث والاستقصاء مقدماً من كتب الكنيسة ومعلميها حتى اذا لم يقتنعوا بصحة تلك التعاليم يكون لهم بعض العذر اذا تركوا الكنيسة

ومن الغريب أن كثيرين من هؤلاء المنقادين اذا حللت اعتقادهم تجده أرثوذكسياً محضاً فى أغلب العقائد والطقوس رغم تركهم المذهب الارثوذكسى ظانين انه هو اعتقاد الكنيسة الجديدة التي انضموا اليها مع أن الامر بالعكس ولا يصدقون انه اعتقاد كنيستهم الاصلية التى هجروها فتأمل

والذين يتركون كنيستهم بسبب الخلاف فى صحة المعتقدات فريقان فريق ينضم للمذهب الكاثوليكى وفريق ينضم للمذهب البروتستنتى فالفريق الاول وهو القبطى الكاثوليكى تبث الدعوة

بينه الارساليات الباباوية من فرنساوية وايطالية ونمساوية كالفرير والجزويت والافريكان واليسوعيين والفرنسسكان الخ وهذا الفريق هو غالباً من طبقة راقية متنورة فى العلوم العصرية تتغلب فيه آداب الامم اللاتينية واكليروسه متضلع في العلوم اللاهوتية ولكن المعلومات الدينية لدى أفراد ذلك الشعب قليلة ضئيلة وجل اهتمامه متجه نحو القديسين وقل من يترك كنيسته القبطية من رجال هذا الفريق لسبب من اسباب الخلاف الرئيسية بين عقائد الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة القبطية وانما اكبر سبب للترك لديه هو سلطة البابا واعتقاده أنه خليفة المسيح على الارض وان بيده مفاتيح ملكوت السموات

وهذا الفريق مع ارتباطه بالارساليات الاجنبية محافظ على قبطيته فلا يستنكف من الانتساب اليها والتسمية بها فيصلي باللغة القبطية ويستعمل التاريخ القبطي وقد انشأ لنفسه بطريركية قبطية كاثوليكية تحت رأية البابا واول بطريرك لهم هو المرحوم الانبا كيرلس مقار الذي حاول ان ينتحل القاب بطريرك الاقباط ولكن لم يفلح ومما يسر ذكره ان ذلك البطريرك اقتنع فى آخر ايامه بصحة المذهب الارثوذكسي والف كتاباً نفيساً بالفرنسية سماه (الوضع الالهي ضد سلطة البابا) والامر الواجب التنبيه عليه هو ان الارساليات الامريكية فشلت تماماً في ابعاد القبطي الكاثوليكي عن كثلكته في مصر

واذا زعم البابا انه استمد الخلافة الدينيــة من بطرس فمن استمد الخلافة الزمنية ؟

(الزعم بعصمة البابا عن الخطأ)

علمنا الكتاب ان لا صالح الا الله وان جميع البشر زاغوا وفسدوا واعوزهم مجد الله وكلهم معرضون للخطأ الا الانبياء ورجال الله الملهمين اثناء تبليغهم الرسالة وقد رسم الله نظام كنيسته وأسسها وثبتها عن أيدي رسل وتلاميذ وقديسين خصهم بنعمة الوحي كتابة وشفوياً وأيدهم بالقوات والمعجزات ولم يتركوا شيئاً ناقصاً في الكنيسة يحتاج الى وحي والهام

ومع أن بطرس الرسول وباقي الرسل خصوا بنعمة الوحي ولكن لم ينفرد واحد منهم لوضع تعليم عام وأنما كان الكل يجتمعون معاً ويصلون ويصومون وما كانت تراه الجماعة بارشاد الروح القدس يقرر وينشر على جميع الكنائس حتى أن بولس الرسول كما يفهم من رسالته الى أهل غلاطية ذهب خصيصاً الى اورشليم وعرض تعليمه على باقي الرسل مع أنه تلقى الرسالة عن المسيح نفسه فكم بالاولى لا يصح أن ينفرد رئيس ديني بوضع تعاليم بمثابة وحي منزل في الزمن الذى مضى فيه زمان الوحي وانقضى

نعم أن المسيح لا يزال مشرفاً على كنيسته وروحه القدوس لايزال مرشداً لها ولكن مأمورية خدامه قاصرة على العمل بموجب

التعاليم المسلمة بالوحي وتنفيذها باعتبار أنهم وكلاء امناء على الشريعة المعطاة ومهما كانت أوامرهم جديرة بالاعتبار والاحترام فانها لا تكون في منزلة الوحي وكم بالاولى ان خالفت روح الوحي

ألم تحرق جاندرك باعتبار أنها ساحرة بناء على حكم صدر من أساقفة باباويين باسم البابا وألم يحكم رجال الدين الكاثوليكي حكماً باسم البابا على من قال أن الارض دائرة وألم تصدر أحكام ديوان التفتيش وهو محكمة باباوية بالقتل والتعذيب على من خالفهم فى العقيدة البابابوية فهل هذه الاحكام معصومة من الخطأ وهل بيع الغفرانات الذى سنتكلم عنه فيما بعد وكان سبباً فى قيام لوثر وخروج الملايين من الكنيسة الباباوية هو تعليم معصوم ؟

(صكوك الغفرانات للاحياء والاموات)

علمنا الكتاب أن الذي يغفر الخطايا هو الله وحده والكاهن يقبل توبة الخاطىء واعترافه ويصلى لاجله باعتبار أنه وكيل سرائر الله ويطلب له المغفرة ويحله من الخطية بما له من سلطان الحل والربط والغافر والحال فى الواقع هو الله وما الخادم الا آلة يتم السر على يديه ولا يمكن أن انساناً يشارك الله في سلطته وكم بالاولى اذا كان الغفران يمنح لمدد سابقة ومدد آتية نظير تلاوة صلوات معينة أو دفع مبلغ من المال مع أن الغفران مجاني بدم المسيح لايباع ولا

يشرى كما يشرى المتاع وهو أي الغفران لايحصل الا بعد التوبة والبكاء والندامة

وان جارينا الكاثوليك بالنسبة لصكوك الغفران المعطاة للاحياء باعتبار انهم تحت سلطة البابا فبأي سلطان يعطي البابا صكوك الغفران للموتى وقد خرجوا عن دائرة سلطته وأصبحوا وجهاً لوجه مع خالقهم وهل هذا الصك يقيد سلطة الله عز وجل ؟

نعم ان الكنيسة القبطية تجيز الصلاة على أرواح المؤمنين الذين ماتوا على رجاء ولم يرتكبوا خطايا مميتة وتطلب الغفران عن هفواتهم باعتبار أن يوم الدينونة للآن لم يقع والحكم النهائى للآن لم يصدر الا أن الكنيسة لا تجزم باستجابة هذه الصلاة ولا تحتم على الله قبولها ومثل هذه الصلاة كمثل الصلاة على الاحياء ان شاء الله استجاب وان شاء لم يستجب وهو الفعال لما يريد

(الرد بالنسبة للمذهب البروتستانتى)

أهم سلاح يطعن به البروتستانتى الكنيسة القبطية وعقائدها وطقوسها هو ادعاؤه أن الدستور الوحيد للمسيحيين هو الكتاب المقدس وأن معظم عقائد الكنيسة القبطية ليست واردة فى الكتاب وحينئذ تكون هذه العقائد باطلة وواجبة الرفض. ومع أن كل تعاليم الكنيسة القبطية تستند على الكتاب المقدس كما سنبينه فى موضعه فلا يمكن أن نترك دعوى البروتستانتى بأن الدستور الوحيد للكنيسة

هو الكتاب المقدس ونمر بغير أن نزنها بالميزان الصحيح وكذلك يجب أن نبحث في أيهما الواجب التعويل عليه فى التعليم وتفسير الكتاب المقدس هل أقوال آباء الكنيسة الأول المجمع عليها من جميع الكنائس الرسولية أو تفسير لوثر وأتباعه؟ وهذان الموضوعان العامان يجب البت فيهما قبل أية مناقشة أو الدخول فى تفصيلات كل عقيدة وبدون الوصول الى نتيجة حاسمة فيهما يكون كل بحث آخر مبتوراً

(الكتاب المقدس والتقليد)

المراد بالكتاب المقدس هو العهد القديم والعهد الجديد ولا خلاف بين الكنيسة القبطية والبروتستانت في صحة هذا الكتاب وعدد أسفاره الافيما يختص ببعض أسفار من أسفار العهد القديم وهي سفر طوبيا وسفرا المكابيين الأول والثاني وسفر يهوديت وحكمة يشوع بن سيراخ وحكمة سليمان وسفر باروخ وتكملة سفر دانيال وتكملة سفر استير. فان الكنيسة القبطية وباقى الكنائس الرسولية تعتبرها من الاسفار القانونية والكنيسة البروتستانتية تحترمها ولكن لا تعتبرها أسفاراً قانونية

والمراد بالتقليد هو التعليم غير المكتوب المسلم من الرسل وآباء الكنيسة الأول الملهمين ويشترط لصحة التقليد أن يكون

(١) قديماً (٢) مجمعاً عليه من جميع الكنائس الرسولية (٣) موافقاً للكتاب المقدس والخلاف بين الكنيسة القبطية والكنيسة البروتستانتية هو أن الاولى تعتبر التقليد والثانية لاتعتبره وتتهكم على الكنيسة القبطية وباقى الكنائس الرسولية بسببه

ولمعرفة أي المذهبين أصح يجب أن نتساءل

هل من الضروري لصحة الوحي أن يكون مكتوباً؟

وهل أعطى المسيح رسله كتاباً مكتوباً يعلمون الناس بمقتضاه وايهماأسبق انتشاراً؟هل الديانةالمسيحيةأو كتابالعهد الجديد ـ ومتى وضع هذا الكتاب ؟ — وهل كتب كله فى زمن واحد أو في أزمنة مختلفة ومتى جمع ؟ — وهل فى الفترة بين سفر وسفر لحين انتهاء الكتاب يعتبر دستور الكنيسة كاملاً ومستوفياً أو ناقصاً ؟ — وهل الاناجيل والرسائل وضعت في الاصل لاشخاص وكنائس معينة أو لكل الكنائس ؟ وهل كل التعاليم التى القاها المسيح ورسله والآيات التى صنعوها ذكرت في أسفار العهد الجديد أو ذكر بعضها ؟ —

وهل يوجد فى كتاب العهد الجديد اشارات صريحة الى التقليد أو لا ؟

وهل الكتاب المقدس نفسه وصل الى أيدينا بالتسليم خلفاً عن سلف أو سلمه لنا ملاك من السماء وممن عرفنا الاسفار القانونية

وغير القانونية ؟ وهل البروتستانتى مع انكاره التقليد لفظاً مسلم ومتمسك به فعلاً أو لا؟ والجواب على الاسئلة المتقدمة هو

انه ليس ضرورياً أن يكون الوحي مكتوباً وقد استمرت الكنيسة نحو الفي سنة من آدم الى موسى بغير كتاب مكتوب اكتفاء بالوحي الشفوي والتسليم تسليم الابناء عن الآباء . وحافظ الله على الوحي وظهر فى ذلك العهد اناس من أعظم القديسين منهم اخنوخ الذى صعد الى السماء حياً وله نبوة تنوقلت شفوياً على تعاقب الاجيال الى أن اثبتها يهوذا الرسول فى العهد الجديد - ومنهم ابرهيم أب المؤمنين وملكى صادق واسحق ويعقوب ويوسف

ولما جاء المسيح لم يضع كتاباً معيناً سلمه لتلاميذه كما أعطى الله موسى الوصايا العشر بل كان يعلم شفوياً وأعطى السلطان لرسله شفوياً وهم بشروا بارشاد الروح القدس شفوياً وانتشرت الديانة المسيحية قبل وجود كتاب العهد الجديد ولم تكتب الاناجيل الاربعة والرسائل فى زمن واحد ولم يضعها كاتبوها لاجل الكنائس أجمع بل لاشخاص وكنائس معلومة لغرض مخصوص ولم تشمل كل التعاليم التى قيلت والآيات التى صنعت ولم تجمع الا فى أوائل القرن الثاني للمسيح . والذي جمعها آباء الكنيسة وهم الذين حكموا بقانونية الاسفار الواردة فى العهد الجديد وبعدم قانونية الاسفار الاخرى التى كانت موجودة في ذلك الوقت . وان قيل أن الكتاب يشهد

لنفسه. فكيف أنكر لوثر زعيم البروتستانت رسالة يعقوب وقال أنها مزورة وانكر رسالة العبرانيين ورسالة يهوذا وسفر الرؤيا ؟.

ونفس الكتاب يشهد للتقليد قال بولس الرسول تمسكوا بالتقاليد التى تسلمتموها سواء كان بالكلام أوبرسالتنا (٢ تس : ١٥) وقال فامدحكم ايها الاخوة على انكم تذكرونني فى كل شيء وتحفظون التقاليد التى سلمتها اليكم (١ كو ١١ عدد ١) وقال تجنبوا كل اخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذي اخذه منا وقال لتلميذه تيموثاوس، وما سمعته مني بشهود كثيرين اودعه اناساً امناء يكونون اكفاء ان يعلموا آخرين ايضاً (٢ تي ٢ : ٢)

واما الامور الباقية فعند ما اجيء ارتبها (١ كو ١١ : ٢٣٤

لاجل هذا تركتك فى كريت لكي تكمل ترتيب الامور الناقصة وتقيم فى كل مدينة قسوساً (تي ١ : ٥)

وقال يوحنا الرسول وكان لي كثير لاكتبه لكن لست اريد ان اكتب اليك بحبر وقلم ولكن ارجو ان اراك عن قريب فنتكلم فماً لفم ٣ يو : ١٣، ١٤ وغير ذلك من الآيات الكثيرة (راجع مجلة الكرمة عدد ٧ صحيفة ٣٣٨ و ٣٣٩) واللآلىء النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة جزء ثان طبعة ثانية صحيفة ٣٠٤ — ٣٢٢

ويلاحظ ان لفظ تقليدات ترجمها الاميركان طبعة بيروت في الآيات المتقدمة بلفظ تعاليم ووضعوا فى الهامش « او تقليدات » مع انهم ترجموا نفس اللفظة فى مواضع اخرى بلفظ تقليدات مباشرة ومع ان جميع ترجمات الكتاب المقدس في كل اللغات ومنها ترجمة الاميركان المطبوعة سنة ١٨٦٠ ترجمت اللفظة تقليدات

(البروتستانتى تقليدى ابن تقليدى)

والبروتستانتي مع انكاره التقليد مسلم ومتمسك به فعلا فمن التقليد استلم الكتاب المقدس ومنه عرف الاسفار القانونية والاسفار غير القانونية والى التقليد يرجع فى الاستدلال على صحة الكتاب وهو يقر ويتمسك بقوانين الرسل التى سنوها في علية صهيون وبقانون الايمان الذى وضعه الآباء وباحكام وقرارات المجامع المسكونيه الثلاثة الاولى وكلها مصدرها التقليد. وارتكاناً على التقليد يقدس البروتستانتي يوم الاحد عوضاً عن يوم السبت مع أن وصية حفظ السبت كتبها الله بأصبعه ولم يرد نص صريح فى الكتاب ينسخها مما حدا بالسبتى الى الانشقاق والقيام ضده . وعن التقليد نقل معمودية الاطفال وعليه يمنع تعدد الزوجات وان الزواج فريضة دينية لاتتم الا عن يد الخادم الدينى (ودعى ذلك الى انشقاق البلموثي عنه) وهو وحده الذى يمارس العماد . ونقلا عن التقليد يحتفل البروتستانتى ببعض الاعياد السنوية وبنوع مخصوص

عيد الميلاد وعن التقليد أخذ عادة الصلاة على جثة الميت فى الكنيسة الى غير ذلك من الطقوس التى لانص عنها فى الكتاب مطلقاً او لا نص صريح

فحينئذ كل قس او مبشر يدعي أن دستور كنيسته هو الانجيل فقط ويتهكم على الكنيسة القبطية أو سواها من الكنائس الرسولية لانها تقليديه هو مفتر ويكذب على الله والناس

(أيهما الواجب التعويل عليه فى التعليم وتفسير الكتاب)

(هل آباء الكنيسة الأول او لوثر واتباعه ؟)

والجواب واضح لا يحتاج الى تبيان

اولا — ان المسيح لم يترك كنيسته التي اقتناها بدمه فوضى بل اقام فيها رسلا ومعلمين اعطاهم السلطان وايدهم بالروح القدس فنظموا الكنيسة ورتبوا طقوسها حسب مقاصد الوحي الالهى

ثانياً — ان هؤلاء الرسل والمعلمين انتشروا في البلاد المختلفة وبشروا بكل لغة وانشاؤا عدة كنائس واقاموا عليها بما لهم من السلطان اساقفةومعلمين وكل هذه الكنائس كانت على وتيرة واحدة في الطقوس والعقائد الاساسية ولاتزال الى اليوم ولا يمكن ان تجمع هذه الكنائس المختلفة على ضلال خصوصاً وان هذه الكنائس كانت واقفة بالمرصاد لكل من يبتدع بدعة اوتعليما فاسداً مهما كان مركزه فتعقد المجامع المسكونية وتقطعه

ثالثاً — أن المسيح بصفته رأس الكنيسة لايسمح ان كنيسته تبنى وتستمر خمسة عشر قرناً على تعاليم غير صحيحة وهو القائل « وابواب الجحيم لن تقوى عليها مت ١٦ : ١٨ » الى ان يصححها لوثر في القرن السادس عشر . نعم ان كنيسة رومة شطت وابتدعت تعاليم غريبة مما ادى الى قيام ثورة لوثر الا ان لوثر لم يأت بشيء جديد لان باقي الكنائس الرسولية من قبطية ويونانية وارمنية وسريانية وغيرها لم تقر مع كنيسة البابا على هذه التعاليم الغريبة ولكن لوثر ابى الا ان يوجه سهام طعنه الى جميع تعاليم كنيسة رومه تقريباً بما فيها التعاليم المجمع عليها من جميع الكنائس المسيحية ولم يميز بين الغث والسمين وأنشأ تعاليم جديدة حسبما شاءت نفسه ونفس انصاره مخالفاً الاجماع العام. ونصوص الكتاب الصريحة فوقع فى نفس الغلطة التي وقع بها البابا و كنيسته

رابعاً — ان لوثر لم يكن نبياً ولا رسولا هبط عليه الوحى ولم تكن تعاليمه معصومة عن الخطأ فيتخذ اتباعه تلك التعاليم كوحي منزل يبشرون بها ويرمون من خالفهم بالكفر والضلال ولم يكن لوثر يذكر من وجهة الدين والتقوى والفضيلة في جنب آباء الكنيسة الأول كالقديس اغناطيوس وبوليكربوس وأكليمنضس اسقف رومه وديو ناسيوس وايريناوس وبولكريتيس ويوسيفوس الشهيد وترتوليانوس واكليمنضس الاسكندري وبنتيوس واوريجانوس وديمتريوس

واغريغوريوس العجائبي وديوناسيوس الاسكندري وكبريانوس وانطونيوس واغريغوريوس الثاولوغوس وباسيليوس الكبير ويوحنا فم الذهب وارونيموس واغسطينوس وامبروسيوس واثناسيوس الرسولي وغيرهم . وسيرة لوثر لا تدل على انه كان قديساً ويكفي انه بعد ان اختار النصيب الصالح ونذر عفافه طائعاً مختاراً للرب قد كسر هذا النذر ارضاء لجسده وبلغ به الامر ان انكر بعض كتب الوحي كرسالة يعقوب الرسول وغيرها كما رأينا

ان لوثر وزملاءه لم يخرجوا عن كونهم من كبار المفكرين الذين كان لهم المقدرة في الجدل الممزوج بروح الشدة والعنف المعروفين من العنصر الجرماني ولكن الديانة المسيحية لم تؤسس على الحكمة البشرية وقوة الجدل وانما أسست على جهالة الكرازة وبساطة الايمان اذ اختار الله جهال العالم ليخزي بهم الحكماء

خامساً — ان تعاليم لوثر لم تكن خالية عن الغرض الشخصي تصوروا كاهناً جرده رئيسه من رتبه فأنشأ لنفسه شيعة جديدة جعل نفسه رئيساً عليها وانتحل لذاته سلطاناً لم يكن ممنوحاً له واخذ يحور ويبدل في التعاليم ويثبت ويحذف ما يشاء وفقاً لمبادئه فهل ضميركم يكون مستريحاً للانقياد وراء هذا المدعي الجديد وترك كنيستكم الاصلية ؟ فازنوا واحكموا

سادساً — ان لوثر كان كثير الارتباك والحيرة والترددواختلف مع تلاميذه فى كثير من العقائد الجوهرية واتباعه انشقوا فرقاً فرقاً واصبحت المذاهب المنشقة عن المذهب البروتستانتي تعد بالعشرات والمئات ولايمر يوم الا ويظهر مذهب جديد وما ذلك الا لانهم جعلوا تفسير الكتاب مبنياً على مقياس العقل البشري الذى تتفاوت درجاته باختلاف الاشخاص فمن منا يقبل ان يفرط في مذهبه القويم المستقي من ينابيع الحكمة الالهية الذى سلكه جميع القديسين من عهد أنشاء الكنيسة ؟ وهو هو أمس واليوم وغدا واحد لا يتجزأ ويتبع طريقاً مخترعاً حديثاً متشعب الطرقات يلبث من يسير فيه تساوره الشكوك وربما تاه وضل الطريق.اذا ثبت كما تقدم ان دستور كنيسة المسيح هو الكتاب المقدس والتقليد وان البروتستانتي تقليدي لاشك فيه — واذا ثبت ان الواجب الرجوع في التعليم وتفسير الكتاب الى الرسل وآباء الكنيسةالقديسين لا الى الحكمة البشرية امكننا بكل سهولة فهم عقائدالكنيسة وطقوسها والرد على كل من يطعن عليها

ويجب عند بحث هذه العقائد المتفرقة بين العقائد الجوهرية والعقائد غير الجوهرية عدم الخلط بين تعليم الكنيسة وبين مايعتقده العوام او مايجريه بعض افراد الكنيسة مخالفاً لتعاليم الكنيسة ولو كانوا من كبار الاكليروس

(عقائد الكنيسة القبطية)

اهم عقائد الكنيسة

(١) الاعتقاد بصحة الوحي والكتاب المقدس وقد تكلمنا عن ذلك بالشرح الكافي في موضوع الكتاب المقدس والتقليد وانما يجب ان يلاحظ ان ترجمة بيروت العربية المعمولة بواسطة الاميركان فيها بعض الفاظ ترجموها وفقاً لمبادىء مذهبهم المشيخي كلفظ تقاليد ترجموه تعاليم ولفظ قسوس ترجموه شيوخ الخ ولو انهم وضعوا للفظ الاول فى الهامش ولكن ليست كل نسخ الكتاب بشواهد وهوامش . علاوة على ان لغة كثير من الايات فى هذه الترجمة غامضة ومبهمة وتجدها فى ترجمة رومية المعمولة بواسطة الكاثوليك انصح واوضح فعلى دارس الكتاب ان يتنبه لذلك . وحبذا لو اعتمدت الكنيسة القبطية بعمل ترجمة دقيقة للكتاب بلغة فصحى خاصة بها اسوة بباقى الكنائس مستعينة بالنسخ القبطيــة القديمة الموجودة في خزائنها

(٢) قانون الايمان ويتلخص في الاعتقاد بوجود الله ووحدانيته والثلاثة اقانيم وتجسد المسيح وصلبه وموته وقيامته وصعوده الى السماء ومجيئه الثانى والاعتقاد بالكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية والمعمودية الواحدة لمغفرة الخطايا وقيامة الاموات والخلود والثواب والعقاب . والبروتستانت يسلمون بصحة هذا القانون حسبما وضعه

مجمع نيقية ولكن الكاثوليك اضافوا في مجمع توليدو على عبارة « نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب » لفظة «والابن» بعد الاب والبروتستانت قبلوا تعليم الكنيسة الكاثوليكية في هذه النقطة مع ان الكتاب صريح في صحة تعليم الكنيسة القبطية « ومتى جاء المعزي الذي سارسله انا اليكم من الاب روح الحق الذى من عند الاب ينبثق فهو يشهد لي (يو ١٥ : ٢٦)

وهاك القانون (بالحقيقة نؤمن باله واحد الله الاب ضابط الكل خالق السماء والارض مايرى ومالا يرى نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو للاب في الجوهر الذى به كان كل شيء هذا الذي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر وقام من الاموات في اليوم الثالث كما فى الكتب وصعد الى السموات وجلس عن يمين ابيه وايضا يأتي فى مجده ليدين الاحياء والاموات الذي ليس لملكه انقضاء . نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب نسجد له ونمجده مع الاب والابن . الناطق فى الانبياء . وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وننتظر قيامة الاموات وحياة الدهر الاتي آمين

(٣) اسرار الكنيسة السبعة وهى موضوع الخلاف الاكبر بين الكنيسة القبطية والكنيسة البروتستانتية

(٤) عبادة الله وتشمل الصوم والصلاة

(٥) الايمان والرجاء والمحبة او الايمان والاعمال

وسنبين اوجه الخلاف في هذه المواضيع

(اسرار الكنيسة السبعة)

السر هو عمل مقدس به تنال نفس المؤمن نعمة الله غير المنظورة تحت علامات منظورة وعدد اسرار الكنيسة سبعة وهى (١) سر المعمودية (٢) سر مسحة الروح القدس (٣) سر الافخارستيا (٤) سر الكهنوت (٥) سر الاعتراف (٦) مسحة المرضى (٧) سر الزواج

وهذه الاسرار بعضها مسلم من الله الآب وهو الزواج الذي تممه الله نفسه بين آدم وحوا . وسر الاعتراف (آدم ادم اين انت) وسر الكهنوت (كما ارسلنى الاب ارسلكم انا) وبعضها مسلم من المسيح وهو سر المعمودية وسر الافخارستيا وبعضها مسلم من الرسل وهو سر الميرون وسر مسحة المرضى ومسحة الروح القدس

وهذه الاسرار ولوانها ضرورية للكنيسة كمجموع ولكنها ليست ضرورية للمؤمنين كافراد وانما الضروري منها لكل مؤمن المعمودية وسر مسحة الروح القدس وسر الافخارستيا . اما سر

الاعتراف ضروري لمن يميز بين الخير والشر . واهم الاسرار سر الافخارستيا وكل الاسرار مرتكزة عليه فان ثبت صحة اعتقاد الكنيسة في هذا السر ثبتت باقي الاسرار ولذا سنتكلم عن هذا السر ببعض الاسهاب وسنجعل ادلتنا كلها بقدر الامكان من الكتاب المقدس

(سر الافخارستيا)

ويسمونه سر الشكر وسر التناول وسر الاشتراك وذبيحة القداس وذبيحة السلامة والذبيحة غير الدموية

اخطأ آدم فدبر الله سر الفداء له ولنسله وآمن ادم والمتقون من بنيه بالمسيح المنتظر ورمزاً لهذا الفداء وضع الله طقس الذبائح الدموية . مارسه ادم وبنوه وجاءت شريعة موسى فأيدته ورتبت ذبيحة خروف الفصح للشعب يأكلونه مشوياً ويرشون دمه على الاعتاب عهداً للخلاص من الملاك المهلك الى ان اتى المسيح في ملء الزمان الحمل الحقيقي واتم الفداء بذبيحة جسده التي قدمها على الصليب فكان لابد من عهد جديد وذبيحة أخرى يمارسها المؤمنون الذين يأتون بعد المسيح ولما كان الفداء تم ولا حاجة الى الرموز وظل الامور العتيدة فوجب ان تكون الذبيحة التي يمارسها المؤمنون في عهد النعمة ذبيحة تامة وكاملة بما يتفق مع مقام هذا العهد لتكون الذبيحة تذكاراً لذبيحة الصلب وفي الوقت نفسه تكون طعاماً روحياً للمؤمن تنميه في النعمة وتؤهله للحياة الابدية وتربطه بالمسيح

وتجعله مشتركا في الطبيعة الالهية وتربط المؤمنين معاً والكل يثبتون في المسيح وهو يثبت فيهم باعتبار انه هو الرأس وهم الجسد وانه هو الكرمة وهم الاغصان فرتب الله ذبيحة تقدم بهذا الغرض وهى ذبيحة الخبز والخمر التي تصير بسر لاتدركه العقول جسد المسيح ودمه وقد رسم المسيح هذا السر في الليلة التي اسلم فيها وهى ليلة عيد الفصح لتقوم مقام الفصح عند اليهود ولم يأت المسيح بهذه الذبيحة اعتباطاً وانما سبق فانبأ عنها فى العهد القديم فبينما الكهنوت المبني على الذبائح الدموية كان يمارس بايدى الآباء الاولين كهابيل ونوح وابرهيم ظهر فجأة كهنوت آخر يمثله ملكى صادق ملك ساليم وذبيحته كانت الخبز والخمر حين تقابل مع ابرهيم وخضع هذا لملكى صادق وأخذ منه البركة وقدم له العشور . ومن هو الذي رمز اليه ملكى صادق ؟ هو المسيح كاهن الله العلي الذي انبأ داود النبي بأنه سيكون كاهناً الى الابد على رتبته . هو الكاهن الذي قارن بولس الرسول بين كهنوته هذا وذاك في الرسالة الى العبرانيين

ويلاحظ ان قول بولس الرسول عند المقارنة بان ملكى صادق كان بلا اب ولا ام الخ هو اشارة الى كهنوته المستمد من الله مباشرة ككهنوت المسيح لا الى نسبة الشخص ولم يذكر الرسول وجه النسبة بين ذبيحة كهنوت ملكى صادق وذبيحة كهنوت المسيح لان الامر ظاهر اذ ان ملكى صادق كان يقدم الخبز والخمر والمسيح جعل عهده الجديد بالخبز والخمر وان اختلفت ماهية الذبيحتين .

وقد كان خضوع ممثل الكهنوت اللاوي لملكي صادق ممثل كهنوت المسيح دلالة على خضوع الكهنوت اللاوى لكهنوت المسيح وتقديم ابرهيم العشور لملكي صادق دلالة على ملاشاة كهنوت لاوى وبقاء كهنوت المسيح اذ ان اللاوي كان يأخذ العشور من باقي اسباط اسرائيل وبزوال كهنوته سقط حقه في العشور وبالعكس اصبح هو نفسه ملزماً بدفع العشور وبما ان المسيح تتبارك فيه جميع قبائل الارض فكهنوته يعم جميع الشعوب لا كالكهنوت اللاوي الذي كان خاصاً بشعب واحد ـ ولا يخفى ان ملكي صادق كان رمزاً الى المسيح فكذلك كهنوته كان رمزاً الى كهنوت المسيح وليس هو كهنوت المسيح وكما ان ذبيحة لاوي التى كانت رمزاً الى ذبيحة المسيح التي تمت بسفك الدم على عود الصليب لم تكن هي ذبيحة المسيح فكذلك ذبيحة الخبز والخمر التى قدمها ملكي صادق كانت رمزاً الى ذبيحة جسد المسيح ودمه التي سنها المسيح ليلة تسليمه ولم تكن هي نفس الجسد والدم بمقدار ما للمسيح من الافضلية على ملكي صادق والى هذه الذبيحة اشار الانبياء داود واشعياء وارمياء وملاخي والمسيح قبل ان يمارس هذه الفريضة بنحو السنتين مهد لها الطريق حين آية اطعام الجموع بالخمسة ارغفة والسمكتين واتخذ من هذه الآية باباً للدخول في موضوع هذا السر وقارن بين الخبز الذي سيعطيه وبين المن الذي اكله بنو اسرائيل وماتوا في البرية وبين مفعول هذا ومفعول ذاك وافصح لهم بصريح العبارة ان الخبز الذي

سيعطي هو جسده وان جسده مأكل حق ودمه مشرب حق وكلما تذمر سامعوه من اليهود والتلاميذ وقالوا « كيف يقدر هـذا ان يعطينا جسده لنأكل » « ان هذا الكلام صعب من يقدر ان يسمعه » كان المسيح يكرر ويؤكد السر ولم يهتم بمن تركه من التلاميذ بسبب عدم ادراكهم معنى هذا السر . وفي ليلة آلامه مارس هذا السر فعلاً واعطى لتلاميذه الاثنى عشر الخبز والخمر باعتبار انهما جسده ودمه وتلاميذه قبلوا هذا السر بايمان ولم يخامرهم ادنى شك ومارسوا هذه الفريضة بعد صعود المسيح واستمرت الكنيسة تمارسها وستمارسها الى انقضاء الدهر

وهاك نصوص الكتاب المقدس عن هذه الفريضة وكهنوت العهد الجديد تقرأها مجتمعة وهي شاهدة وناطقة بصحة اعتقاد الكنيسة القبطية

« فخرج لاستقبال ابرهيم ملكي صادق ملك ساليم واخرج خبزاً وخمراً اذ كان كاهناً لله العلي وباركه وقال مبارك ابرام من الله العلي مالك السموات والارض ومبارك الله العلي الذي اسلم اعداءك في يدك فأعطاه عشراً من كل شيء » تك ١٤ : ١٨ - ٢٠ وعب ٧ : ٤)

اقسم الرب ولم يندم انت كاهن الى الابد على رتبة ملكي صادق (مز ١١٠ : ٤ وعب ٦ : ٢٠ و ٧ : ١٧ و ٢١)

فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال اذ الشعب أخذ الناموس عليه

ماذا كانت الحاجة بعد الى ان يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق ولا يقال على رتبة هارون لانه ان تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغيير الناموس ايضاً عب ٧ : ١١ و ١٢ لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن ان يأكلوا منه عب ١٣ : ١٠

رتبت قدامي مائدة تجاه مضايقي (مز ٢٤ : ٥ وتشير الى مائدة الرب) يأكل الودعاء ويشبعون (مز ٢٢ — ٢٦ وتنبيء عن مائدة الرب)

فطار اليّ واحد من السيرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ومس بها فمي وقال ان هذه قد مست شفتيك فانتزع اثمك وكفر عن خطيتك (اش ٦ : ٦ و ٧ يفسر علماء الكنيسة الجمرة التي أخذت من على المذبح بسر التناول الذي يطهر من يأكله (مقالة ١٩ ليوحنا فم الذهب) في تلك الايام وفي ذلك الزمان انبت لداود غصن البر فيجرى عدلاً وبراً في الارض . . . . . لان هكذا قال الرب لا ينقطع لداود انسان يجلس على كرسي بيت اسرائيل ولا ينقطع للكهنة اللاويين انسان من امامي ليصعد محرقة ويحرق تقدمة ويهيء ذبيحة كل الايام (ارميا ٣٣ : ١٥ — ١٨ نبوة تشير الى كهنة وذبيحة العهد الجديد)

ويأتي بغتة السيد الذى تطلبونه وملاك العهد (المسيح) الذى تسرون به . . . . فيجلس ممحصاً ومنقياً للفضة فينقى بني لاوي

ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر (ملاخي ٣ : ١ — ٣) نبوة عن كهنة وذبيحة العهد الجديد)

فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر فيعرف الرب في مصر ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة (أشعيا ١٩ : ١٩ — ٢١)

ليس لي مسرة بكم قال رب الجنود (مخاطباً كهنة اسرائيل)ولا أقبل تقدمة من يدكم لانه من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم بين الامم قال رب الجنود (ملاخى ١ : ١٠ و ١١)

وأبناء الغريب الذى يقترنون بالرب ليخدموه آتى بهم الى جبل قدسي وافرحهم فى بيت صلاتى وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي لان بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب (اش ٥٦ : ٦و٧

حدّث لجميع كل الامم والالسنة فيأتون ويرون مجدي واجعل فيهم آية . . . ويحضرون كل اخوتكم من كل الامم تقدمة للرب كما يحضر بنواسرائيل تقدمة فى اناءطاهر الى بيتالرب وأتخذ منهم ايضاً كهنة ولاويين قال الرب (اش ٦٦ : ١٨ — ٢١)

تأتي ايام يقول الرب واقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم امسكتهم بيدهم لاخرجهم من ارض مصر حين نقضوا عهدي (ارميا ٣١ : ٣١)

اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي الذى يعطيكم ابن الانسان ليس موسى اعطاكم الخبز من السماء لان خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم

انا هو خبز الحياة من يقبل اليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش ..... انا هو خبز الحياة اباؤكم أ كلوا المن فى البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء لكي يأ كل منه الانسان ولا يموت انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذى انا اعطي هو جسدى الذي ابذله من اجل حياة العالم . . . .

الحق الحق اقول لكم ان لم تأ كلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حيوة فيكم من يأ كل جسدى ويشرب دمى فله حيوة ابدية وانا اقيمه في اليوم الاخير لان جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق من يأكل جسدى ويشرب دمي يثبت في وانا فيه كما أرسلنى الاب الحي وانا حى بالاب فمن يأ كلنى فهو يحيا بى هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ليس كما اكل اباؤكم المن وماتوا . . . . من يأكل هذا الخبز فانه يحيا الى الابد (يو ٦ : ٢٧ — ٥٨) وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي اصنعوا هذا لذكرى واخذ الكأس وشكر واعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لان هذا هو دمى الذى

للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا (مت ٢٦ : ٢٦ — ٢٨ . مر ١٤ : ٢٢ — ٢٤ لو ٢٢ : ١٩و٢٠)

كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح فاننا نحن الكثيرين خبزواحد جسد واحد لاننا جميعاً نشترك فى الخبز الواحد . . . . لاتقدرون ان تشربوا كأس الرب وكأس شياطين لاتقدرون أن تشتركوا فى مائدة الرب وفي مائدة شياطين (١ كو ١٠ : ١٦—٢١)

لاني تسلمت من الرب ماسلمتكم ايضاً ان الرب يسوع في الليلة التى اسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لاجلكم اصنعوا هذا لذكرى كذلك الكأس ايضاً بعد ماتعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري . فانكم كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب الى ان يجيء . اذاً أي من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه . ولكن ليمتحن الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لان الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب (١ كو ١١ : ٢٣ — ٣٠)

هذه هي نصوص الكتاب المقدس وهي صريحة فيوجود كهنة

العهد الجديد وان الخبز والخمر ذبيحة وانهما جسد المسيح ودمه وأن الغرض من هذه الذبيحة ذكر المسيح الى أن يجيء وانها غذاء للارواح والاجساد ينمي المؤمنين فى النعمة والقوة ويؤهلهم للحياة الابدية ويثبتهم فى المسيح ويربط المؤمنين معاً

وقد فهم جميع آباء الكنيسة وعلمائها هذه النصوص الصريحة بهذا المعنى الذى ذكرناه من بدء المسيحية ووصفوا فى مؤلفاتهم الخبز والخمر بالذبيحة وانهما جسد المسيح ودمه وبذلك قضت أحكام وقرارات المجامع المسكونية

وهاك نص قرار المجمع المسكوني الاول الذى انعقد فى نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية ويعترف به البروتستانت « لا ينبغي أن ننظر على المائدة المقدسة الى الخبز والخمر كانهما مقدمان على بسيط الحال بل يجب ان نرفع الروح فوق الحواس ونفهم بالايمان أن حمل الله الرافع خطية العالم يستريح ههنا مذبوحاً من الكهنة وانهم يتناولون جسد الرب نفسه ودمه الكريم نفسه اللذين نؤمن بأنهما رسوم لقيامتنا »

والمجمع الثالث المسكونى المنعقد فى افسس الذى يقر البروتستانت صحة تعاليمه أقر القديس كيرلس بطريرك الاسكندرية برسالته التي تليت فيه وفيها ورد مايأتي

« نقدم فى الكأس الذبيحة غير الدموية وهكذا نلمس الاسرار ...ة المباركة ونتقدس باشتراكنا فيها بالجسد المقدس جسد

المسيح مخلص العالم كله وبدمه الكريم . . . .

(ولكن لا ينبغي ان ننظر الى جسده كما الى جسد انسان يماثلنا من كل الوجوه فى اهوائنا بل يجب أن نؤمن انه بالحقيقة جسد الذي قد صار جسداً وسمر لاجلنا ابن الانسان نفسه قسم ٢ جلسة ١ : ٢

سار على هذا التعليم جميع الكنائس في العالم أجمع قبل الانشقاق وبعده ونفس لوثر زعيم البروتستانت كان يكاد يعتقد ان الخبز والخمر يصيران جسد المسيح ودمه واستمر لآخر لحظة من حياته ينادي رفاقه قائلا ان الصوت الذى قال « هذا هو ابني الحبيب » هو نفس الصوت الذي قال « خذوا كلوا هذا هو جسدي » (ملحوظة ان لوثر وأتباعه في جيله كانوا يعتقدون بحقيقة حضور يسوع المسيح في سر الشكر غير أنهم يزعمون ان حضوره انما هو بواسطة دخوله في الخبز والخمر واقتران جسده ودمه الحقيقيين مع هذين النوعين بحال غير منظور ولكن بدون استحالة وبعبارة أحرى كانوا يعتقدون ان جسد المسيح هو في الخبز مع الخبز تحت الخبز وهذا الاعتقاد لا تقره الكنيسة القبطية اذ ان المسيح لم يقل خذوا كلوا هذا فيه أو معه أو تحته جسدي وانما قال هذا هو جسدي)

(حاشية) — ولا مراء ان لوثر لم ينصف نفسه وظلم قومه بهذا الاعتقاد وغفل عن عواقبه الوخيمة ونتائجه الكفرية التي تزجه وتحصيه في زمرة الهراطقة مثل اوطيخا ويوليانوس الخيالي اللذين

تعوذت المسيحية في الجيل الخامس وما يليه من كفرهما الشنيع وايجابهما الاول التشويش بين لاهوت المسيح وجسده والثاني استحالة هذا الى ذاك . وهذا هو اعتقاد لوثر ومن نحا نحوه بعينه ومعهم فرقة المشيخيين الذين ملأوا كتبهم من القول بأنهم يتناولون بالايمان روحياً جسد المسيح ودمه . فانه لكي يتحد جسد المسيح في الخبز ودمه في الخمر في العشاء السري يلزم ان يكون الجسد والدم لاهوتاً صرفاً يلزم ان يفقد كل منهما مادته ولوازم مادته كالمساحة والشكل . وبخلاف ذلك يبعد أن يتأتى هذا الاتحاد اتحاد جسد المسيح ودمه مع عنصري الخبز والخمر بعد السماء عن الماء . ولا شك ان القول باستحالة عنصري الخبز والخمر الاول الى جسد المسيح والثاني الى دمه كما تقول الكنيسة المسيحية دائماً . هو أسلم عاقبة وأقرب الى العقل والصواب والكتاب أيضاً الذي فضلاً عن كونه علم بذلك فانه ورد فيه ان المادة استحالت الى مادة فقط (مثل امرأة لوط الى عمود ملح وماء الاجاجين الى الخمر) ولم تستحل الى عكس المادة . نعم أسلم عاقبة من القول بتشويش سر التجسد من القول باستحالة جسد المسيح ودمه الماديين الى حالة روحانية بحتة . فلينظر الاخصام على أي جرف هار وقفوا والى أية ورطة ساقوا أنفسهم اليها . كل ذلك بمحاولتهم أن يصموا الكنيسة بعيب وخروج عن دائرة التعقل فكانوا هم المقترفين والجانين على العقل وعلى الشرع معاً)

ومع هذا الاجماع لا يزال المشيخيون والمذاهب المنشقة عنهم يقولون ان الخبز والخمر بعد التقديس لا يزالان خبزاً وخمراً بسيطين ولا يكتفون بذلك بل يرمون الاقباط بالكفر والضلال لانهم يقولون انهما جسد المسيح ودمه وان سألت المشيخي كيف لا يكون الخبز والخمر جسد المسيح ودمه رغماً عن ان المسيح نفسه قال ذلك فيجيب لانه قال اصنعوه لذكرى وهذا تدليل غريب. ان المسيح في الوقت الذي قال اصنعوه لذكرى قال هذا هو جسدي فلا يمكن ان لفظ « لذكرى » ينفى قوله « هذا هو جسدى » والا يكون قول المسيح عبثاً تعالى عن ذلك علواً كبيراً . لقد نطق المسيح ألفاظاً معينة كل منها يؤدى الى معنى مخصوص وغرض مخصوص فلا يصح أن نحور في كلامه لاننا لسنا أحكم ولا أقدر منه في التعبير عن قصده

قال المسيح « اصنعوه لذكرى » لانه يريد أن تكون هذه الفريضة التى رسمها ذبيحة تذكارية لذبيحة الصليب ولو لم يقل لذكري لأدى الامر الى تقديم ذبيحة جسد المسيح وصلبه ملايين ومئات الملايين من المرات فلفظ « لذكرى » ضرورى وجوهرى لنفى تعدد تقديم الذبيحة اذ لا توجد الا ذبيحة واحدة هي ذبيحة الصليب وهي هي نفسها ذبيحة الخبز والخمر التي تقدم تذكاراً لها بدون تعدد أو تجزئة

ومتى قلنا ان ذبيحة الخبز والخمر هي نفس ذبيحة الصليب وهي

ذبيحة واحدة في كل الاجيال فيسقط اعتراض الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويزعمون ان الكنيسة القبطية وباقي الكنائس الرسولية تكرر ذبيحة الصليب مع ان الكنيسة القبطية تنادى أثناء القداس بأعلى صوتها مثنى وثلاث ورباع ان هذه الذبيحة تذكار لموت المسيح وصلبه وقيامته وصعوده الى السماء . وان هـذا هو الجسد المحيي المأخوذ من حشاء العذراء مريم الذى صار واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير الذى أسلمه على عود الصليب بارادته

فان قيل كيف يكون الخبز والخمر تذكاراً وفى الوقت نفسه جسد المسيح ودمه أو بعبارة أخرى كيف يكون الشيء تذكاراً لنفسه فنقول ان التذكار في الكتاب على أربعة أنواع خبرى وصورى وأثرى وعيني وهذه الذبيحة تذكار عيني أى من نفس الشيء كالمن الذي حفظه موسى في القسط تذكاراً للمن الذى أنزله الله من السماء على بني اسرائيل فكما ان المن جعل تذكاراً للمن وذبيحة الفصح اليهودية تقرر اجراؤها سنوياً تذكاراً لذبيحة الفصح التي عملت ليلة الخروج خر ١٢ : ٢١ — ٢٧ فيصح ان يكون الخبز والخمر اللذان يصبحان بعـد التقديس جسد المسيح ودمه تذكاراً لجسد المسيح الذي صلب ودمه الذى سفك على عود الصليب

فان قيل (وقيل ذلك فعلا عن لسان بعضهم) ان المن هو من مادة المن ولا تشابه بين الخبز والخمر وبين جسد المسيح ودمه

ليكون أحدهما تذكاراً عينياً للثاني فنقول ان هذا اعتراض سخيف يوجه في الحقيقة الى المسيح نفسه الذى أراد اتمام هذا السر تحت شكلي الخبز والخمر كما أتم سر المعمودية تحت شكل الماء ولا يصح لاحد أن يعترض عليه والسيد لم يجعل الخبز والخمر تذكاراً لذبيحة الصليب بل جعل الذي تحولا اليه وهو جسده ودمه لا غيرهما

وها قد انتهينا من شرح لفظ « اصنعوه لذكري » فلنناقش البروتستانتي عن الجزء الاول من الجملة التي نطق بها المسيح « هذا هو جسدى » « هذا هو دمي » ونسأله أن يفسر لنا هذا القول الصريح فيجيب ان هذا اللفظ مجازى وما الخبز والخمر الا رمزاً فقط لجسد المسيح ودمه

وجواب المشيخي مردود بالادلة الآتية : ـ

اولاً ان المجاز هو استعمال الكلمة في غيرما وضعت له لصفة من صفات مدلولها هذا ومدلول ما استعملت له كقولك . اسد في الحمام وانت تعني الرجل الشجاع والقرينة التى تعين المجاز هنا هو المكان اي الحمام الذي لا يمكن الاسد الوحش المفترس ان يلجه وبدون وجود القرينة وما يقوم مقامها من قرائن التشبيه لا تستعمل الكلمة في غيرما وضعت له ولا توجد قرينة في كلام السيد عن العشاء السري تدل على انه تعالى اراد بكلمة الخبز الجسد وبكلمة الخمر الدم

ثم ان دعوى الاخصام بالمجاز ينافي اعتقادهم الوارد في جملة اماكن من كتبهم عن اهمية العشاء السرى وقولهم ان الذي يتناوله باستحقاق يتناول جسد المسيح حقاً ودمه حقاً وهذا لا يتفق مع القول بالمجاز بل يسفهه وينقضه اما كتب الاخصام المومأ اليها وأماكن قولهم فيها فهى

١ كتاب سيف العدالة تأليف عوض افندى واصف صحيفة ٥١

٢ ك نظام التعليم في علم اللاهوت وجه ٤٣٠ و ٤٣٢ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٣٩

٣ اتفاق البشيرين. كلام السيد في (يو) وجه ٢٨٦

٤ كنز التفسير لبشارة لوقا وجه ٥٧٣

٥ الثلاث عشر رسالة وجه ١٨٨ و ٢٢٢

٦ الاعتراف بحرية الايمان وجه ٧٥

٧ قرار البروتستانت في عهد الاصلاح صحيفة ٤٥٩ من تاريخ الاصلاح جزء ٢

واذا قيل ان هذه المصادر تضمنت القول بالمجاز ايضاً فعلى الاخصام لا علينا ان يوفقوا بين هذا القول وذاك

وقد شرحنا معنى قوله «اصنعوه لذكرى» والغرض المقصود منه وبينا ان له معنى مستقلاً فلا يمكن ان يكون قرينة لاعتبار لفظ الجسد والدم مجازياً

ثانياً ــ ان هذه فريضة أمر المسيح بممارستها في كل الاجيال

والدهور الى ان يجيء ولا يمكن المسيح ان يسن فريضة يكون فيها الكلام مجازياً ومستوجباً للبس يوقع المؤمنين في الحيرة والارتباك والمسيح هو رب اللغة ولا يعجز عن ايضاح غرضه بالفاظ صريحة . واذا جاز استعمال المجاز والامثلة في التعليم فلا يجوز ذلك في الوصاية التي يأمر الله بها خصوصاً وان المسيح رسم هذه الفريضة ليلة آلامه وعند آخر لحظة يودع فيها تلاميذه ولم يكن المقام مقام مجاز ورموز والغاز وانما مقام الصراحة بلسان بسيط وعبارات واضحة

ثالثاً — ان المسيح تكلم عن هذه الفريضة قبل ان يسنها ليلة آلامه بنحو السنتين وتكلم عنها بولس الرسول بعد صعود المسيح بزمن طويل وفي كل هذه المرات كانت الالفاظ مع كثرتها صريحة واكيدة في انها جسد المسيح ودمه فان سلمنا ان كلام المسيح مجازي في احدى المرات فلا يمكن ان يسلم العقل بان يكون كلامه وكلام رسله مجازياً في كل مرة

رابعاً — إن المسيح عندما تكلم عن هذا السر في اول مرة (انجيل يوحنا ٦) تذمر سامعوه كما ذكرنا ومنهم بعض التلاميـذ . قالوا « كيف يقدر هذا ان يعطينا جسده لنأكل » وقالوا هذا الكلام صعب من يقدر ان يسمعه » وبعضهم تركه ومضى ولكن المسيح رغماً عن كل ذلك لم يكترث بهم وكان يؤكد ويشدد في كل مرة ويكرر الالفاظ الدالة على الجسد والدم الحقيقيين ولو كان يقصد كلاماً مجازياً لكان

بمجرد التذمر شرح غرضه كما سبق ان شرح غرضه عند ما قال مرة لتلاميذه احترزوا من خمير الفريسيين فلما لحظ انهم فهموا الكلام حرفياً أفهمهم انه يقصد بالخمير تعليم الفريسيين

خامساً — ان المسيح وضع هذه الفريضة ليلة تسليمه وهي ليلة الفصح . وقد اختار هذا الوقت دون سواه لان فيه تتمم النبوات ويبطل العهد القديم وخروف الفصح والكهنوت اللاوى ويحل محله العهد الجديد وذبيحة الخبز والخمر والكهنوت الذى على رتبة ملكي صادق فكل ما عمله المسيح ونطق به كان مبنياً على ترتيب سابق تتميماً للنبوات ولم يكن في الامر مجاز أو ابهام

سادساً — ان زمان الرموز مضى وانقضى لان المسيح الذى كانت تشير اليه الرموز جاء وتمم النبوات والمكتوب فلم تبق حاجة الى الرمز وانما الحاجة الى المسيح نفسه الذى قبل بسر تعجز عن ادراكه العقول أن يهبنا جسده ودمه طعاماً لارواحنا وأن يحل فينا ويمتزج بنا

سابعاً — ان النعم التي ينالها المؤمن من تناول هذا السر وهي حلول المسيح فيه وثبوته فى المسيح وثبوت المسيح فيه وارتباطه ببقية المؤمنين ونواله الحياة الابدية وغير ذلك من البركات التي يمنحها هذا السر ويسلم بها أغلب البروتستانت حيث يعتقدون ان المسيح يحضر حضوراً روحياً مع كل من يشترك في الخبز والخمر

ويظهر له ذاته وان هذا السر يعطيه تعزية ويكون له منه قوة وعزاء روحي (ريحانة النفوس صحيفة ١٠٥) فهذه البركات لا يمكن أن تكون نتيجة خبز وخمر ماديين ولا تتفق مع الكلام المجاز

ثامناً — ان المشيخي يعتقد ان هذه الفريضة سر ولا يكون الشيء سراً اذا لم ينطو على معنى عميق غير ظاهر للعيان فان كان الخبز والخمر لا يزالان خبزاً وخمراً بسيطين فلا يكون هناك سر ولكن ان قلنا انهما يصيران جسد المسيح ودمه بطريقة غير منظورة فهنا يتحقق معنى السر

تاسعاً — اننا ان قلنا ان الخبز والخمر هما رمز لأدى الامر لان تكون الآيات الكتابية التي نطق بها المسيح ورسله كالآتي ليتم المعنى الذي يريده البروتستانتي

انا هو مثل خبز الحياة . . . . . هذا هو مثل الخبز النازل من السماء

انا هو مثل الخبز الحي الذي نزل من السماء . . . . والخبز الذي انا اعطي هو رمز جسدي . . . . ان لم تأكلوا رمز جسد ابن الانسان وتشربوا رمز دمه فليس لكم حيوة فيكم . . . . من يأكل رمز جسدى ويشرب رمز دمي فله حيوة ابدية لان رمز جسدي مأكل حق ورمز دمي مشرب حق . . . من يأكل

رمز جسدي ويشرب رمز دمي يثبت فيّ وأنا فيه فمن يأكل رمزي فهو يحيا بي

خذوا كلوا هذا هو رمز جسدي ..... اشربوا لان هذا رمز دمي الذي للعهد الجديد

كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة رمز دم المسيح . الخبز الذي نكسره أليس هو شركة رمز جسد المسيح .... من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في رمز جسد الرب ودمه لان الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز رمز جسد الرب

فهل يمكن ان جاز لنا اضافة ألفاظ للوحي ان يكون لهذه الآيات معنى بعد الاضافة ؟ او لا تصبح هـذه الآيات مشوهة ممسوخة ؟ ولا نزاع ان البروتستانتي يأنف من ان تكون الآيات بهذا الشكل ولكن أليس تفسيره لهذه الآيات ووضعه معانٍ لا تتفق مع معاني الكلمات والغرض الذى يقصده الوحي هو الذى يؤدي الى هذا الشكل الممسوخ

يقول بعض المعترضين ان الآيات التي نقلناها عن الاصحاح السادس من انجيل يوحنا لا تشير الى سر العشاء الرباني وان لفظ الخبز الوارد بها يشير الى الايمان بالمسيح بدليل قوله « من يقبل اليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش » وهذا التفسير

مبني على المغالطة ومنقوض بالادلة الآتية

اولا — ان المسيح قبل الدخول في موضوع الخبز والجسد والدم مهد له بآية اطعام الجموع الذين ارادوا ان يكون المسيح ملكا عليهم لانه اطعمهم فكان الكلام عن طعام حقيقي .

يلاحظ ان المسيح في آية اطعام الجموع شكر وبارك وكسر واطعم الوفاً وزاد الخبز

وفي ليلة العشاء الرباني شكر ايضاً وبارك وكسر مثل ما فعل في آية اطعام الجموع تماماً ولكن ظل الخبز هو بدون زيادة وما ذلك الا للدلالة على ان الخبز في المرة الثانية هو جسد المسيح وجسد المسيح واحد لا يزيد ولا ينقص

ثانياً — ان الحديث جر الى التكلم عن المن الذي انزله الله من السماء على بني اسرائيل والمن كان طعاماً يؤكل

ثالثاً — ان الايمان بالمسيح لا يتنافى مع سر العشاء الرباني وبالعكس هذا السر يرتكز على الايمان بالمسيح ولا يمكن ان يتناوله غير المؤمن وبدون ايمان لا يفهم هذا السر ولا يقبل ثم ان الايمان كان يطلبه المسيح من اليهود حالاً بلا تأجيل وأما الخبز فكان يعد به وفرق بين ما كان يطلب حالاً وما يعد به

رابعاً — ان الالفاظ التي نطق بها المسيح صريحة تشير الى اكل جسد المسيح وشرب دمه وتتفق تمام الاتفاق مع الالفاظ

التي نطق بها المسيح يوم ممارسة فريضة العشاء الرباني ولا يمكن ان الالفاظ الواحدة تشير في موضع الى الايمان وفي موضع آخر الى جسد المسيح ودمه لما في ذلك من التناقض الظاهر الذي يجل الوحي عنه ثم ان أكل اللحم يراد به في لغة الكتاب مجازاً بمعنى فعل الشر وعليه فيكون معنى قوله (من يأكل جسدي) أي من يفعل بي شراً

خامساً — ان السامعين وقت ان القى المسيح اقواله المدونة في الاصحاح السادس من انجيل يوحنا فهموا الأكل والشرب الحقيقي ولذلك تذمروا قائلين « كيف هذا يقدر ان يعطينا جسده لنأكل » والاخصام غير متفقين على فهم وتفسير عبارات السيد في هـذا الاصحاح فبعضهم ادعى انه عنى بها عن الايمان به وخالفه البعض الاخر اذ ذهب انه تعالى عنى بها عن العشاء السري وهذا رأي صاحب كتاب اتفاق البشيرين الذي قال في صحيفة ٢٧٦ (فان كان هو حقيقة ابن الآب الازلي الذي حجب امجاد اللاهوت ولبس الجسد المائت لكي يخدم ويتألم ويموت لاجلنا ولاجل فدائنا فكل ما يقوله هنا ويطلبه ويعد به هو حق ومناسب والا فيكون ذلك الكلام مبالغة وتجديفاً. ولكننا نعلم انه يتكلم الحق وانه كما اعترف به بطرس هو وحده الذي عنده كلام الحياة الابدية ويقول كل ما قاله المخلص عن جسده ودمه يريد به ان

موته على الصليب هو لاجل التكفير عن الخطية وانه يعلمنا اننا ما لم نتحد معه بالايمان به كمن قد بذل نفسه عنا ومات لكي نحيا اي ما لم نأكل جسده ونشرب دمه بهذا الايمان ليس لنا حياة فينا لان حياتنا الحقيقية تقوم باتحادنا مع الله) وورد في الانجيل الذي بحواش صحيفة ٢٣٠ (وربما كان ايضاً في كلام سيدنا مطابقة للعشاء الرباني الذي رسمه بعد ذلك)

وورد فى ختام ترجمة فم الذهب المطبوع فى مطبعة الانكليز

ان هذا القديس تناول جسد المسيح ودمه ونال الحياة الابدية حسب وعده تعالى ان من يأكل جسده ويشرب دمه يحيا الى الابد ويقوم فى اليوم الاخير (يو ٦ : ٥٤)

والمعترضون انفسهم يعترضون ثانياً قائلين كيف ان من يأكل العشاء الرباني اذا فسر الاصحاح السادس من انجيل يوحنا حرفياً يحيا به الى الابد مع انه مسلم ان كثيرين يتناولون منه ولا يعاينون ملكوت الله واولهم يهوذا الاسخريوطي الذي تناول من السر وهلك . والجواب ان من قواعد تفسير الكتاب ان عباراته المطلقة تفهم بالاغلبية كقوله (اذا ارضت طرق الانسان الرب جعل اعداءه ايضاً يسالمونه (ام ١٦ : ٧) فهذه القاعدة غير مطردة ولذلك فان غرض المسيح ليس التعميم بل الذين يتناولون باستحقاق اما الذي يتناول بغير استحقاق فيأخذ لنفسه دينونة كما

قال الرسول بولس وهذا الاعتراض كما يتناول وعده تعالى لمن يأكل جسده ويشرب دمه بالحياة الابدية يتناول ايضاً وعده لمن يؤمن به ومن المؤكد ان ليس كل من آمن به ينال تمام ذلك الوعد ويحيا حياة ابدية . ثم يقول نفس المعترضين بشأن ص ٦ انجيل يوحنا ان المسيح قال « ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » فكيف ذهب اللص اليمين الى الفردوس بينما هو لم يتعاط فريضة العشاء الرباني ان كانت الآية تشير الى هذه الفريضة

والجواب ان المسيح فضلا عن انه هو صاحب السلطان المطلق وفوق كل شريعة وناموس لم يكن عند ما تكلم فى ص ٦ رسم بعد فريضة العشاء الربانى بل مهد لها تمهيداً وفي ليلة آلامه اعطى الفريضة لرسله فقط ولم يمنحهم السلطان الا بعد قيامته وبدأ عمل الرسل فى الواقع عند حلول الروح القدس

ولا يمكن أن يؤاخذ المسيح شعبه بسبب ناموس ما كان وضع موضع التنفيذ بعد . ومما يجب التنويه عنه انه فى الاصحاح السادس من انجيل يوحنا يشير الوحي الى يهوذا الذي سيسلم المسيح كما اشير اليه صراحة فى ليلة العشاء الرباني مما يدل على تمام الارتباط بين القولين يو ٦ : ٧١

ويوحنا الرسول لعلمه أن الاصحاح السادس من انجيله هو

خاص بسر العشاء الرباني اكتفى به ولم يذكر هذه الفريضة ليلة تسليم المسيح كما ذكرها باقي البشيرين

وهناك اعتراض ثالث من المعترضين وهو ان كان العشاء الرباني هو للمؤمن فقط والمؤمن لا يتقدم للمناولة الا بعد الاعتراف وغفران خطاياه فكيف تكون ذبيحة القداس لغفران الخطايا والجواب أن ذبيحة القداس هي تذكار لذبيحة الصليب والاثنتان ذبيحة واحدة ولا يخفى ان ذبيحة الصليب كانت لاجل غفران الخطايا فان قيل أن ذبيحة القداس التي هي نفس ذبيحة الصليب هي لغفران الخطايا فليس هناك خطأ أو تناقض وقد قيد السيد غفران الخطايا بها (مت ٢٦ : ٢٨) والرسول قال ان من يشترك بها بدون استحقاق يشجب ويدان لعدم تمييزه اياها من غيرها لانها جسد الرب أي ذبيحته فماذا يكون حال من يشترك باستحقاق بها عالماً أنها جسد الرب ذبيحة الرب الا البراءة من الخطية ونوال الغفران منها ؟ وهل للخصم قدرة ان يميز لنا ويعلمنا الفرق بين كون مائدة الرب جسد الرب وبين كونها ذبيحة ؟ الا اذا نفى اسم الجسد عنها بالمرة وخالف كل نصوص كتبه التى تنادي بصوت واحد ولهجة واحدة (ان من يتناول هذا السر باستحقاق يتناول جسد المسيح وكل فوائده)

ويلاحظ أن الكتاب المقدس ذكر في مواضع مختلفة عدة

امور يتم بهاالغفران منها الايمان والتوبة والمعمودية والصلاةودم المسيح وصلاة القسيس على المريض اع ١٠ : ٤٣ و رو ٣ : ٢٥ واع ٢:٣٨و٣ : ١٩و٨ : ٢٢واع ٢٢ : ١٦و٢:٣٨ومت ٦:١٢ ولو ١٨ : ١٣ و ١ يو ١ : ٧ و ١ كو ٦ : ١١ واف ١ : ٧ وعب ٩ : ١٤ ورو ١ : ٥ ويع ٩ : ١٥ .

فان كنا نؤمن ان المسيح يحل فينا عند تناول هذا السر حسب اقرار الخصم أفليس حلوله المقدس فينا يمكن أن يطهرنا من كل اثم ونحن بشر معرضون للخطية فى كل لحظة ؟

ومع ذلك فالكنيسة القبطية لا تمارس فريضة العشاء الرباني للاستعطاف فقط عن الخطايا ولكن تذكاراً أيضاً لموت وصعود وقيامة المسيح ولنوال النعم والبركات التى قال عنها المسيح في انجيل يوحنا وبولس الرسول في رسالة كورنثوس

وهناك اعتراض رابع وهو

ماذا يجرى على الجسد والدم بعد تناولهما هل يعمل فيهما الفساد الذى يعمل في بقية الاطعمة ؛ ونرجو قبل ان نرد على المعترض أن يجيبنا ماذا حصل للطعام الذي تناوله الله والملائكة فى خيمة الأب ابرهيم تك ١٨ : ٨ وفى بيت لوط بسدوم ١٩ : ٣ وما حصل للطعام الذى تناوله السيد المسيح بعد قيامته من الاموات لو ٤ : ٤١ — ٤٣ واع ١٠ — ٤١ ؟

وهناك اعتراض خامس وهو كيف أن المسيح يناول الخبز والخمر ويكون الخبز والخمر هما نفسه أي كيف يكون الواضع موضوعاً ؟ وهنا نسأل المعترض . كيف ان المسيح وهو الاله مالئ السموات والارض حل في بطن مريم بكل ملئه وولد منها وكيف صلب ومات وقام وكيف أن الله واحد وفي الوقت نفسه ثلاثة اقانيم لكل منهم وظيفة خاصة ؟ لا يمكن المعترض ان يجاوب واذا كان عاجزاً عن الجواب بل يعجز عن ادراك المعجزات البسيطة التى عملها المسيح على الارض فلا يصح له أن يعترض على قول المسيح خذوا كلوا هذا هو جسدى فهو قادر وفعال يقول للشيء كن فيكون وما علينا الا الايمان والتسليم

وهناك اعتراض سادس وهو أن بولس الرسول قال في الاصحاح العاشر من ١ كو (كأس البركة التى نباركها أليست هي شركة دم المسيح والخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح) ولم يقل أليس هو جسد المسيح أليس هو دم المسيح ويستدل المعترض من ذلك على ان الخبز والخمر لا يصيران جسده ودمه. وهذا اعتراض سخيف ومنقوض من نفس الالفاظ لانه مسلم ان العشاء الرباني هو شركة بين المؤمن والمسيح وبين المؤمن وباقى المؤمنين والسر تسميه الكنيسة القبطية احياناً سر الاشتراك أو سر الشركة ولكن ألا يكفي المعترض اسناد لفظى

الجسد والدم الى المسيح للدلالة على انهما جسده ودمه ونفس بولس الرسول كرر في الاصحاح الذي يليه أقوال المسيح الدالة على أن الخبز والخمر جسده ودمه واعتباره أن من يأكلهما بغير استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب وغير مميز جسد الرب ولا اصرح من هذه الالفاظ في الدلالة على ماهية السر

وهناك اعتراض سابع بأن الرسول بولس قال في (١ كو ص ١٠ و ١١) اننا جميعاً « نشترك في الخبز الواحد » وكلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس)

وهذه التسمية تدل على انهما لايزالان خبزاً وخمراً بسيطين

والجواب أن الرسول كما قال الخبز والكأس قال في نفس الآيات جسد المسيح ودمه والتسمية في كلتا الحالتين صحيحة لان العلامة المنظورة هي الخبز والخمر وغير المنظورة الجسد والدم وهذا من قبيل قول الانجيل « يسوع الناصري » ابن الانسان «الانسان يسوع» بينما هو في الوقت ذاته «الرب يسوع» «يسوع ابن الله » ومن المعلوم ان كتبة الكتاب لم يخرجوا في مدوناتهم عن قواعد العلم واصطلاحاته وهنا نعني به علم البيان الذي يسمي الشيء باعتبار ما كان كقولهم في التشريع (وآتوا اليتامى اموالهم) اي البالغين ومثله قول الانجيل عن لعازر الحي (فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات باقمطة يو ١١ : ٤٤) وعليه فان قول

الرسول (نشترك في الخبز الواحد) يعني الاشتراك في الجسد الذي كان خبزاً . وهذا امام البروتستانت لوتيروس الذى عدد مزايا العشاء السرى ومنها انه زوادة وحياة للاموات لم يسلب حق المكان الذي يقدم فيه وقال انه مذبح جرياً على قول معلمه الرسول (تاريخ الاصلاح جزء ١ صحيفة ٧٢٣

وهناك اعتراض ثامن وهو ان المسيح اشترك مع التلاميذ في العشاء الرباني فكيف يأكل المسيح جسده ويشرب دمه ؟

والجواب ان المسيح اكل من الخبز وشرب من نتاج الكرمة قبل ان يناول تلاميذه ومفعول السر قاصر على ما اعطاه لتلاميذه بقوله « خذوا كلوا هذا هو جسدى » «خذوا اشربوا هذا هو دمي » وبواسطة هذه الكلمة الفعالة اصبح الخبز والخمر جسده ودمه

وهنا نكتفي بهذه الردود وننصح المعترضين ان لا ينظروا الى سر الافخارستيا بالعين البشرية والعقل البشري ومن الاسف انهم وقعوا في نفس الخطأ الذي وقع فيه الجموع والتلاميذ الذين خاطبهم المسيح في انجيل يوحنا ص ٦ والتاريخ يعيد نفسه « كيف يقدر هذا ان يعطينا جسده لنأكل » « ان هذا الكلام صعب من يقدر ان يسمعه » هذا كان اعتراض سامعي كلام المسيح في ذلك الوقت وهو نفسه اعتراض المعترضين الآن وان تغير الاسلوب وتنوع « الكلام الذى اكلمكم به هو روح وحياة » « لا يقدر أحد

ان يأتي الي ان لم يعط من ابي » كان هذا جواب المسيح لسامعيه وهو الجواب الذي نوجهه للمعترضين الآن ونزيد عليه من الوحى « ليس احد يقدر ان يقول يسوع رب الا بالروح القدس (١ كو ١٢ : ٣) « وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الانسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة . . . . . لان الروح يفحص كل شيء حتى اعماق الله . . . . هكذا أيضاً امور الله لا يعرفها احد الا روح الله ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذى من الله لنعرف الاشياء الموهوبة لنا من الله . التي نتكلم بها ايضاً لا بأقوال تعلمها حكمة انسانية بل بما يعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات ولكن الانسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لانه عنده جهالة . ولا يقدر ان يعرفه لانه انما يحكم فيه روحياً واما الروحي فيحكم في كل شيء وهو لا يحكم فيه من احد ١ كو ٢ : ٤ - ١٦

المسيح قال خذوا هذا هو جسدي وهذا هو دمي وهو امين وعادل وصادق فيجب ان نؤمن ونصدق ونعترف

فان كانت لا تقنعكم اقوال المسيح الصريحة ولا اقوال رسله ولا اقوال آباء الكنيسة الأول ولا المجامع المسكونية ولا اجماع الكنائس المسيحية الرسولية فى كل الاجيال ولا زعيمكم لوثر نفسه فحتى ان قام واحد من الاموات لا تصدقون وان كنتم لا تصدقون

ولا تؤمنون فدعوا ابناء الكنيسة يؤمنون ويصدقون ولا تشككوهم وتسلبوهم ايمانهم ولا يصح انكم لا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون

(سر الكهنوت)

تكلمنا بالاسهاب الوافي عن سر الافخارستيا وبينا انه ذبيحة حلت محل ذبيحة خروف الفصح وذبيحة السلامة والخطية التي كانت ترمز اليها كما رمز اليها خبز ملكيصادق الكاهن وخمره لان السيد قدم لتلاميذه بعد ان اكل فريضة العهد القديم جسده ودمه وجسده ودمه هما ذبيحة ومتى كان ذبيحة فلا بد من كاهن تقدم على يديه هذه الذبيحة . لقد اوجد الله الكهنوت في كنيسة العهد القديم فلا بد من كهنوت في كنيسة العهد الجديد اذ ان الكنيستين في الواقع هما كنيسة واحدة على مثال كنيسة السماء وان اختلفت فيهما الرسوم والطقوس وقد تنبأ الانبياء بكهنوت المسيح وكهنة العهد الجديد بالآيات الكتابية التي اوردناها في موضوع سر الافخارستيا ولا بأس من ان نذكر بعضاً منها هنا على سبيل التكرار لتعلق باذهان القراء تماماً وهي

قال داود النبي « انت كاهن الى الابد على رتبة ملكي صادق » والمقصود بلفظ رتبة طقس أي ان كهنوت المسيح سيكون على طقس ملكي صادق » المبني على ذبيحة الخبز والخمر لا على

طقس هرون المبنى على الذبائح الحيوانية ولا يتأتي تتميم هـذه النبوة ودوام هذا الطقس الى الابد (انقضاء العالم) الا بمباشرة المسيح له على يد خدامه كهنة العهد الجديد

وقال النبي اشعياء في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط ارض مصر . . . . ويعرف المصريون الرب في ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة اش ١٩ : ١٩ — ٢١ وقال في موضع آخر « ويحضرون كل اخوتكم من كل الامم تقدمة للرب واتخذ ايضاً منهم كهنة ولاويين » (اش ٦٦ : ٢٠ و ٢١)

وقال النبي ارميا « في ذلك الزمان انبت لداود غصن البر فيجري عدلاً وبراً في الارض . . . لا ينقطع لداود انسان يجلس على كرسي بيت اسرائيل ولا ينقطع للكهنة اللاويين انسان يصعد محرقة امامي ويحرق تقدمة ويهيء ذبيحة كل الايام » ارميا ٣٣ : ١٥ — ١٨

وهذه النبوات تشير بصراحة الى عصر المسيح والى كهنته وفسرها كل المفسرين بهذا المعنى ومنهم بعض البروتستانت . قال القس ناصر عودة التابع للكنيسة الانجيلية الاسقفية فى موعظة فى الكهنوت المسيحي المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٩٠ ومصدق عليها بحكم من سيادة المطران ج . ف يوهام بليث مطران كنيسة اورشليم الاسقفية ما يأتي شرحاً لنبوة ارميا ٣٣ : ١٥ — ١٨

« فلا شك ان هذه النبوة تشير الى المسيح والى خدمة كنيسته والذبائح الروحية التي يقدمها الخدمة ولا سيما تلك الذبيحة الغير دموية التذكارية اي سر الافخارستيا . وهنا خدمة الانجيل يسمون بذات الاسم الذى يسمى به خدمة العهد القديم »

وقد تنفذت هذه النبوات بفعل فللرب مذبح وكهنة فى مصر وفى سائر انحاء العالم من عهد المسيح الى الآن والى انتهاء الدهر

يقول المعترض ان نظام الكهنوت على الارض ابطل بتقديم المسيح جسده ذبيحة كفارية على عود الصليب وانه هو الكاهن الوحيد الذي دخل قدس الاقداس مرة واحدة وموجود في السماء يشفع فينا ولا وسيط بين الله والناس غير يسوع المسيح الخ والكنيسة القبطية وباقى الكنائس الرسولية لا تنكر ان المسيح هو الكاهن الاعظم والوسيط ورأس الكنيسة ولكن بما ان المسيح بعد قيامته صعد الى السماء ولا يمكن ان يظهر في كنيسة الارض بحالة منظورة رتبت حكمته ان يقيم على الارض وكلاء عنه من بني البشر يقومون بالخدمة المنظورة المتعلقة بخدمة السرائر المقدسة والتبشير والتعليم وادارة الكنيسة وهو هو لا يزال العامل الحقيقي فى كنيسته بروحه القدوس .الكهنوت على الارض لم يبطل وانما تغير .كانت ذبيحة العهد القديم دموية واصبحت فى العهد الجديد غير دموية . كان الكهنوت على طقس هرون

فأصبح على طقس ملكي صادق . كان الله قديماً يستخدم البشر فى الكرازة والتعليم وخدمة المذبح واقامة الشعائر الدينية وحلول المواهب والبركات الخ ولا يزال يستخدم البشر فى القيام بهذه الوظائف عينها ولكن بطريقة اكمل وبالاجمال ان خدام العهد الجديد وان كانوا لم يسموا دائماً فى كتاب العهد الجديد كهنة ولكن سماهم الوحي فى النبوات التي ذكرناها كهنة وهم فى الواقع يؤدون وظيفة كهنة العهد القديم بكل معنى الكلمة والعبرة ليست بالتسمية ولكن بالخدمة ونوعها ونفس كهنة العهد القديم كانوا يلقبون خدام الرب وبعبارة اخرى ان لفظ كاهن وخادم الرب لفظان مترادفان ثم ان تسمية أحد خدام الانجيل مرة فى الكتاب كتاب العهد الجديد باسم كاهن هي اقوى دليل على ان هذه التسمية تطلق على كل خادم انجيل نال مزايا خدمته بدليل ان برهاناً واحداً فى علم الهندسة يقوم مقام مئة برهان فقد اطلق الرسول على ذاته وصفاته اسم الكاهن وذلك بقوله (وقد اجترأت قليلا فيما كتبت اليكم ايها الاخوة كمن يذكركم على مقتضى النعمة التى وهبت لي من الله لاكون خادماً للمسيح يسوع فى الامم واباشر خدمة انجيل الله الكهنوتية حتى يكون قربان الامم مقبولاً ومقدساً بالروح القدس رو ١٥ : ١٥ و١٦ ثم ان اسم الكاهن في العهد القديم اطلق على فريق من الناس وبني لوي لالانهم كانوا يقربون

الذبائح فقط بل لسببين آخرين وهما الفصل في الدعاوى والمشاكل وتعليم الناس شريعة الله.

فعن السبب الاول كما ورد فى (تث ١٧ : ٨ ــ ١٣) وعن السبب الثاني كما ورد في (ملا ٢ : ٥ ـ ٧) وربما اتسع لاسم الكاهن اكثر من هذه المعاني كما ورد عن ابني داود انهم كانوا كهنة (٢ صم ٨ :١٨) وعن عيرا اليائيري انه كان كاهناً لداود (٢صم ٢٠ : ٢٦ وعن زابود بن ناثان انه كان كاهناً وصاحب الملك (١مل ٥ : ٥) وفي (١ اي ١٨ : ١٧) ايضاح لمعنى هذا الاسم بقوله عن بني داود الكهنة انهم كانوا يقومون بين يدي الملك

ومن ينكر على خدام العهد الجديد حيازتهم لصفات ومزايا اولئك الكهنة كهنة العهد القديم المومأ اليها فانه بالنظر لمزية الفصل في الدعاوى فقد خص السيد رسله وخلفاءهم بها بقوله المدون في (مت ١٨ : ١٥ — ٢٠) وبالنظر الى التعليم والارشاد فقد منحهم السلطان عليهما بنطقه الوارد فى مت (٢٨ : ١٩ و ٢٠) فبقيت نقطة الخدم الدينية واداء شعائر العبادة وخدمة الاسرار لاسيما سر الافخارستيا الذى تدور حوله رحى البحث وتقف عنده نقطة الجدال

وبينما المشيخي ومن نحا نحوه ينكر الكهنوت قولاً يعتبره فعلاً فلا يقوم بخدمة السرائر كالمعمودية والعشاء الرباني والزواج

ومنح البركة الرسولية الخ الا القس وقد ذكرنا في موضوع سر الافخارستيا ان الشيخي يعتقد بالنعم التى تحل على المؤمن عند تناوله هـذا السر باستحقاق فهل كان يمكن بدون واسطة القس نوال هذه النعم أليس السر ونعمته مرتبطين بوجود القس . اذاً يسقط اعتراض الشيخي على الكهنوت المسيحي

يقول بعض المعترضين انه ورد فى الـكتاب ان الله جعل المؤمنين « ملوكاً وكهنة لله ابيه » رؤ ١ : ٦ (تحية الرسالة من يوحنا الى الـكنائس) وانهم « جنس مختار وكهنوت ملوكى امة مقدسة شعب أقتناء ١ بط ٢ : ٩ » وانهم يبنون « حجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح ١ بط ٢ : ٥) وأن الرسول قال « اطلب اليـكم ايها الاخوة برأفة الله ان تقدموا اجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتـكم العقلية رو ١٢ : ١ » وانه قال فى موضع آخر « فلنقدم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه معترفة باسمه ولـكن لاتنسوا فعل الخير والتوزيع لانه بذبائح مثل هذه يسر الله عب ١٣ : ١٥و١٦ »

ويستنتجون من ذلك ان جميع المؤمنين كهنة وان الذبائح هي العبادة العقلية والتسبيح وفعل الخير والتوزيع وليس هناك ذبائح اخرى تحتاج الى كهنة خصوصيين . على ان هذه الآيات هي

اقوال مجازية فيها منتهى البلاغة تحث على التقوى والفضيلة وتسبيح الله وعمل الخير ولا علاقة لها بخدمة السرائر التى امتاز بها اناس مخصوصون . وفي الوقت الذي ذكرت فيه لفظة « كهنة » ذكرت فيه لفظة « ملوك » . وعبارة « كهنوتاً مقدساً » سبقتها عبارة « بيتاً روحياً » فان اخذ اللفظ حرفياً بالنسبة لكلمتي كهنة و كهنوت لترتب ان يؤخذ حرفياً بالنسبة لكلمات ملوك وبيت روحي وكيف يكون المؤمنون ملوكاً وبيتاً بالمعنى الحرفي

على انه يمكن تفسير هذه الآيات من وجهة اخرى وهي ان الالفاظ الواردة بها تشير الى الكهنوت العام الذى يشترك فيه جميع المؤمنين باعتبار ان كلا منهم كاهن يقدم لله ذبائح التسبيح والعبادة العقلية والعطاء والتوزيع وهذا لا ينفى وجود الكهنوت الخاص

ومن وجهة ثالثة يمكنا ان نقول بحق ان المسيح رأس الكنيسة هو كاهن وملك وبانتسابنا اليه واتحادنا به نصير اهلاً للاشتراك روحياً معه فى هذا اللقب وليس هذا قاصراً على المؤمنين الذين اتوا بعد المسيح ولكن يشمل المؤمنين بهمن كنيسة العهد القديم. لقد قال الله لموسى «وانتم تكونون لي مملكة كهنة وامة مقدسة»

خر ١٩ : ٦ — وهو تقريباً نفس النص المقتبس في آيات العهد الجديد

والعبادة العقلية والتسبيح وفعل الخير والتوزيع ليست من وصايا العهد الجديد فقط بل هي نفسها وصايا العهد القديم ومع انتساب المؤمنين فى ذلك العهد للمسيح ومع وجود هذه الوصايا كان كهنة اليهود يؤدون وظيفتهم وما يسرى على هؤلاء يسرى على كهنة العهد الجديد الذين هم مثلهم سواء بسواء

ومما يدل على ان هناك كهنة خصوصيين للعهد الجديد علاوة على ما ذكرناه ما انبأ به ملاخي النبي ٣ : ١ — ٣ « ويأتى بغتة الى هيكله السيد الذى تطلبونه وملاك العهد الذى تسرون به . . . . . فيجلس ممحصاً ومنقياً للفضة فينقي بنى لاوي ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر »

قال القس ناصر عوده الاسقفى في موعظته عن الـكهنوت المسيحي آنفة الذكر تعليقاً على هذه الآية « لا نستطيع ان نفسر هذه النبوة الا عن تنقية المسيح خدمة دين لنفسه من وسط شعبه المسيحي لاننا ان فسرناها عن كهنوت المسيحيين العام نغلط لان المراد هو تنقية ليس كل الشعب بل سبط من وسط الشعب وذلك السبط هو السبط المعين لخدمة القدس . واما بقية

الشعب بجماته فيدعى فى النبوة يهوذا واورشليم » (عدد ٤) حتى المفسر الشهير سكوت سلم ان هذه النبوة والنبوة المذكورة فى ارميا التى مر ذكرها تشيران الى خدمة الدين المسيحيين بالامتياز عن كهنوت المسيحيين العام

« ان كان الله لم يقصد فى العهد الجديد ان خدمة الدين يكونون كهنة خاضعين للكاهن الحقيقى الوحيد وان كان الاعتقاد بذلك تجديفاً كما يزعم البعض ومغايراً لكهنوت المسيح الحقيقي الوحيد فلماذا الهم الله ارميا ان يتنبأ عن خدمة (كهنة) تحت حكم ابنه فى العهد الجديد

« وان كان الله لم يقصد فى النظام المسيحي ان توجد خدمة كهنوت بين رياسة كهنوت ابنه وكهنوت المسيحيين العام فلماذا جعل ملاخي يتنبأ عن ابنه ان عند مجيئه الى العالم ينقي ليس اسرائيل فقط بل بنوع خصوصى « بني لاوي » اي سبطاً واحداً من وسط الشعب المقدس مفرزاً الى خدمة المذبح مختاراً عن اخوته »

وقال سيادة المطران بليث فى حكمه على هذه الموعظة « ربما لا يوجد عضو فى الكنيسة يرتاب فى صحة حكم ارونيموس المقدم من الاسقف ورتسمورث

" Ecclesia non est qua habet sacerdotes "

أي أن « الكنيسة التي ليس لها كهنة ليست بكنيسة »

الخلافة الرسولية . اثبتنا وجود الكهنوت المسيحي وهذا يؤدى بنا الى الكلام عن الخلافة الرسولية فقد اختار المسيح اثني عشر رسولا ليكونوا رؤساء على كنيسته واعطاهم أرسالية مثل ارساليته بقوله (كما ارسلني الاب ارسلكم انا (يو ٢٠ : ٢١) ولما وجد عددهم غير كاف للعمل عين سبعين ولكن لم يزل مركز الاثني عشر رسولا ممتازاً وبهلاك يهوذا اصبحوا احد عشر رسولا وعين الروح من يأخذ مكانه ووقعت القرعة على متياس اع ١ : ٣٦ ثم امر الروح بفرز بولس وبرنابا للعمل فوضع الرسل الايدي عليهما اع ١٣ : ٢و٣ وبمقتضى هذا السلطان الممنوح لبولس رسم بولس تيموثاوس وتيطس ولم يرسمهما فقط بل اعطاهما السلطان ان يكرسا آخرين وهكذا تسلسلت الخلافة الرسولية الى يومنا هذا وستظل الى ماشاء الله مصداقاً لقول المسيح لتلاميذه ها انا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر مت ٢٨ : ٢٠ والايات تتبع المؤمنين مر ١٦ : ١٧ والخلافة الرسولية موجودة الان في عدة كنائس من ضمنها الكنيسة القبطية التى تبتدىء فيها سلسلة البطاركة من مار مرقس الرسول الى غبطة البطريرك الحالي

ونظام الكهنوت المسيحي والخلافة الرسولية المسلمين من المسيح ورسله اعترف به جميع آباء الكنيسة الاقدمين واجمعت على صحته كل الكنائس شرقا وغرباً عدا البروتستانت ولكن ليسوا كلهم فان الكنيسة الاسقفية الانجليزية تعترف بالكهنوت والخلافة كما رأينا من الاقتباسات التى نقلناها عن بعض قسوسها واساقفتها . ولاعجب ان انكر باقي البروتستانت الخلافة والكهنوت فان لوثر زعيمهم انشأ الكنيسة البروتستانتية بدون سلطان منح له وبالعكس كان قساً بسيطاً وجرد من رتبة الكهنوت فطعنه هو وانصاره واتباعه في الخلافة الرسولية والكهنوت لا يلتفت اليه لانه طعن ذي غرض فان اعترف بالخلافة الرسولية كان لا مناص من فشل دعوته والاقرار ببطلان كنيسته فيكون كالساعي على حتفه بظلفه

قال احد قسوس الكنيسة الاسقفية فى نبذة له عن الخلافة الرسولية « راجع اللآلىء النفيسة طبعة ثانية جزء ثان صحيفه ٢٧٥ » « ومما ذكر يتضح جلياً انه لايتأتى لاي انسان ان يقلد نفسه وظيفة الكهنوت لاحسب شريعة التوراة ولا الانجيل كما قال الرسول بل المدعو من الله كما هرون ايضاً عب ٥ : ٤ ولا يمكنه ان يقبلها ممن ليس لهم الحق في منحها كما فعل ميخا قض ١٧ : ٣ ويربعام ١ مل ١٣ : ٣٣ وقال الرسول عن دعاة ورعاة زمانه

الكاذبين لان مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ما كرون مغيرون شكلهم الى شبه رسل المسيح ٢ كو ١١ : ١٣ وقال الروح القدس عنهم انا عارف اعمالك وتعبك وصبرك لانك لا تقدر ان تحتمل الاشرار وقد جربت القائلين انهم رسل وليسوا رسلا فوجدتهم كاذبين رؤ ٢ : ٢ » ان الله عين اناساً مخصوصين فلا يحق لانسان ان ينازعهم هذا السلطان او يشاركهم فيه . لقد دعا المسيح بولس الرسول للخدمة بصوت من السماء (اع ٩:١٥) واعلن الروح القدس اختياره اياه للخدمة بقوله « افرزوا لي شاول وبرنابا للعمل (اع ١٣ : ٢) ورغماً عن ذلك لم ينل شاول (بولس) موهبة الخدمة الا بعد وضع يد الرسل عليه فصلى الرسل وصاموا ووضعوا عليهما الايدي (اع ١٣ : ٣) مع ان المسيح هو الذي اختاره والروح القدس عينه للخدمة بالذات وذلك لان الله إله نظام فهو الذي رتب الكهنوت بوضع اليد وانتقاله بالتسلسل من يد الى يد ولا يسمح بالاخلال بنظامه

ألم يقل قورح ورفقاؤه لموسى وهرون « ان كل الجماعة مقدسة » واباحوا لانفسهم تأدية خدمة الكهنوت وتقديم البخور وماذا كانت النتيجة ؟ افتتحت الارض فاها وابتلعتهم مع ذويهم وكافة مقتنياتهم عدد اصحاح ١٦ . أليس لفظ كل الجماعة مقدسة » هو عين لفظ « كل المؤمنين كهنوت مقدس » فاحذر ايها الاخ

من قول الرسول يهوذا ويل لهم لانهم هلكوا في مشاجرة قورح هؤلاء صخور في ولائمكم المحبية صائمين ولائم معاً بلا خوف راعين انفسهم (يهوذا ١١ و ١٢

اما وقد اثبتنا الكهنوت فيجب ان نبين مراتبه في الكنيسة القبطية « وضع الله اناساً فى الكنيسة اولاً رسلاً ثانياً انبياء ثالثاً معلمين ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء انواع تدابير وانواع ألسنة الخ ١ كو ١٢ : ٢٨ ـ ٣٠ كل حسب موهبته الخاصة

درجات الكهنوت — الكهنوت في الكنيسة القبطية على ثلاث درجات الشماس والقس (او الشيخ) والاسقف

اما الشماس ومعناه خادم فرتبته اقل درجات الكهنوت ووظيفته القيام بجمع الصدقات وتوزيعها وافتقاد المرضى والارامل وله ان يعلم ويعظ باذن الاسقف اذا كانت وظيفته من وظايف الكهنوت والا فيكون عمله قاصراً على جمع الصدقات وتوزيعها فقط كما كان يعمل الشمامسة السبعة الذين رتبهم الرسل لهذا العمل فقط باجماع عموم المفسرين واما الشمامسة الذين كان لهم نصيب من درجات الكهنوت فهم الذين ذكرهم الرسول في فاتحة رسالته الى أهل فيلبي وعمل هؤلاء الديني يفهم من اسمهم وهو (خدام) من خدمتهم اثناء تقديس الاسرار واداء شعائر العبادة. وموهبة الخدمة عينها الكتاب لمثل ذلك كما قال الرسول (ولكن لنا مواهب

مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا أنبوة فبالنسبة الى الايمان ام خدمة ففي الخدمة أم المعلم ففي التعليم أم الواعظ ففي الوعظ (رو ١٢ : ٦ و ٧) هكذا فهم علماء البروتستان من موهبة الخدمة كما قال معلمهم الدكتور يوحنا هوج فى كتاب مرآة الاكتشاف وجه ٥٩ (ان السيح اعطى الكنيسة رعاة ومعلمين لاجل عمل الخدمة هذه الخدمة تتضمن ما هو ضرورى لتكميل القديسين وبنيان جسد المسيح . فاذاً هذه الخدمة تتضمن ممارسة العشاء الرباني الا اذا كان ذلك غير ضرورى لتكميل القديسين وبنيان جسد المسيح) وعليه فهذه الخدمة يمكن الشمامسة الاولاد الصغار ان يساعدوا بها الكهنة والاساقفة كما يساعدهم بها الشمامسة البالغون او الرجال ما دام يكونون ذوي وقار لا ذوي لسانين غير مولعين بالخمر الكثير ولا طامعين بالربح القبيح حسب شروط الرسول التي طلب ان تكون متوافرة فيهم لا اكثر

ومن ذلك يتضح ان لا لوم على الكنيسة القبطية لانها جعلت ان يكون خدام الكهنة خدام المذبح غالباً من ذوي السن الصغير ذوي القلوب السليمة الخالية من الغش المفعمة من الوقار التي لم تتفتح بعد للتبدخ فى الشرب ولم تعرف الربح القبيح لا سيما وان لها مسوغاً من خدمة صموئيل الصبي والملاك الطاهر فى خيمة الاجتماع وقدس الاقداس

وبالاجمال ان الشماس مساعد للقس او الاسقف ولكن لايمارس الاسرار . ويتفرع من هذه الوظيفة ثلاث وظائف معين الشماس (حامل الكتب ومصلح المصابيح اثناء القداس الخ) والقاريء والمرتل وكل من هؤلاء الثلاثة لا يعمل الا ما تدل عليه وظيفته .

والقس وهو كلمة سريانية معناه الشيخ الكبير هو ذو المرتبة الثانية من مراتب الكهنوت ويدخل في هذه المرتبة القمص او الايغومانوس وهى لفظة يونانية ومعناها (كبير القسوس اومدبرهم) ولا فارق يذكر بين القس والقمص فى الوظيفة الدينية والفرق اداري محض . والقس وظيفته خدمة السرائر .(عدا وضع اليد والرسامة فانهما من حقوق الاسقف) ورعاية الشعب والوعظ والتعليم حسب استعداده .

اما الاسقف فهو المرتبة الاولى من مراتب الكهنوت ويرأس باقى الكهنة والشمامسة والرعية ويمتاز بموهبة وضع اليد او الرسامة . ويتفرع من هذه الوظيفة مطران (أى اسقف المدينة الام اوالعاصمة وهو رئيس على الاساقفة الذين يكونون في دائرته) وبطريرك ومعناه رئيس الاباء — وبابا وهى على رأى البعض كلمة عربية مشتقة من لفظ اب أباء وتحرفت الى بابا وعلى رأى البعض الاخر كلمة يونانية معناها اب (وأول من سمي بها بطريرك الاسكندرية)

والاسقف والمطران والبطريرك والبابا وظيفتهم الكهنوتية من الوجهة الدينية واحدة والاختلاف اداري محض

ودرجات الكهنوت الثلاث الشماس والقس والاسقف منصوص عنها صراحة فى الكتاب المقدس وجرت عليها جميع الكنائس من بدء التاريخ . وبعض الكنائس البروتستانتية تحترم هذه الثلاث مراتب ومنها الكنيسة الاسقفية الانكليزية ولا اظن ان احداً يعترض عليها

(عدم زواج الاساقفة وعدم زواج القسوس والشمامسة مرة ثانية)

وقبل ان نختم سر الكهنوت يحسن بنا ان نتكلم قليلاً عن هذا الموضوع الامر الذي يعير البروتستانت الكنيسة القبطية به فنقول

علمنا عند ذكر اسرار الكنيسة ان الزواج سر من اسرارها والكنيسة القبطية تقدسه عملاً بقول الكتاب ولان عليه يتوقف نمو الكنيسة وازديادها وقد كان بعض الانبياء متزوجين ومعظم رسل المسيح كانوا ذوي زوجات تركوهن بعد دعوة المسيح لهم فمن الوجهة الدينية لا تمانع الكنيسة القبطية من ان تختار اساقفة من القسوس المترملين وقد كان الانبا ديمتريوس الكرام أحد بطاركة الكنيسة المشهورين وصاحب الحساب

الابقطي متزوجاً ولو انه كان ناذراً البتولية هو وزوجته من البدء ولم يقتربا) وقد رسمت الكنيسة عدة اساقفة كانوا متزوجين بعد ان ترملوا لايزال نسلهم موجوداً في كثير من جهات القطر ويلقبون بنسل الاسقف ولكن الكتاب الذى قدس الزواج اجاز البتولية وفضلها . قال الوحى عن لسان النبي اشعيا ص ٥٦ : ٣ — ٥ « ولايقل الخصي ها انا شجرة يابسة لانه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي ويختارون مايسرني ويتمسكون بعهدى اني اعطيهم في بيتي وفي اسواري نصباً واسماً افضل من البنين والبنات واعطيهم اسماً ابدياً لاينقطع »

وقال السيد المسيح (ليس الجميع يقبلون هذا الكلام (البتولية) بل الذين أعطي لهم لانه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون امهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيان خصوا نفوسهم لاجل ملكوت السموات من استطاع ان يقبل فليقبل مت ١٩ : ١١ و١٢

وقال الرسول بولس (واما من جهه الامور التى كتبتم لى عنها فحسن للرجل ان لا يمس امرأة ... لانى اريد ان يكون جميع الناس كما انا . لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله الواحد هكذا والآخر هكذا . ولكن اقول لغير المتزوجين

وللارامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما انا ..... فاريد ان تكونوا بلاهم ..غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب — واما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي امرأته . ان بين الزوجة والعذراء فرقاً . غير المتزوجة تهتم فيما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً واما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها .... واما من قام راسخاً فى قلبه وليس له اضطرار بل له سلطان على ارادته وقد عزم على هذا في قلبه ان يحفظ عذراءه فحسناً يفعل . اذاً من زوج فحسناً يفعل ومن لا يزوج يفعل احسن (١ كو ٧ : ١—٣٨)

وجاء في سفر الرؤيا وصف للابكار المائة واربعة واربعين الفاً الذين لم يتنجسوا مع النساء لانهم اطهار هؤلاء هم يتبعون الخروف حيثما ذهب هؤلاء اشتروا من بين الناس باكورة لله والخروف » رو ١٤ : ١ — ٥

ولا يخفى انه بعد انتشار الديانة المسيحية تأصلت في الناس مباديء العفاف واقبل الكثيرون من الامراء والعلماء والفضلاء على التنسك والتبتل طائعين مختارين فاستحسنت الكنيسة حباً فى الصالح العام واتباعاً للطريق الاكمل ان تجعل الاساقفة وهم يعدون على الاصابع من هؤلاء الاتقياء ليتفرغوا لخدمة الكنيسة ولا يشغلهم شاغل عن الخدمة واجازت لمن ماتت زوجته ونذر نفسه للرب تولي هذه الوظائف ولم تشاء الكنيسة الارثوذكسية

خلافاً للكنيسة البابوية ان تثقل على باقى رجال الاكليروس الممتزجين بالشعب اي القسوس والشمامسة وتعمم عليهم هذا القانون بل سلكت طريق الاعتدال

يقول بعض المعترضين ان اقوال بولس الرسول بشأن البتولية هي رأى شخصي له بدليل ما جاء فى هذا الاصحاح « ولكن أقول هذا على سبيل الاذن لا على سبيل الامر » « واما الباقون فاقول لهم انا لا الرب » « ولكنها اكثر غبطة ان لبثت هكذا حسب رأبي » « واظن اني انا ايضاً عندى روح الله » الخ

ولا اجد رداً على المعترضين احسن مما جاء فى كتاب نظام التعليم في علم اللاهوت القويم البروتستانتي جزء ١ صحيفة ٨٥

« جاء في ١ كو ٧ : ٦ ولكن اقول هذا على سبيل الاذن لاعلى سبيل الامر وهو يشير الى ماجاء فى العدد الثانى من هذا الاصحاح ومعناه ان الزواج ليس تحت الاذن وانه ترك لارادة كل انسان

« وجاء في ١ كو٧: ١٢ واما الباقون فاقول لهم انا لا الرب ولما قال الرسول في العدد العاشر واما المتزوجون فاوصيهم لا انا بل الرب) فانه انما اراد ان يميز فى هذا العدد بين تعليم المسيح وهو على الارض في هذا الموضوع الوارد في مت ٥ : ٣٢ و١٩ : ٩ — ٩ وتعليمه . وهو ليس بمعنى ان تعليمه مخالف لتعليم

المسيح بل انه زاد اموراً لم يذكرها المسيح حينئذ وجاء فى ١ كو ٧ : ٤ ولكنها اكثر غبطة ان لبثت هكذا بحسب رأيي واظن اني انا أيضاً عندي روح الله . فالفعل (ظن) هنا يفيد في اليوناني العلم اواليقين وهذا الفعل فى العربية يدل على الرجحان وعلى اليقين أيضاً كما في اليوناني »

ولعلم البروتستانت ان بولس الرسول في الآيات التي ذكرت يبرهن عن رأي الوحي قد أجازوا الطلاق في كتاب أحوالهم الشخصية في حالة ترك الدين المسيحي اعتماداً على قول الرسول « ولكن اذا فارق غير المؤمن فليفارق » (١ كو ٧ : ١٤) ولا يخفى ان هذه الآية جاءت لاحقة لآية « وأما الباقون فأقول لهم انا لا الرب » يعني انه حسب رأى الرسول الشخصي كما يزعمون فكان يلزم أن يجعلوه من سقط المتاع

يعترض المعترضون ايضاً ان بولس الرسول قال « فيجب ان يكون الاسقف بعل امرأة واحدة ... يدبر بيته حسناً له اولاد فى الخضوع بكل وقار وأما ان كان احد لا يعرف ان يدبر بيته فكيف يعتني بكنيسة الله » (١ تي ٣ : ٢ — ٥) فكيف لا يتزوج الاسقف والرسول يقول (يجب) ومع ان لفظة الاسقف هنا يمكن تفسيرها بمعنى القس كما نصت الترجمة السريانية فان لفظة يجب هنا لاتفيد الالزام والتحتيم والا لكان من المحتم ان يكون

للاسقف اولاد أيضاً وكلنـا نعلم أن ليس كل متزوج يكون له اولاد وأن افادت الالتزام والتحتيم فانها تقيد مايليها مبـاشرة وهو قول الرسول (بلا لوم) يجب ان يكون الاسقف بلا لوم حسب ماورد في (تي ١ : ٧و٨و٩)

ومما يدل على عـدم وجوب الزواج اقوال بولس الى تيطس ص ١ : ٥ — ٨ « من اجل هذا تركتك في كريت لـكي تكمل ترتيب الامور الناقصة وتقيم في كل مدينة قسوساً كما اوصيتك ان كان أحد بلا لوم بعل امرأة واحدة له اولاد مؤمنون ليسوا في شكاية الخلاعة ولا متمردين لانه يجب ان يكون الاسقف بلا لوم كوكيل الله غير معجب بنفسه ولا غضوب ولا مدمن الخمر ولا طامع في الربح القبيح » وواضح من هـذه الآية ان الزواج لم يكن من الشروط الواجبـة لانتخاب الاسقف . وقد عرفنا ان الرسول بولس كان يفضل عدم الزواج ويرغب جميع الناس فيه لـكي يهتموا بما للرب فمن باب اولى يفضله بالنسبة للرعاة وهو نفسه كان اسقفاً غير متزوج فلا يمكن أن يقال بعدم توافر شروط الاسقفية فيه لعدم زواجه

يبقى علينا موضوع عدم تصريح الـكنيسة لمن تموت زوجته من القسوس والشمامسة بالتزوج مرة ثانية. هذا التعليم مأخوذ من الـكتاب المقدس نفسه . كما قال الرسول بولس (١ تى ٣ : ٢)

ان الاسقف (او القس) يجب ان يكون بعل امرأة واحدة وكرر مثل هذا النص تقريباً فى رسالته الى تيطس (١ : ٦) وقال ليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة (١ تي ٣ : ١٢) وقال أيضاً (في ص ٥ : ٩ — ١٢) لتكتتب أرملة ان لم يكن عمرها أقل من ستين سنة امرأة رجل واحد

هذه النصوص الثلاثة صريحة لاتحتاج الى تأويل ولكن البروتستانتي كعادته يفسر النصوص الواضحة بمعان لاتدل عليها مدلولاتها فيقول ان المقصود ان لايكون الاسقف او الشماس متزوجاً باكثر من امرأة واحدة في آن واحد وهذا التفسير منقوض

اولاً — لان جميع آباء الكنيسة المسيحية من عهد نشأتها وهم من اكبر علماء الكتاب فهموا المعنى حسب الفهم الذي فهمته الكنيسة القبطية وسارت عليه جميع الكنائس الرسولية جميع الاجيال ولم يقل احدهم بالتفسير الذي بقوله البروتستانتي

(٢) ان تعبير الرسول مطلق يشمل حالة الاسقف او الشماس قبل تعيينه وبعده وفي كل ادوار حياته ولم يكن مقيداً بزمن مخصوص وحالة معينة

ثالثاً — ان الكنيسة سلمت من البدء وصية عدم تعدد الزوجات بالنسبة لكل المؤمنين (١ كو ٧ : ٢) وهذا النص الخاص

بالاساقفة او الشمامسة لم يوضع للجيل الذي كتب فيه الرسول رسالته وانما للمسيحيين في كل الاجيال ولا يمكن ان يخطر على بال الرسول تعدد الازواج عند وضعه هذا التعليم

رابعاً — مما يدحض كل اعتراض البروتستانتي النص الخاص بالارملة وهي الارملة التي تتعين شماسة فقد اشترط فيها كالشماس والاسقف ان تكون امرأة رجل واحد ولا يمكن ان يتصور اصلا ان الرسول يقصد امرأة مؤمنة متزوجة باكثر من رجل واحد في آن واحد واذا كان الامر كذلك أفليس لفظة امرأة رجل واحد هو عين لفظة بعل امرأة واحدة وما مراد الرسول بقوله (امرأة رجل واحد) ؟ سوى ترملها عن زواجها مرة واحدة في حياتها وهو عين مراده من قوله (ليكن الاسقف بعل امرأة واحدة) لا اكثر

واذا كان الرسول فضل عدم زواج المرأة العادية بقوله « ولكنها اكثر غبطة ان لبثت هكذا حسب رأيي . واظن اني انا أيضا عندي روح الله » (١ كو ٧ : ٤٠) أفلا يكون ذلك اوفق والزم بالنسبة للقس ؟

اكثر من ذلك ما قاله الرسول « اما الارامل الحديثات فارفضهن لانهن متى بطرن على المسيح يريدن أن يتزوجن ولهن دينونة لانهن رفضن الايمان الاول » ١ تي ٥ : ١١و١٢ وهذا

النص لا يدع مجالاً للشك في غرض الرسول بأنه لا يصح للارملة الشماسة أن تتزوج مرة ثانية وان تزوجت تعتبر انها بطرت على المسيح وتستحق الدينونة . واذا كان هذا حكم الوحي على الشماسة الصغيرة فكم يكون الحكم على القس وكم تكون دينونته اعظم اذا تزوج مثنى وثلاث ورباع وتجاسر على البقاء في الخدمة الدينية

ان القس قدوة للمؤمنين فيجب أن تتوافر فيه كل شروط القيادة التى منها العفاف وقوة الارادة وضبط هوى النفس ومحاربة الجسد واحتمال التجربة ليتمكن من ان يعين المجربين من ابناء الكنيسة التى يرعاها

أما القس الذي يتزوج مثنى او ثلاث أو رباع فهو جسداني لا يصلح لقيادة الشعب في الطريق الروحي الذي حسب تعبير السيد المسيح هو الباب الضيق ولذلك تنزله الكنيسة من منصب القيادة الروحية

هذه هي مبادىء الكنيسة القبطية وهي مبادىء الكتاب نفسه المبنية على اسمى الفضائل والكمال الانساني ولكن دأب المعترضين انتقاد الكنيسة القبطية حتى على الفضائل

(سر الاعتراف)

أمر الله بالاعتراف بالخطايا في العهد القديم والعهد الجديد ولا ينازع البروتستانتي في وجوب الاعتراف وانما يقول ان الاعتراف واجب لله رأساً بدون واسطة كاهن أوقس ورأيه منقوض بالادلة الآتية

أولاً — قال الوحي عن لسان يعقوب الرسول(اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات) ولا اصرح من هذا النص في دحض رأي البروتستانتي بقوله أن الاعتراف لا يكون الا لله وحده

ولنبحث الآن في من هو البعض الذى يطلب الرسول الاعتراف عليه وللوصول الى ذلك يجب ان نأتي بكل اقوال الرسول في هذا الموضوع قال أمريض احد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بالزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطية تغفر له اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لاجل بعض لكي تشفوا طلبة البار تقتدر كثيراً فى فعلها يع ٥ : ١٤ — ١٢ »

وبالتأمل فى هذا القول نجد انه يحتوى على جزئين مرتبطين احدهما يرددمعنى الاخر ويزيده ايضاحاً فلفظ «قسوس الكنيسة

ليصلوا عليه » يقابله لفظ » صلوا بعضكم لاجل بعض لكي تشفوا » ولفظ « ان كان فعل خطية تغفر له » يقابله لفظ « اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات » لانه لا غفران بدون توبة واقرار بالخطية ولفظ « صلاة الايمان تشفي المريض » يقابله لفظ « طلبة البار تقتدر في فعلها » وكلمة « لبعض » في لفظ اعترفوا بعضكم لبعض تعود على كلمة « بعضكم » فى لفظ صلوا بعضكم لاجل بعض وهاتان الكلمتان وكلمة « البار » تعود على كلمة « قسوس » ويكون المعنى الذى يقصده الرسول كالآتي

أمريض احد بينكم فليدع قسوس الكنيسة ويعترف لهم بخطاياه فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وبواسطة هذه الصلاة المقرونة بالايمان يشفى المريض من مرضه الجسدي ومرضه الروحي

وبغير هذا التفسير لا يمكن ان يستقيم المعنى الذي يريده الرسول اذ انه خص صلاة الشفاء فى بدء حديثه بالقسوس فلا يمكن ان ينصرف لفظ « صلوا بعضكم لاجل بعض لكي تشفوا » الا اليهم والا لو فسر بأنه يشمل كل اعضاء الكنيسة لانتفى التخصيص الذى ذكره الرسول فى بدء حديثه ويكون قوله هذا عبثاً ومناقضاً لباقي الحديث وحاشا أن يكيل الوحي القول جزافاً وان يناقض نفسه بنفسه وكلمة « البار » الواردة فى الحديث تؤيد

أن الصلاة مطلوبة من شخص ممتاز مثله الرسول فى بقية الاصحاح بايليا النبي ولا يوجد شخص ممتاز فى الكنيسة غير راعيها المفروض فيه توافر الصفات التى اشترطها الرسول بولس

وهو فى الواقع الذى تصح مقارنته بايليا النبى لان ايليا حبس المطر عن بنى اسرائيل بقوله « حي هو الرب اله اسرائيل الذى وقفت امامه ان لا يكون طل ولا مطر في هذه السنين الا عند قولي » ١ مل ١٧ : ١ — وتم قوله ولم تمطر السماء الا بأمره بعد ثلاث سنوات وستة اشهر والكلمة الفعالة التى أعطاها الرب لايليا هي عينها المعطاة لخدامه في العهد الجديد

ومتى كانت كلمة « بعضكم » فى لفظ صلوا بعضكم لاجل بعض تعود على القسوس وحدهم كما رأينا فكذلك تعود كلمة « لبعض » فى لفظ اعترفوا بعضكم لبعض عليهم ايضاً اذ ان الكلمة واحدة وسياق الحديث يؤدي الى ذلك لان غفران خطية المريض يتوقف على اعترافه أولاً « ان اعترفنا بخطايانا فهو امين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم ١ يو ١ : ٩ — واقتران شفاء المرض الجسدي بشفاء المرض الروحي يدل على أن الواسطة في الاثنين شخص واحد وهو القس فالاعتراف الذى يأمر به الرسول يكون حينئذ للقس دون اي شخص سواه والرسول لم يأت

بتعليم جديد وانما أيد الآيات الكتابية الاخرى التى سنذكرها فيما يلي

ثانياً — نقرأ فى سفر اعمال الرسل ص ٥ : ١ — ١١ حادثة حنانيا الذى باع ملكاً له واختلس من الثمن وامرأته لها خبر بذلك » (اع ٥ : ١) ووقوعه ميتاً لما وبخه الرسول. قال الكتاب « ثم حدث بعد مدة نحو ثلاث ساعات ان امرأته دخلت وليس لها خبر ماجرى فاجابها بطرس قولي لي أبهذا المقدار بعتما الحقل فقالت نعم بهذا المقدار . فقال لها بطرس ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب هوذا ارجل الذين دفنوا رجلك على الباب وسيحملونك خارجاً فوقعت في الحال عندرجليه وماتت » اع ٥ : ٧ — ١٠

وهنا ينجلي لنا سر الاعتراف وسلطان الحل والربط باجلي مظهر . لقدكان الرسول يعلم من البدء بحادثة الاختلاس التي ارتكبها حنانيا وان امرأته لها خبر بذلك وقد وقع الجزاء على حنانيا ورغماً عن ذلك لم يشاء الرسول توقيع الجزاء على سفيرة امرأته بدون ان يعطيها فرصة للاقرار بخطيتها وللتوبة عنها فقال لها « قولي لي » . طلب منها الرسول ان تعترف فاثبت وجوب الاعتراف وطلب ان تعترف له ولم يقل لها ان تعترف لله رأساً او تعترف لبعض افراد الكنيسة او الكنيسة جميعها فأثبت بذلك

وجوب الاعتراف للخادم الديني . نعم ان الاعتراف حصل للرسول امام الكنيسة ولكن الاعتراف على كل حال كان له وبناء على طلبه ولم يقل « قولي لنا »

انظروا ما تم بعد ذلك . اعترفت سفيرة ولكن لم تعترف بالحق فاستعمل الرسول السلطان الممنوح له «ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السماء » « ومن امسكتم خطاياه امسكت » وحكم على المرأة بالموت الجسدي والروحي وربطها فى الارض والسماء

ثالثاً — ان يوحنا المعمدان الذى كان يكرز ويعمد مهيئاً الطريق للمسيح كان يعمد الجموع ويجعلهم يقرون بخطاياهم « واعتمدوا منه معترفين بخطاياهم » (متى ٣ : ٦) ونفهم من سفر اعمال الرسل ان الاعتراف كان يمارس في الكنيسة المسيحية من بدء نشأتها « وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم »(١ ع ١٩ : ١٨) والاتيان والاقرار والاخبار بالافعال لا تدع مجالا للشك في أن الاعتراف لم يكن سرياً بين المعترف والله مباشرة وانما كان في الكنيسة عن يد خدام الله هذا ما فهمه علماء الكنيسة وذكروه فى تفاسيرهم

رابعاً — قال الرسول يوحنا ان اعترفنا بخطايانا فهو امين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم . ان قلنا اننا

لم نخطىء نجعله كاذباً (١ يو ١ ٩١ — ١٠) وهذا القول يدل على وجوب الاعتراف ومن جهة ثانية يفهم من لفظ « ان قلنا اننا لم نخطىء » ان هناك شخصاً موجهاً اليه القول ولفظ «لم نخطيء» الدال على الفعل الماضي يدل على ان الاعتراف يكون عن الخطايا الماضية وهذا ينطبق تمام الانطباق على نظرية الاعتراف في الكنيسة القبطية اذ لا يمكن ان يكون الاعتراف عن خطايا مستقبلة. ومن الشخص الذى يوجه اليه الاعتراف غير خادم الله الذى منحه سلطان الحل والربط ؟

خامساً — ان المسيح اعطى لتلاميذه سلطان الحل والربط فوعد به بطرس أولاً بقوله واعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ماتربطه على الارض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحله على الارض يكون محلولا في السموات (متى ١٦ : ١٩)

ووعد به بعد ذلك جميع التلاميذ بقوله « الحق اقول لكم كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطاً في السماء وكل ما تحلونه على الارض يكون محلولا في السماء (متى ١٨ : ١٨)

ونفذ هذا الوعد لتلاميذه بعد قيامته بقوله « كما ارسلني الآب ارسلكم انا ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم اقبلوا الروح القدس

من غفرتم خطاياه تغفر له ومن امسكتم خطاياه امسكت » (يو ٢٠ — ٢١ : ٢٣)

وهذا السلطان انتقل من الرسل لخلفائهم ولا يمكن ان يتم الحل من الخطية قبل معرفتها . ومعرفتها لا تتأتى الا بالاقرار بها وحينئذ يكون الاعتراف نتيجة لازمة لسلطان الحل والربط

سادساً — ان الخادم الديني وكيل سرائر الله (١ كو ٤ : ١) ووكيل الله (تي ١ : ٧) وقد بينا عند الكلام عن سر الكهنوت ان الخادم هو المكلف بخدمة الاسرار المقدسة والاعتراف سر من هذه الاسرار واذا كان لا يمكن الدخول في الايمان ولا يتم العماد ولا سر العشاء الرباني الا بواسطة الخادم فلم لا تتم التوبة والاعتراف على يديه ؟

سابعاً — ان الاعتراف كان منوطاً بالكهنة في العهد القديم ورجال الله كما قال الوحي « فان كان يذنب في شيء من هذه يقر بما اخطأ به ويأتي الى الرب بذبيحة لاثمة عن خطيته . . . . . فيكفر عنه الكاهن من خطيته » (لا ٥ : ٥ — ٦) ويشوع طلب من عخان بن كرمي ان يعترف لله امامه بقوله « اعترف للرب واخبرني الآن ماذا عملت لا تخف عني شيئاً (يش ٧ : ١٩) واعترف شاول امام صموئيل وداود امام ناثان النبي وقد اثبتنا في الكلام عن سر الانخارستيا والكهنوت ان خدام الله في العهد الجديد

هم كهنة يؤدون وظيفة كهنة العهد القديم مع اختلاف فقط في الرسوم والطقوس والسلطان فيكون الاعتراف داخلاً بطبيعة الحال في وظيفة الكاهن المسيحي . والواقع ان الكاهن المسيحي بصفته راعياً ومرشداً ومسؤولاً عن الرعية ومعطى له السلطان ان يوبخ وينذر وينتهر من واجباته ان يفحص رعيته ليعرف السليم من المريض والقوي من الهزيل ويجبر الكسير ويعصب الجريح ويقوي الهزيل

هذه هي الادلة الكتابية وهي صريحة في وجوب الاعتراف لله عن يد الكهنة وقد أيد هذا التعليم التقليد واوامر الرسل فقد جاء فيها « يلزمكم ان تكرموا الآباء الروحانيين لانهم اعطوا من الله سلطان الحياة والموت بان يحاكموا الخطاة ويعاقبوا بدينونة لنار ابدية وان يحلوا التائبين من خطاياهم ويحيوهم » وجاء ايضاً « وكل اسقف اوقس لايقبل من يرجع عن خطيته بل يطرده فليقطع لانه يحزن المسيح القائل فرح يصير في السماء بخاطيء واحد يتوب » وايده كل آباء الكنيسة القديسين في مؤلفاتهم والمجامع المسكونية ومنها المجمع المسكوني الاول الذي يعترف البروتستانتي باحكامه فقد جاء في أحد قوانينه ماياتي « ان الذين دعوا من لدن النعمة واظهروا النهضة الاولى ثم عادوا الى قيئهم كالكلاب . . . . فهؤلاء يجب فحصهم واختبار ميلهم

ونوع توبتهم والذين يظهرون رجوعهم بالخوف والدموع والصبر والعمل الصالح فعلاً لا صورة فمن الواجب ان يشتركوا في الصلوات ثم يباح للاسقف ان ينظر في أمرهم با كثر شفقة » وقد سار على هذا التعليم كافة الكنائس الرسولية في العالم اجمع ونفس البروتستانت يعترفون بفائدة الاعتراف ولزومه وهاك بعض اقوالهم نقلاً عن كتاب اللآلىء النفسية في شرح طقوس الكنيسة جزء ٢ صحيفة ١٨٨ و ١٨٩ « ان البروتستانت انفسهم يعترفون ويسلمون بذلك فقد جاء في كتابهم نظام التعليم في اللاهوت القويم مانصه : الكنائس اللوثرية والاسقفية تستحسن الاعتراف السرى للراعى في بعض الاحوال صحيفة ١١٧ . وهذا تعليم ابي شيعتهم لوثر فقد قال في كتابه في سبي بابل في التوبة « ان الاعتراف السري كما يصنع يعجبني كثيراً وهو نافع بل لازم » وقال ان الاعتراف جلاد الضمائر . وكلوينوس نفسه شهد بوجوب الاعتراف وفائدته بقوله « من كان ضميره معرقلاً في شيء جنى من الاعتراف احسن ثمرة . في الرسومات ك ٣ رأس ٣ » وفي قانون الايمان الذي سنوه في اغوسطا قالوا « ان الاعتراف فى الكنائس لم يبطل عندنا » مواعظ الدبس وجه ٢٤ » وجاء في وجه ٢١٢ من كتاب الصلاة العامة للاسقفيين مانصه : ان كان احد غير قادر ان يطمئن باله بهذه الوسيلة فليأت الى احد خدام

كلمة الله .... ليطمئن باله ويتحرر من كل شبهة وريبة . ثم يفحصه القس هل تاب حقاً من خطاياه .... وهنـا يحث المريض على الاقرار بخطاياه اقراراً ويحله القس على هذا الوجه الخ صفحة ٢٧٩ وعلق عليـه احد قسوسهم قائلا » ان كلمة الله تقول اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات يع ٥ : ٢٦ وقد رأينا مواضع يحبب بهـا هذا الاعتراف . وهناك حوادث يجب الذهاب من اجلها الى القس والاعتراف له بما يفصله عن الله ويصده عنه تعالى . لا تخف . . ان ماتبوح به لخادم الله لن يفشى لان هذا لا يريد الا ان يأتي بك الى المسيح ويجعلك تقابله وجهاً لوجه ازالة لحملك الثقيل (استعداد الشركة وجه ١٧)

وها هو المذهب الاصلاحي المنشق عن المذهب المشيخي مع اختلاف وجهه انظر التساوى بينه وبين الكنيسة القبطية في سر الاعتراف فانه يقرر وجوب الاعتراف علنـاً أمام الكنيسة والكنيسة القبطية لا تمانع في الاعتراف العلني عن يد الكاهن ولكن هناك خطايا سرية كشفها يسىء الآخرين ويؤدي الى الهدم لا البنيان فاستحسنت الكنائس المسيحية اجمع جعل الاعتراف سرياً ونفس الكنيسة المشيخية تمارس الاعتراف على نوع ماتحت اسم الفحص الذي تجريه عادة عند اختبار وامتحان

عضو جديد يريد الدخول في المذهب الانجيلي وتجريه عند فرز عضو من اعضاء الكنيسة . واغلب مشاهير وعاظهم يمارسون الاعتراف السري فيطلبون في نهاية الوعظ لمن يشاء من الشبان مقابلتهم مقابلة خاصة ليكشف الشاب للواعظ عن خطاياه سراً فيسترشد برأيه ويصلي لاجله واقربهم عهداً الواعظ الشهير الدكتور شر وود ادي . اما وقد اثبتنا صحة اسناد معتقد الكنيسة في الاعتراف للكتاب والتقليد والاجماع وكتب البروتستانت انفسهم وممارستهم اياه فلنبحث الآن في الغرض الذي لاجله أسس سر الاعتراف

يدخل المؤمن في ملكوت المسيح ويتحرر بالايمان وغسل المعمودية من عبودية الشيطان وينال الغفران ولكن الشيطان لا يزال يحارب المؤمن والطبيعة الجسدية تحارب الطبيعة الروحية (رو ٧ : ١٣ — ٢٥) فلا مناص من أن يقع المؤمن في الخطيه بعد تحريره « أن قلنا ليس لنا خطية نضل انفسنا (١ يو ١ :٨)» ولا يمكن اعادة المعمودية مرة ثانية لان المعمودية واحدة لا تتكرر فلا بد من علاج آخر وهذا العلاج هو التوبة التي يصفها علماء اللاهوت بالمعمودية الثانية و « معمودية الدموع »

يذهب المؤمن الخاطىء ويري نفسه للكاهن ويعترف لله بخطاياه امامه بقلب منسحق وتوبة حقيقية لا عن خوف من القصاص وانما بدالة البنوة وشعور الخجل الذي يجب ان يظهره

الابن عند ما يخطىء نحو ابيه بالاعتراف امام الكاهن ويشهد المعترف على نفسه ويشهر بخطيته ويدينها لينجو من دينونة الله مصداقاً لقول بولس « لاننا لو كنا حكمنا على انفسنا لما حكم علينا » ١ كو ١١ : ٣١ » والكاهن باعتبار انه وكيل سرائر الله يصلي لاجله ويطلب له الحل والغفران وبصلاة الايمان تحل نعمة الله غير المنظورة ويشفى المريض من مرضه الروحي ويخرج مبرراً

وقد يرى الكاهن عند فحصه المريض بالخطية انه يستحق علاجاً قد يطول زمنه بسبب ان الخطية تمكنت من نفس المريض واصبحت طبيعة ثانية فيه فيجعله زمناً تحت الملاحظة والارشاد والاختبار بحسب حالته واستعداده ومن انواع العلاج التأديبات الكنيسية التي يسمونها بالقانون وليس الغرض منها القصاص واستيفاء العدل الالهي كما يزعم الكاثوليك اذ ان العدل الالهى استوفى بدم المسيح وانما لغرض التأديب الابوي والاصلاح وهي تشتمل الصلاة . الركوع . الصوم . مطالعة فصول من الكتاب المقدس . والتصديق . الحرمان من الشركة اومن تناول الاسرار . الفرز من الكنيسة وما اشبه ذلك وبمجرد التوبة الحقيقية يرفع الكاهن التأديب ويحل التايب باسم المسيح من خطيته

وللدلالة على اهمية هذا السر يجب ان نعلم انه ليس الشعب وحده هو المكلف بالاعتراف وانما الكهنة ايضاً والبطريرك وهو اكبر رئيس ديني يعترف ويتذلل أمام اصغر قس ويطلب منه الحل لان الفاعل الحقيقي هو الله وما الكاهن الا آلة يتم بها السر

يقول بعض المعترضين اذا كان المؤمن معرضاً للخطية في كل لحظة وغفران الخطايا لا يتم الا بالاعتراف عن يد كاهن فيترتب على ذلك ان الانسان لكي يكون مبرراً وفي سلام مع الله وتزول مخاوفه يجب ان يعترف في كل لحظة وان يلازمه الكاهن في كل مكان وفي كل دقيقة وانى يتأتى ذلك الخ ؟

ورداً على ذلك المعترض نقول ان المؤمن الارثوذكسي ليس بالحالة التعيسة التي يتصورها المعترض فقد دخل بالمعمودية في حظيرة المسيح وتثبت بمسحة الروح القدس وتناول من الجسد المحيي واصبح مرتبطاً بالمسيح فهو في سلام دائم معه وقلبه مطمئن بالايمان والرجاء في مخلصه الذى بذل نفسه لاجله الذي يرثي لضعفه ولا يعتريه اي خوف لانه يعلم ان الخائفين نصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت (رؤ ٢١ : ٨) فان ارتكب المؤمن بعض الهفوات فينال الغفران بالصلاة وبتضرعات الكنيسة التي تصلي في كل حين لاجل غفران خطايا الشعب ولا يخفى ان من عادة الارثوذكسي ان يصلي بالصلاة الربانية وفيها يطلب مغفرة الخطية

ولا يمكن ان تكون هذه الصلاة وباقي الصلوات سدى

اما الاحوال التي يجب ان يري فيها المؤمن نفسه للكاهن هي ثلاثة

١ — عند ارتكابه خطية مميتة (٢) عند تناوله العشاء الرباني (٣) في حالة المرض

ففي الخطية المميتة يجب البكاء والنحيب واذلال النفس وطلب ارشاد الكاهن وصلواته بل صلوات الكنيسة اجمع

وعند تناول العشاء الرباني يجب ان يفحص الانسان نفسه لئلا يكون مجرماً في جسد الرب ولا يكون الفحص تاماً الا عن يد الكاهن الذي سيتناول من يده الجسد والدم الكريمين والمسؤول عنه امام الله اذا اقدم على التناول بغير استحقاق ولا يخفى ان الانسان قد يرتكب افظع الخطايا ولا يشعر احياناً بشناعة خطيته او انه عمل امراً مخالفاً فلا بد حينئذ من مرشد وهذا المرشد هو كاهن الله . ألم يرتكب داود النبي خطية الزناء والقتل وظن انه قد اسدل الستار على فعلته وضميره استراح سنتين ولم يشعر بفظاعة جرمه الا لما نبهه ناثان النبى ٢ صم ١٢

اما فى حالة المرض فقد أمر الرسول يعقوب باستدعاء قسوس الكنيسة لكي يصلوا على المريض كما رأينا فى اول الكلام عن الاعتراض ليتم الشفاء الجسدي والروحي وان لم تسمح مشيئة الله

بالشفاء الجسدي فيكون المؤمن على استعداد لملاقاة ربه وهو بلا لوم ومتعز

على انه قد يصادف ان يعزم المؤمن على الاعتراف فيتعذر وجود كاهن او يتعذر اتمام الاعتراف فهل يضيع المؤمن وييأس كلا فالعبرة بالنية ومهما اخطأ المؤمن الحقيقي فلا تزل الصلة موجودة بينه وبين الله ورحمة الله واسعه ولا يزل بابها مفتوحاً وهذه الحالة تشبه تعذر اتمام المعمودية لحادث قهري فالكنيسة تقتصر على ذلك وتحسب ان المعمودية كأنها تمت فعلاً كما لو استشهد المؤمن لاجل اسم المسيح قبل ان يعمد

ولكن ما عذر من تكون الفرصة متوافرة امامه والكاهن طوع امره في كل لحظة وتمنعه الكبرياء او العناد عن ان يتقدم للكاهن ؟

ينازع بعض المعترضين في سلطة الكاهن ويفسر قول المسيح لبطرس « فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطاً في السموات » بانه سلطان فردي شخصي لبطرس يفتح باب ملكوت المسيح امام اليهودي والامي والسامري وان الحل والربط معناه قلب النظام اليهودي السابق ووضع ترتيبات ونظامات تناسب الحالة الجديدة

ويفسر قول المسيح لتلاميذه « كل ما تربطونه على الارض

يكون مربوطاً فى السماء الخ » بانه سلطان اعطي لجميع المؤمنين لفصل عضو معروف بخطية من الخطايا وليس سلطاناً خاصاً بخادم الكلمة

ويفسر قول المسيح لتلاميذه « من غفرتم خطاياهم تغفر لهم الخ » بان هذا سلطان يعلن به كل كارز بالانجيل غير المؤمنين بغفران خطاياهم ويفسر قوله لهم من امسكتم خطاياهم بهلاكهم اذا لم يؤمنوا ولا يشمل هذا السلطان المؤمنين

على ان هذا التفسير وهذه التفرقة لا محل لها اذ ان الثلاث آيات المذكورة ولو انها قيلت فى اوقات مختلفة الا انها كلها ترمى الى معنى واحد

لقد وعد المسيح بطرس بسلطان الحل والربط لانه اول من اعترف بلاهوت المسيح ووعد به بعد ذلك جميع تلاميذه وبعد قيامته ثبت هذا الوعد بمنحهم السلطان الفعلي بعد ان نفخ فيهم عطية الروح القدس

ونفس الفاظ الحل والربط التى قالها المسيح لبطرس هي نفس الالفاظ التى قالها للتلاميذ ولا يمكن ان نفسر هذه الالفاظ الواحدة لبطرس بمعنى ولباقي الرسل بمعنى آخر وكلنا يعلم ان لا تمييز بين رسول ورسول ولا رياسة ولم ينفرد بطرس بتبشير اليهود والامم ولا بعمل الترتيب والانظمة للكنيسة الجديدة (راجع ما ذكرناه تحت عنوان سلطة البابا) ومع ذلك لم يجسر بطرس أن يذهب

لكرنيليوس ويبشر الامم الا بعد ان رأى رؤيا وامره الروح القدس بالذهاب

والفاظ الحل والربط مرادفة لغفران الخطايا وامساكها ولا معنى لان يكون سلطة اعلان الغفران وامساك الخطايا قاصرة على غير المؤمنين مع ان المسيح لم يفرق بين مؤمن وغير مؤمن والسلطان مطلق

غير المؤمنين ممسكون بطبيعة الحال بخطية عدم الايمان ويحلون منها بالايمان والعماد ولا للسلطان الكنائسي دخل معهم والا يكون هذا السلطان وهمياً لا معنى له اذ يحكم بما هو واقع بالطبيعة — ومعلوم ان الكاهن لا شأن له مع غير المؤمن في خطاياه المتنوعة ولا يستطيع ان يناقشه الا في خطية واحدة وهي عدم الايمان فكيف يتفق هذا مع قول السيد (من غفرتم خطاياهم) وليس خطيتهم — فضلاً عن ان القديس بولس ينقض مثل هذا الاعتراض بقوله (ماذا لي ان ادين الذين من خارج ألستم انتم تدينون الذين من داخل اما الذين من خارج فالله يدينهم فاعزلوا الخبيث من بينكم ١ كو ٥ : ١٢, ١٣

ومن المعلوم ان تأويل القوم لكلام السيد هذا بخصوص الحل والربط والغفران والمسك ينقض تأويل البروتستانت العام له

الذى اقرت عليه مجامعهم مثل قرارهم المكتوب فى عهد الاصلاح الذي ورد فيه تأويلهم لذاك كلامه تعالى بهذه الالفاظ (ومن ثم نعلم ان سلطان المفاتيح أو سلطان الاساقفة هو حسب كلام الرب ووصية الله ان يبشروا بالانجيل وان يتركوا او يمسكوا الخطايا وان يخدموا الاسرار وهذا السلطان انما يلاحظ فقط الخيرات الابدية ويمارسه خدام الكلمة وحدهم . . . فواجبات الاساقفة اذاً هي ان يبشروا بالانجيل ويغفروا الخطايا وان يطردوا من الكنيسة المسيحية جميع الذين يعصون على الرب (تاريخ الاصلاح جزء ٢ صحيفة ٤٦٢ و ٤٦٣)

ومن طالع كتاب سياسة الكنيسة للاخصام يعلم مقدار حمق وغباوة هؤلاء الذين يصرفون معنى كلام الكتاب عن مواضعه

واذا تقرر ان سلطان الحل والربط الذي وعد المسيح به بطرس هو نفس سلطان الحل والربط الذي وعد به الرسل وهو نفس السلطان الذي اعطاهم اياه بعد قيامته فلنبحث الآن فى هل هذا السلطان خاص بالرسل وخلفائهم او بجماعة المؤمنين ؟

اننا اذا تتبعنا الآيات التى منح بها المسيح هذا السلطان نجد ان المخاطبة كانت للرسل الاثني عشر فقط ولم يشمل كل المؤمنين . والرسل انفسهم مارسوا هذا السلطان وحدهم فبطرس وحده

هو الذي حكم على سفيرة كما رأينا وهو الذى حكم على سيمون الساحر (١ع ٨ : ٢٠ — ٢٣) .

وبولس حكم وحده على بار يشوع عليم الساحر (١ ع ١٣ : ٩ ـ ١١) وعلى هيمانس والاسكندر (١ تي ١ : ٢٠) وعلى الشخص الذي اخذ امرأة ابيه وقد اصدر الرسول هذا الحكم وهو غائب واعتبر نفسه انه وان كان غائباً الا انه مجتمع مع المؤمنين بالروح وقال بصريح اللفظ قد حكمت كاني حاضر (١ كو ٥ : ٣ ـ ٥) وبهذا السلطان قد حكم بولس الرسول بالحرم الى يوم مجيء الرب على كل رسول يبشر بخلاف ما بشرهم به هو والتلاميذ بقوله ان بشرنا كم نحن او ملاك من السماء بغير ما بشرنا كم فليكن اناثيما غل ١ : ٨ — وقوله (ان كان احد لا يحب الرب يسوع المسيح فليكن اناثيما ماران اتا (اى محروماً الى مجيء الرب) ١ كو ١٨ : ٢٢

وقد افتخر الرسول بولس بالسلطان الذى اعطاه اياه الرب بقوله فاني وان افتخرت شيئاً اكثر بسلطاننا الذى اعطانا اياه الرب لبنيانكم لا لهدمكم لا اخجل (٢ كو ١٠ : ٨) وهدد بهذا السلطان اهل كورنثوس بقوله « لقد سبقت فقلت واسبق فاقول كما وانا حاضر المرة الثانية وانا غائب الآن اكتب للذين

اخطأوا من قبل ولجميع الباقين انى اذا جئت ايضاً لا اشفق
(٢ كو ١٣ : ٢)

وقد اثبتنا عند الكلام عن الخلافة الرسولية انها تسلسلت بوضع اليد من الرسل لسواهم وبواسطتها انتقل السلطان الى هؤلاء كما يدل على ذلك قول بولس الرسول (الذي هو نفسه استمد السلطان من باقي الرسل بوضع اليد) لتيموثاوس « لا تقبل شكاية على قس الا على شاهدين او ثلاثة شهود . الذين يخطئون وبخهم امام الجميع لكى يكون عند الباقين خوف (١ تي ٥ : ١٩ — ٢٠)

ونفس المعترضين يسلمون ببقاء هذا السلطان وتسلسله فى الكنيسة وغاية الامر يزعم من لا يعلم قواعدالبروتستانت منهم انه للكنيسة اجمع وليس خاصاً بخدام الدين - اما قول الرسول للمؤمنين بأن لا يخالطوا ولا يؤاكلوا اخاً زانياً او طماعاً او عابد وثن او سكيراً الخ فلا يستدل منه على أن سلطان الحل والربط منح لجماعة المؤمنين وانما الغرض منه تنبيههم باحترام الحكم الذي يصدر بفرز احد المؤمنين اذ ان الفرز يقضي بطبيعة الحال ابتعاد المؤمنين عن الشخص المفروز والا فلا يكون للحكم معنى - ومن جهة ثانية فان المعاشرات الرديئة تفسد الاخلاق الجيدة فمن ثم يجب ان يبتعد المؤمنون عن المشهورين بالسيرة الرديئة

بقي علينا ان نبين انه ليس من الضروري لصحة اتمام سر الاعتراف او باقى اسرار الكنيسة ان يكون الكاهن صالحاً ونحن نعلم ان لا صالح الا الله وان الكهنة بشر مثلنا معرضون للخطية وليس لنا ان ندينهم بل يدينهم الله وقد رسم المسيح لنا القاعدة بقوله « على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم ان تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب اعمالهم لا تعملوا . (مت ٢٣ : ٣و٤) والمسيح نفسه انتخب يهوذا الاسخريوطي ضمن تلاميذه وكان يعلم من البدء مكنونات قلبه وانه سيسلمه ومع ذلك اعطاه السلطان كباقى التلاميذ ولنا أفضل درس في العهد القديم وهو تصرف عالي في عدم قيامه بواجب التربية وسيرة ولديه الرديئة ومع ذلك فانهم كانوا كهنة شرعيين يؤدون الخدم الدينية للشعب

وهذا لكي يدلنا بأنه لا يخلو خدام الانجيل من الزوان ووجود هذا الزوان لا يعطل سير الكنيسة ولا يمنع اقامة سرائرها لان الفاعل الحقيقى هو الله والله كثيراً ما يستخدم الشرير لنوال البركات على يديه كما استخدم بلعام بن بعور فى منح اسرائيل البركة عوضاً عن اللعنة

وكل ذلك لا يمنع من ان نشكو الكاهن المتهتك او المشهور بالشر وبمقتضى قانون الكنيسة يعزل فوراً ويفرز

بقي الرد على قول المعترضين بان سلطان الحل والربط اذا وضع بيد القس وحده قد يسيء استعماله او يكون معرضاً للخطأ بخلاف الجماعة وهذا الاعتراض مردود بطبيعته لان مثل الفرد مثل الجماعة في الخطأ واساءة استعمال الحق

وعلى ذكر ذلك يجب ان لا يغرب عن البال ان ليس كل حكم بالحل والربط صادر من كاهن او مجمع يكون له الاعتبار اللائق كالحكم ضد فم الذهب وغيره وانما للحكم حدود يجب ان لا يتخطاها فلا يصح ان يتعرض الحكم لمسائل لا علاقة لها بالخلاص أو بأمور الدين الجوهرية او الفضيلة او لمسائل فوق العقل البشري - ولا يصح ان يكون تنفيذاً لاغراض ذاتية لغرض المحاباة والانتقام وكل حكم خرج عن هذه الحدود المشروعة وكان للهدم لا للبنيان ولا يؤدى الى مجد الله ونمو الكنيسة يكون حكماً باطلاً ولو اصدره الف اسقف

وصدور احكام شاذة لا ينبني عليها سلب خدام الدين السلطان الممنوح لهم من الله

هذه هي تعاليم الكنيسة القبطية عن الاعتراض وما يتفرع منه واظن اننا اوفينا الموضوع حقه من البحث ولا يشك المنصف في صحة هذه التعاليم المبنية على الرأى القويم

(سر المعمودية)

يسلم البروتستانت بالمعمودية وبانها سر من اسرار الكنيسة ولكنهم يعتقدون انها علامة خارجية للمؤمنين اشبه بالختان عند اليهود وان ليس لها اي اثر يتعلق بالخلاص وان سألتهم ما معنى انها سر . فيجيبونك كون المسيح امر بممارستها ولكن هذا الجواب غير مقنع لان المسيح امر بعدة وصايا واغلبها ليس فيه سر او شبه سر وانما السر هو ان يكون هناك معنى مستتر غير واضح للعيان فان كانت المعمودية علامة خارجية فقط فلا تعد سراً

وان قلت لهم هل المسيح رب المعرفة والحكمة يأمر المؤمنين في كل الاجيال بممارسة فريضة ظاهرية لا تقدم ولا تؤخر من جهة الخلاص ؟ وديانته روحية لا تهتم بالظاهر فيردون قائلين هكذا أمر وامره يجب ان يطاع ولا يحق لنا ان نعترض او نسأل. ووجه الغرابة في هذا الجواب هو ان البروتستانتي الذي عودنا تحكيم عقله في الامور التي فوق الادراك والتي يجب ان تؤخذ بالايمان والتسليم يهرب ولا يقبل ان يستعمل عقله في أمر لا بد من تحكيم العقل فيه . وان كانت المعمودية ليست مهمة فبأي

وجه يعمدون الاطفال مع عدم وجود نص صريح فى الكتاب بتعميدهم ؟ مما ادى الى اعتراض السبتيين ولم لا ينتظرون الاطفال حتى يكبروا ويفهموا معنى الايمان والمعمودية ؟

هذا هو اعتقاد البروتسانتي في سر المعمودية وانكاره فائر اعتقاد الكنيسة القبطية وباقى الكنائس الرسولية

تعتقد هذه الكنائس ان المعمودية سر عظيم امر به المسيح . علامته المنظورة غسل الجسد بالماء وغير المنظورة وهي الاهم ختن الروح وغسلها من ادران الخطية . وتجديد المؤمن بالميلاد الثاني وهي تمثل دفن المؤمن مع المسيح وصلبه جسد الخطية وتحريره من عبودية ابليس وقيامته مع المسيح ودخوله فى ملكوته . ولذا يلزم ان تكون بالتغطيس لا بالرش لكى تتم المقارنة ويتم التمثيل بدفن الرب وبمثل ذلك مارست الكنيسة المعمودية من الاول ولم تأت هذه الكنائس بهذا التعريف من عندياتها وانما من الكتاب المقدس . وهاك النصوص بدون حاجة الى الاستشهاد بالتقليد واقوال علماء الكنيسة واحكام المجامع والاجماع

انا اعمدكم بماء ولكن يأتي من هو اقوى مني . . . سيعمدكم بالروح القدس ونار (لو ٣ : ١٦)

الحق الحق اقول لك (المسيح لنيقوديموس) ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدران يدخل ملكوت الله (يو٣: ٥)

اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن

والروح القدس (مت ٢٨ : ١٩) من آمن واعتمد خلص (مر ١٦ : ١٦)

توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس (اع ٢ : ٣٨)

لان اليهودي فى الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختاناً بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان (رو ٢ : ٢٨،٢٩)

نحن الذين متنا عن الخطية . كيف نعيش بعد فيها . ام تجهلون اننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما اقيم المسيح من الاموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن ايضاً فى جدة الحياة لانه ان كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير ايضاً بقيامته عالمين هذا ان انساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد ايضاً للخطية لان الذي مات قد تبرأ من الخطية فان كنا قد متنا مع المسيح نؤمن اننا سنحيا ايضاً معه (رو ٦ : ٢ — ٨)

وبه ايضاً ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح مدفونين معه فى المعمودية التى فيها اقمتم ايضاً معه بايمان عمل الله الذى اقامه من الاموات واذ كنتم امواتاً في

الخطايا وغلف جسدكم احيا كم معه مسامحاً لـكم بجميع الخطايا ١ كولوس ٢ : ١١ ـ ١٣

فان كنتم قد متم مع المسيح فاطلبوا ما فوق . . . لانكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله . . . . لا تكذبوا بعضكم على بعض اذ خلعتم الانسان العتيق مع اعماله والبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه (كولوس ٣ : ١ ـ ١٠) لان كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح . . . لانكم جميعاً واحد في المسيح يسوع (غل ٣ : ٢٧ – ٢٨)

الذي مثاله (فلك نوح) يخلصنا نحن الآن اي المعمودية . لا ازالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح (١ بطرس ٣ : ٢١)

كما احب المسيح ايضاً الـكنيسة واسلم نفسه لاجلها لكي يقدسها مطهرا اياها بغسل (حميم) الماء بالـكلمة اف د : ٢٦ [1]

لاننا جميعاً بروح واحد ايضاً اعتمدنا الى جسد واحد يهوداً كنا ام يونانيين عبيداً ام احراراً وجميعنا سقينا روحاً واحداً (١ كو ١٢ : ١٣)

---

(١) في ترجمات كثيرة كالقبطية والترجمة اليسوعية مكتوبة (بغسل الماء وبالـكلمة) وهذا يدحض قول من يقول ان الرسول يقصد بالماء الـكلمة

والآن لماذا تتوانى قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب (اع ٢٢ : ١٦) ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله لا باعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا — بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا حتى اذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الابدية (تي : ٥ — ٧)

هذه هي الآيات الكتابية ولعلي اكون واهماً فاقرأ بنفسك ايها القاريء العزيز والنص الذي يشكل عليك فهمه ارجع فيه لمفسري الكتاب من آباء الاجيال المسيحية الاولى واقرأ قانون الايمان المعترف به من جميع الكنائس بما فيهم البروتستانت الثبوت فيه الايمان بمعمودية واحدة لغفران الخطايا واحكم بعد ذلك اي الرأيين ينطبق على الانجيل رأي الكنيسة القبطية « الوثنية » او رأي الكنيسة الانجيلية » على ان دعاة مذهب البروتستان غير متفقين في تعليمهم بخصوص المعمودية فاننا الفينا لوثيروس امامهم يقول انه بسر المعمودية يصير الانسان عضواً للكنيسة ومناظره اكولمباديوس الذي اختلف عنه في جملة آراء مهمة يوافقه في هذا الرأي تقريباً ويقول ان ماء المعمودية هو على معنى تجديد لانه بواسطته يصير الذي لم تعرفه الكنيسة ولداً لها تاريخ (الاصلاح جزء ٢ صحيفة ٣٨٠)

وهذا يقرب من تعليم مجلة المرشد في عدد (١٥٣) حيث قال مناظر مجلة الحق فيه (ان العماد علامة يختم المعتمدين به بركات الفداء ويخصصها بهم !

(سر مسحة الروح القدس)

(او سر الميرون)

سر الميرون اضحوكة لدى الانجيليين ومن اكبر اسباب تهكمهم على الكنيسة القبطية ولنبين للقاريء قيمة هذا السر المقدس واهميته ليرى الناس الى اي درجة يستخف الانجيلي بالمواهب الالهية ويهزأ بها

يولد المؤمن بواسطة المعمودية ولادة جديدة وكما ان الطفل عقب ولادته يحتاج الى وسائط وقوى لحفظ وجوده ونموه فكذلك المولود روحياً يحتاج الى قوى تثبته وتنميه في الكمال المسيحي وهى مواهب الروح القدس التي بين المسيح بطريقة حسية اهميتها للمؤمن بعد العماد حينما تعمد المسيح عن يد يوحنا المعمدان واستقر الروح القدس عليه بشبه حمامة والتي وعد بها المؤمنين بقوله « من آمن بي . . . » تجري من بطنه انهار ماء حي قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين ان يقبلوه لان الروح

ومن حسن الحظ ان هذا الداء موضعي لم يتعد منطقة اثنتين ويوجد ابرشيات يندر فيها الطلاق . خذ مثلاً مدينة قنا وفيها اكثر من عشرة الاف قبطي ولم يحصل فيها طلاق واحد لا في الزمن السابق ولا الحاضر

وقد تنبه الاكليروس والشعب لعلاج هذا الداء الموضعي ووضع حداً لمن يسعى في كسر شريعة المسيح وحل روابطه الزوجية المقدسة وافساد نظام الاسرة القبطية البديع . ذلك النظام الذى يكفيه فخراً عفاف ونسك وطهر وحشمة ووقار وصبر وامانة المرأة القبطية لزوجها فى الحياة والممات مما تضرب به الامثال وكان ذلك بالطبع من ثمار تعاليم الكنيسة القبطية المبنية على اسمى الفضائل والنسك فيجب ان نحرص على هذا النظام ونضرب بيد من حديد على من يحاول الاخلال به عن عمد او جهل وسأكتب عن موضوع الطلاق باكثر توسع في نبذة على حدة .

(الايمان والاعمال)

سقط الجنس البشرى في الخطية فاستحق الموت ولـكن الله غفور رحيم فدبر طريقة بها يستوفي العدل الالهى حقه من القصاص . وفي الوقت ذاته يشمل الجنس البشرى برحمته فقدم المسيح نفسه بطوعه واختياره كفارة عن خطايا البشر واتم الخلاص بدمه الـكريم ومع أن الـكفارة قدمت لاجل الجميع والدعوة عامة لـكل الناس ولـكن لا يستفيد بالدم الـكريم وينال الخلاص الا من يؤمن بالمسيح ويعمل حسب وصاياه فلا بد من الايمان والاعمال وموضوع الايمان والاعمال موضوع خلاف بين عموم الـكنائس الرسولية وبين البروتستانت الذين يزعمون ان نوال الخلاص يتم بالايمان فقط

قال يعقوب الرسول « ما المنفعة يا اخوتى ان قال احد ان له ايماناً ولـكن ليس له اعمال هل يقدر الايمان ان يخلصه . . هكذا الايمان ايضاً ان لم يكن له اعمال ميت في ذاته لـكن يقول قائل انت لك ايمان وانا لي اعمال ارني ايمانك بدون اعمالك وانا اريك بأعمالى ايماني . انت تؤمن ان الله واحد . حسناً تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون ولـكن هل تريد أن

تعلم أيها الانسان الباطل ان الايمان بدون اعمال ميت . ألم يتبرر ابرهيم ابونا بالاعمال . اذ قدم اسحق ابنه على المذبح فترى ان الايمان عمل مع اعماله وبالاعمال اكمل الايمان . وتم الكتاب القائل فآمن ابرهيم بالله فحسب له براً ودعى خليل الله . ترون اذاً انه بالاعمال يتبرر الانسان لا بالايمان وحده . كذلك راحاب الزانية ايضاً . أما تبررت بالاعمال . اذ قبلت الرسل واخرجتهم في طريق آخر لانه كما ان الجسد بدون روح ميت هكذا الايمان ايضاً بدون اعمال ميت . يع ٢ : ١٤ – ٢٦)

وعلى هذا الاساس بنت الكنيسة القبطية اعتقادها القويم ولكن ما حيلتنا في البروتستانتي ودأبه التضليل فى شأن الكنيسة القبطية وباقى الكنائس الرسولية وتحقير تعاليمها ولو ضرب بالنصوص الكتابية الصريحة عرض الحائط . وان سألته رأيه في اقوال يعقوب الرسول هذه فلا تأخذ منه جواباً يحسن السكوت عليه وغالباً يغفل هذه الآيات بالمرة ويأتيك بآيات اخرى من الكتاب كأن رسالة يعقوب ليست موحى بها ولكن لاتلمه فقد علمت مما مر عليك فى بعض مواضيع هذا الكتاب ان لوثر طعن فى هذه الرسالة وزعم انها كالتبن ومع ان البروتستانتي لم يجارِ معلمه في انكار هذه الرسالة الا ان اثر هذا الطعن لا يزال

عالقاً في ذهنه بالنسبة لموضوع الايمان والاعمال وموضوع الاعتراف وموضوع مسحة المرضى المواضيع الواردة في هذه الرسالة

وان ضيقت عليه الخناق وطلبت منه رأياً صريحاً في تلك الآيات الكتابية التي اوردناها هنا بفصها ونصها فيضطر مرغماً ان يسلم بالمبادىء الواردة بها ويزيد ان الكنيسة البروتستانتية سائرة عليها فان كان الامر كذلك فنكون اتفقنا فما معنى الاعتراض حينئذ والتشهير بالكنيسة القبطية ؟

نعم ان الرسول بولس قارن في بعض رسائله بين اعمال الناموس والايمان وقال في بعض المواضع ان التبرير بالايمان ولكن يجب ان نفهم الغرض الذى كان يرمى اليه بولس الرسول في تلك الاقوال فقد كان الكلام موجهاً الى اليهود الذين اتكلوا على الختان وبرهم الذاتى والاعمال والطقوس التى فرضها موسى دون الايمان بالمسيح فبين لهم الرسول خطأهم وان هذه الاعمال بلا قيمة فى حد ذاتها ولا تفيد شيئاً وانه لولا ايمان رجال العهد القديم القديسين (الذين ذكرهم فى الرسالة الى العبرانيين ص١١) بالمسيح لما نالوا الموعد فالاقوال كلها ترمى الى الحث على الايمان بالمسيح الذى هو موضوع كرازة الانجيل . والايمان بالمسيح لا

يفيد شيئاً اذا لم يقترن بالاعمال كما قال بصريح اللفظ « لانه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة (غل ٥ : ٦)

وقال في موضع آخر (ان كان لي كل الايمان حتى انقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً (١ كو ١٣ : ٢)

وقال: واما نحن الذين من نهار فلنصح لابسين درع الايمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص (١ تس ٥: ٨)

وقال: اما الآن فيثبت الايمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ولكن اعظمهن المحبة (١ كو ١٣ : ١٣)

وقال: تمسك بصورة الكلام الصحيح الذي سمعته مني في الايمان والمحبة التي في المسيح يسوع (٢ تي ١ ١٣)

وقال: لاتكونوا مديونين لاحد بشيء الا بان يحب بعضكم بعضاً لان من احب غيره فقد اكمل الناموس لانه لاتزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لاتشته وان كانت وصية اخرى هي مجموعة في هذه الكلمة ان تحب قريبك كنفسك . المحبة لاتصنع شراً للقريب فالمحبة هي تكميل الناموس (رو ١٣ : ٨ — ١٠

وقال أيضاً صرت لليهود . . . والذين تحت الناموس كأني تحت الناموس مع اني لست تحت النـاموس . . . والذين بلا ناموس

كأني بلا ناموس مع اني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس المسيح (١ كو ٩ : ٢٠ و٢١)

وظاهر مما تقدم ان الرسول بولس لم يحط من قدر الاعمال بل بالعكس بين اهميتها وضرورتها وانه ان كان قصر في بعض المواضع على لفظ الايمان وحده فلا يقصد مجرد الايمان بل الايمان العامل حسب تعبيره » او « الايمان والاعمال حسب تعبير يعقوب الرسول . وسواء اعتبرت الاعمال مندمجة في الايمان اواعتبرت ثمراً له او اعتبرت مقارنة وملازمة له قل ما شئت ولا تتقيد بالالفاظ فالنتيجة واحدة اذ لا بد عن يريد الخلاص بدم يسوع ان يؤمن به ويعمل وعندما ينتقل المؤمن الحقيقي من هذا العالم ويرى الله وجهاً لوجه يستغني عن الايمان والرجاء ولكن لا يستغنى عن الاعمال التي تتبعه « واعمالهم تتبعهم » ولهذا السبب ذكر بولس الرسول ان المحبة أي الاعمال الصالحة اعظم من الايمان والرجاء

ولنتأكد من اهمية الاعمال نضيف الى ما ذكرناه بعض الآيات الاخرى

« ولكن من اطلع على الناموس الكامل ناموس الحرية وصار ليس سامعاً ناسياً بل عاملاً بالكلمة فهذا يكون مقبولاً في عمله (يع ١ : ٢٥)

الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه افتقاد اليتامى في ضيقتهم وحفظ الانسان نفسه بلادنس من العالم (يع ١ : ٢٧)
وهـذه هي وصيته ان نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح ونحب بعضنا بعضاً كما اعطانا وصية ومن يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه (١يو ٣ : ٢٣ و٢٤)

وهكذا من وصايا المحبـة العديدة التي كررها يوحنا الحبيب في رسائله . ونفس السيد المسيح جعل للاعمال الصالحة المقام الاول في تعاليمه ووصاياه . وكلنا نعلم مثل باني البيت على الصخر ومثل الزارع ومثل العذارى الحكيمات والعذارى الجاهلات ومثل الوزنات (متى ٢٥ : ١ — ٣٠) الامثال التي ضربها المسيح للحث على الاعمال الصالحة وضرورتها في الآخرة

. وهاك بعض اقوال المسيح الاخرى عن الاعمال

كل من يسمع اقوالي هذه ويعمل بها اشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر (مت ٧ : ٢٤) لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس او الانبياء . ماجئت لانقض بل لا كمل . . . لا يزول حرف واحد اونقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل (مت ٥ : ١٧ و١٨) فاني اقول لكم انكم ان لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات (مت ٥ : ٢٠) ادخلوا من الباب الضيق . . . ما اضيق الباب وا كرب

الطريق الذي يؤدي الى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه (متى ٧ : ٢٠)
اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صداء
وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون (متى ٦ : ٢٠)
اني اريد رحمة لا ذبيحة (مت ١٢ : ٧)
واما انت فمتى صنعت صدقة فلا تعلم شمالك ... فابوك الذي يرى
في الخفاء هو يجازيك علانية... ومتى صليت فادخل الى مخدعك
فابوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية ....
واما انت فمتى صمت فادهن رأسك .... فابوك الذي يرى في
الخفاء هو يجازيك علانية (مت ٦ : ٣ — ١٨)
لان من سقاكم كأس ماء باسمي .... فالحق اقول لكم انه
لا يضيع اجره (مر ٩ : ٤١)
من سقى احد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ
فالحق اقول لكم انه لا يضيع اجره (مت ١٠ : ٤٢)
واذا ناموسي قام يجربه قائلاً يا معلم ماذا أعمل لارث الحياة
الابدية فقال له ما هو مكتوب في الناموس كيف تقرأ فأجاب
وقال تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل
قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك فقال له بالصواب
أجبت افعل هذا فتحيا (لو ١٠ : ٢٥—٢٨)
واذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاح اعمل

لتكون لي الحياة الابدية .... ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا .... لا تقتل . لا تزن . لا تسرق . لا تشهد بالزور . اكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك .... ان أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعني (مت ١٩ : ١٦ — ٢١)

ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لاني جعت فأطعمتونى عطشت فسقيتمونى كنت غريباً فآويتموني عرياناً فكسيتموني مريضاً فزرتموني محبوساً فأتيتم الي . . . . . الحق أقول لكم بما انكم فعلتموه بأحد اخوتي هؤلاء الاصاغر فبي فعلتم (مت ٢٥ : ٣٤ – ٤٠)

فان ابن الانسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله (مت ١٦ : ٢٧)

وها أنا آتي سريعاً واجرتي معي لاجازى كل واحد حسب عمله (رؤ ٢٢ : ١٢)

وهذه الآيات وغيرها ناطقة بأهمية الاعمال التي عليها تتوقف القيامة والدينونة والحساب والثواب والعقاب

ويندمج تحت لفظ الاعمال محبة الله ومحبة الناس وحفظ وصايا السيد المسيح وممارسة الفرائض التى أمر بها كالمعمودية والعشاء الربانى والتوبة والصوم والصلاة والصدقات الخ

ولنبحث الآن في رأي من يزعم ان المؤمن لا يخطيء وان أخطأ فهو غير قابل للسقوط أو الهلاك . لا نزاع في انه توجد آيات في الكتاب مدلولها حسب الظاهر ينطبق على ذلك الرأى كقول يوحنا الرسول كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية (١ يو ٣:٩) ونعلم ان كل من ولد من الله لا يخطيء (١ يو ٥ : ١٨)

ولكن لا يصح أن نفسر هذه الآيات تفسيراً يخرجها عن المعنى الذي قصده الرسول فغرض الرسول الحث على الفضيلة وعدم الخطية اذ المفروض بل الواجب على المؤمن الحقيقي بعد ان آمن واعتمد ونال نعمة الميلاد الثاني أن يحتفظ بهذه النعمة ويجتهد حتى لا يرتكب خطية ولكن فرقاً بين ما يجب أن يكون وبين ما يكون فعلاً فالمؤمن مهما تجدد لا يزال معرضاً للخطية في كل لحظة ولذلك رسم الله له طريق التوبة والاعتراف بخطاياه وذات يوحنا الرسول قال في نفس الرسالة « ان قلنا ان ليس لنا خطية نضل انفسنا وليس الحق فينا أن اعترفنا بخطايانا فهو امين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم ان قلنا اننا لم نخطيء نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا (١ يو ١ : ٨ - ١٠)

وقال بولس الرسول « فاننا نعلم ان الناموس روحى واما انا فجسدى مبيع تحت الخطية لاني لست اعرف ما انا افعله اذ لست افعل ما اريده بل ما أبغضه فاياه افعل . . . . فالآن

الست بعد افعل ذلك انا بل الخطية الساكنة فيّ . فأني اعلم انه ليس ساكن فيّ اي في جسدي شيء صالح لان الارادة حاضرة عندي واما ان افعل الحسنى فلست اجد . لاني لست افعل الصالح الذي اريده بل الشر الذي لست اريده فاياه افعل . . . اذاً اجد الناموس لي حينما اريد ان افعل الحسنى ان الشر حاضر عندي فاني اسر بناموس الله بحسب الانسان الباطل ولكني ارى ناموساً آخر في اعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني الى ناموس الخطية الكائن في اعضائي ويحي انا الانسان الشقي .من ينقذني من جسد هذا الموت . . . . . اذاً انا نفسي بذهني اخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية (رو ٧ : ١٤ — ٢٥)

وقال الرسول بولس ايضاً « البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا ان تثبتوا ضد مكايد ابليس فان مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات (اف ٦ : ١١و١٢)

وقال «ولكني اخاف انه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد اذهانكم عن البساطة التي في المسيح (٢ كو ١١ : ٣)

اما البار فبالايمان يحيا وان ارتد لا تسر به نفسي (عب١٠ : ٣٨)

وقال بطرس الرسول وان كان البار بالجهد يخلص فالفاجر والخاطىء اين يظهران(١ بط ٤ : ١٨)

وقال بولس: ناظراً الى نفسك لئلا تجرب انت ايضاً (غل ٦ : ١ و٢) تمموا خلاصكم بخوف ورعدة (فى ٢ : ١٢)

بل اقمع جسدى واستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا اصير انا نفسي مرفوضاً (١ كو ٩ : ٢٧)

من يظن انه قائم فلينظر ان لا يسقط (١ كو ١٠ : ١٢)

وقال الروح الى ملاك كنيسة افسس (فاذكر من اين سقطت وتب واعمل الاعمال الاولى والا فأنى آتيك عن قريب وازحزح منارتك من مكانها ان لم تتب (رؤ ٢ : ٣) وقال بولس لا تهلك بطعامك ذاك الذي مات المسيح لاجله (رو ١٤ : ١٥) فيهلك بسبب علمك الاخ الضعيف الذي مات المسيح من اجله (١ كو ٨ : ١١) وانت بالايمان ثبت . لا تستكبر بل خف لانه ان كان الله لم يشفق على الاغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك ايضاً فهوذا لطف الله وصرامته . اما الصرامة فعلى الذين سقطوا واما اللطف فلك ان ثبت فى اللطف والا فأنت ايضاً ستقطع (رو ١١ : ٢٠ — ٢٢)

وهذه الآيات وغيرها تدل دلالة قاطعة على ان المؤمن معرض للخطأ وليس مجرد الخطأ فقط ولكن معرض للسقوط وللهلاك

لان « اجرة الخطية موت » « والخطية ان حبلت تلد موتاً »
ولا ينجو المؤمن الا بالتوبة والا فلا حاجة لهاولا حاجة للتأديب
الذي تفرضه الكنيسة ومنها الفرز الذي يسلم به ويمارسه
البروتستانتي ولا حاجة ايضاً للصلاة الربانيةوطلب غفران الخطية
والنجاة من الشرير ومن الدخول في تجربة ولا حاجة لوصايا
المسيح ورسله المشحون الكتاب منهاالتي تحث على الثبات في الايمان
والتمسك بالفضيلة وترك الرذيلة

ألم يكن داود النبي ابناً لله ومؤيداً بالروح القدس حتى قال عنه
الوحي (وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبي اع ١٣ : ٢٢)
ومع ذلك ألم يرتكب اشنع الخطايا المميتة ويسقط لولا ان الله
انذره بسوء فعله عن يد نبيه فندم وبكى وتاب. بل ما لنا وكل
ذلك ألم يكن أدم في حالة القداسة والطهارة وابناً لله بكل معنى
الكلمة ولكنه سقط واستحق الموت وهلك ولم ينل الخلاص
الا بالفداء الذي دبره الله له فكم بالاحرى لا نسقط نحن الذين ورثنا
عنه الجسد المائت الذي لا يزال يسبينا الى ناموس الخطية

فنظرية عدم خطأ المؤمن او عدم سقوطه او عدم هلاكه ان
سقط نظرية خطرة تشجع الانسان على الاتكال على الايمان
ولطف الله ولذا لاغرابة ان انشق الاصلاحي من المشيخي
والاخوي ورجع الى تعليم الكنائس الرسولية واقر بهلاك المؤمن
ان لم يسهر ويجاهد ويحارب ويعترف بخطاياه ويندم ويبكي ويتوب

الصلاة

الصلاة واجبة على المؤمنين لتمجيد الله وشكره وطلب معونته وقد أمر الله بها في العهد القديم والعهد الجديد ومارسها المسيح نفسه وهي على نوعين انفرادية وجمهورية والجمهورية تشمل الصلاة العائلية والصلاة الاجتماعية وقد لاحظت الكنيسة القبطية في ترتيب صلواتها وعبادتها ثلاثة امور حرية بالاعتبار

أولاً — تذكار آلام المسيح والحوادث الشهيرة التى تتعلق بحياته على الارض والاعمال المهمة التى عملها

ثانياً - مراعاة ساعات النهار وايام وفصول ومواسم السنة

ثالثاً — مراعاة حاجيات المؤمن الجسدية والروحية وحاجة الكنيسة والعالم اجمع

ولتحقيق هذه الاغراض الثلاثة رتبت الكنيسة للصلوات الانفرادية والاجتماعية ماينا سبها من المزامير والاناجيل والطلبات واضافت للصلوات الاجتماعية بالكنيسة سواء في ايام الاعياد والمواسم او في كل يوم من ايام السنة العادية فصولاً خاصة من النبوات والمزامير والاناجيل واحدى رسائل بولس الرسول (البولس) واحدى رسائل باقي الرسل (الكاتوليكون) وسفر

الاعمال (الابركسيس) وسير القديسين (السنكسار) خلاف الخطب والمواعظ والتفاسير التى تتفق مع هذه الفصول وكذلك رتبت صلوات خاصة للعشاء الربانى (القداس) والعماد والزواج ومسحة المرضى والصلاة على الموتى اطفالاً ورجالا ونساء كل بما يناسبه وصلوات لرسامة الكهنة والشمامسة وتدشين الكنائس وغير ذلك

ومن يطالع هذه الانظمة يدرك لاول وهلة قيمة ما وصلت اليه معارف آباء الكنيسة القديسين في اللاهوت والتضلع في درس الكتاب المقدس بما لا تذكر في جنبه معلومات اولئك الذين يتمشدقون بآيات الكتاب ويعيرون الكنيسة القبطية بالجهل ويدرك مقدار المشاق والمجهودات التي كابدها الاباء في وضع هذه الانظمة ولكن من الاسف لم يقدر الكثيرون منا هذا الميراث العظيم ولا تلك الجواهر الثمينة حق قدرها بل نبذوها ظهرياً ووضعوا انفسهم موضع الذل والمسكنة ومدوا ايديهم للمبشرين الاجانب لتبشيرهم بالانجيل بينما الانجيل مجسم فى كل ذرة من ذرات كنيستهم وتنطق به كل دقة من دقات قلبها وصوت الانجيل الصاعد من بوق تلك الكنيسة يملأ الجو ويخترق السماء

قال الكتاب (صلوا ولا تملوا . صلوا في كل حين . صلوا بلا انقطاع) فلا عجب ان فرضت الكنيسة القبطية على بنيها ان يصلوا لله سبع مرات في اليوم خلاف الصلوات الوجيزة عند تناول الطعام والانتهاء منه وعند البدء في أي عمل وعند الشدائد وخلاف الصلوات الاجتماعية . والذى امر بهذه السبع صلوات الرسل حسبما جاء في اوامرهم وحسبما كانوا هم انفسهم ورجال الله الاتقياء في العهد القديم يعملون « سبع مرات في النهار سبحتك على احكام عدلك » (مز ١١٩ : ١٦٤) واوقات هذه الصلاة هي كما يأتى

أولاً — صلاة باكر وتسمى صلاة الفجر « يا الله الهي انت اليك ابكر » (مز ٦٣ : ١) فيها يشكر المؤمن الله على حراسته اياه اثناء الليل واتيانه به الى النهار ويتذكر المؤمن اثناء هذه الصلاة

(١) ولادة يسوع المسيح وظهور النور الحقيقي الذى ينير كل انسان وشمس البر التي اشرقت والشفاء في اجنحتها

(٢) ساعة القبض على يسوع وتسليمه الى ايدى الكهنة

(٣) قيامة الرب يسوع من بين الاموات

والمزامير التي تتلى في هذه الصلاة تشير الى هذه التذكارات الثلاثة

ثانياً — صلاة الساعة الثالثة تذكر المؤمن بقضاء بيلاطس على يسوع المسيح في مثل هذه الساعة وتذكره بحلول الروح

القدس الذي حل في الساعة الثالثة من النهار ومزاميرها تشير الى هذين التذكارين ويطلب المؤمن في هذه الصلاة التجديد وان يسلك بالروح

ثالثاً — صلاة الساعة السادسة « صعد بطرس على السطح ليصلي نحو الساعة السادسة » (اع ١٠ : ٩) هذه الصلاة تذكر المؤمن بصلب المخلص (مر ١٥ : ٣٣) ومزاميرها تشير الى ذلك والمؤمن يطلب فيها صلب انسان الخطية وصلب الجسد مع الاهواء والشهوات

رابعاً — صلاة الساعة التاسعة « وصعد بطرس ويوحنا معاً الى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة » (اع ٣ : ١) وهي تذكر المؤمن بموت المسيح واعتراف اللص اليمين وايمانه وفيها يطلب المؤمن من الله ان يميت الاميال الشريرة التي فيه وان يقبله اليه كما قبل اللص

خامساً — صلاة الساعة الحادية عشرة وتسمى صلاة الغروب تذكر المؤمن بساعة ازال جسد المسيح عن الصليب وتكفينه وفيها يشكر المؤمن الله الذي مات لاجله واراحه من لعنة الخطية وعلى حفظه اياه سائر النهار واتيانه به الى المساء بسلام

سادساً — صلاة الساعة الثانية عشرة وتسمى صلاة النوم تذكر المؤمن بوضع يسوع في القبر وكرازته للارواح التي في

السجن وتبشيره الموتى (١ بط ٣ : ١٩) ومزاميرها تشير الى ذلك وفيها يطلب المؤمن من الله حفظه بسلام اثناء الليل

سابعاً — صلاة نصف الليل « ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا يصليان ويسبحان الله » (اع ١٦ : ٢٥) « في منتصف الليل اقوم لاحمدك على احكام برك » (مز ١١٩ : ٦٢) وهذه الصلاة على ثلاثة اقسام (١) صلاة الهزيع الاول (٢) صلاة الهزيع الثاني (٣) صلاة الهزيع الثالث لكل هجعة من النوم صلاة وهي تذكر المؤمن بمجيء المسيح فجأة كلص فى نصف الليل وبيوم الدينونة الرهيب وتحثه على محاربة ابليس الذى ينتهز فرصة الظلام والسكون ليجرب المؤمن وتحث على السهر واليقظة حتى اذا جاء المسيح « يفتح له للوقت » ويكون المؤمن على استعداد لملاقاته كمثل العذارى الحكيمات

هذه هي السبع صلوات التي رتبتها الكنيسة القبطية وهي تدل دلالة قاطعة على روح التعبد لدى الاقباط ودرجة ارتباطهم بالله

فمن هو الانجيلي الحقيقى ؟ هل القبطي الذى يتبع اوامر المسيح ورسله ويفضل راحة الروح على راحة الجسد او الذى يهزأ بهذه العبادة ؟

وقد سمي كتاب الصلوات عند الاقباط بالاجبية وهي كلمة مشتقة من لفظة (اجب) القبطية ومعناها ساعة نسبة الى السبع

ساعات التي تمارس فيها هـذه الصلوات

والمؤمن ان يزيد عند الصلاة ما هو في حاجة خصوصية اليه من التضرعات والتوسلات وهو ما يسمونه بالصلاة الارتجالية

وقد وضعت الكنيسة هذه الصلوات المطولة لمن يريد من المؤمنين التلذذ بصرف جانب كاف من الوقت في مناجاة ربه والتأمل الروحي ولا تحتم الكنيسة على المؤمن حفظ كتاب الصلوات او تلاوة جميعه كل يوم اذ ليس الغرض من الصلاة مجرد تأدية فريضة كعادة أو ترديد الفاظ وانما الصلاة شعور باطني يدفع الانسان للتقرب من خالقه والاتصال به . ومزمور واحد يتلى برغبة وشوق وتأمل خير من مزامير كثيرة تلوكها الالسن والذهن منصرف في امور اخرى.

وسبب اختيار الكنيسة للمزامير وهي الجزء الاكبر من الصلوات هو لان المزامير من الجهة الواحدة تحوي نبوات عن المسيح في جميع ادوار حياته على الارض ولانها من الجهة الثانية موافقة لجميع ادوار حياة الانسان وجميع احتياجاته الروحية ولا اقدر من الوحي على التعبير عن تلك الاحتياجات « متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور له تعليم له لسان له اعلان له ترجمة فليكن كل شيء للبنيان » (١ كو ١٤ : ٢٦) «مكلمين

بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح واغاني روحية (إف ٥ : ١٩)

وقد استعملت المزامير في العبادة من بدء الكنيسة المسيحية كما يشهد التاريخ واجمعت عليه جميع الكنائس الرسولية ونفس المشيخيين يستعملونها دون سواها في الترنيم ولا يخفى ان المزامير وضعت في الاصل بعضها كطلبات وتضرعات وبعض غيرها كاناشيد والكنيسة القبطية تستعملها في الامرين

اما استعمال الصلاة الربانية فهو لان المسيح نفسه وضعها ولم يضعها للتلاميذ وحدهم كما يعتقد بعض المنشقين وانما وضعها للكنيسة في كل الاجيال وهي افضل صلاة وضعت للجنس البشري جمعت اسمى المعاني والاغراض في اوجز قالب . بها يخاطب الانسان خالقه بدالة البنوة ويقدس اسمه الذي دعى عليه ويطلب امتداد ملكوته على نفسه وانفس العالم اجمع ويظهر الطاعة والخضوع والتسليم لمشيئة الله كما تطاع وتنفذ مشيئته في السماء ويطلب منه سد حاجاته الجسدية مع القناعة وعدم الاهتمام بما للغد ويلتمس غفران خطاياه مع صفحه عن اساءة الآخرين اليه وان يحميه من التجارب وينجيه من الشيطان ويختم الصلاة بتمجيد الله والاقرار بملكه وقوته الدائمين

وهـذه الصلاة توافق المؤمن في كل دقيقة من دقائق حياته

والذي يزعم أن عبارة « خبزنا كفافنا اعطنا اليوم » لا تتفق مع
حالة الغنى هو واهم لاننا مديونون لباري النسم بالحيـاة والنور
والهواء والماء والغذاء والـكساء والصحه وكافة النعم . والاموال
التي بين أيدينا هي لله امانة ووديعة في ايدينا د... تمط وان لم يعط
الله القوت للانسان في حينه ويسمح به يموت جوعاً و... طاء واله
الـكثيرة بدون أن ينتفع منها بشيء

اما لفظة كيرياليصون وهي كلمتان يونانيتان فمعناهما يارب ارحم وهي صـلاة قصيرة لاستمداد الرحمة التي نحن احوج اليها في كل ثانية لاننا دائماً معرضون للزلل والخطأ وقد تكرر هذه الصـلاة احياناً ثلاث مرات و٤١ مرة بعدد الجلدات التي جلد بها المسيح وهي (٣٩جلدة) وضربه على رأسه بالقصبة وطعنه في جنبه بالحربة

اما صـلاة القداس ففي الاصل كانت تطلق على تقديس سر القربان وأما الآن فتطلق على كل ترتيب ونظام صلوات العبـادة الجمهورية بالـكنيسة وأقسامها ثلاثة الاول التعاليم وهي الاناجيل والمزامير والفصول من رسائل الرسول ورسائل باقي الرسل وسفر الاعمال والمواعظ وتاريخ حياة القديسين أى السنكسار . والثاني الطلبات والادعية والصلوات والثالث السر وهو الجزء الخاص بتقديس الخبز والخمر لحلول الروح القدس عليهما ومجموع القسمين الاخرين

يدعى كتاب الخدمة المقدسة او الخولاجي

والذي وضع القداس في الكنيسة القبطية هو مار مرقس الانجيلي وعليه بنيت جملة قداديس منها القداس الباسيلي نسبة الى القديس باسيليوس اسقف قيسرية في الاناضول وهذا القداس هو المستعمل الآن في الكنيسة القبطية غالباً

والقداس الغريغوري نسبة الى القديس غريغوريوس الثاولوغس أسقف نيزنزا ثم القسطنطينية ويستعمل في الكنيسة القبطية في الاعياد والمواسم الكبرى

والقداس الكيرلسي نسبة الى القديس كيرلس الاول بابا وبطريرك الاسكندرية الرابع والعشرين وهو غير مستعمل الآن في الكنيسة القبطية لصعوبة طريقة تلحينه ماعدا كنيسة اسيوط المطرانية والطلبات والادعية التي تقال في خدمة القداس كثيرة أهمها

(١) صلاة الاستعداد وفيها يطلب الكاهن البركة من الله لتكمل الخدمة حسب مرضاته

(٢) صلاة الشكر وفيها يشكر الله لاجل حفظه المؤمنين وشفقته عليهم وتعضيده أياهم

(٣) الصلوات الخاصة بالفصول التي تقرأ من رسائل بولص ورسائل باقي الرسل وسفر الاعمال والانجيل وفيها يطلب الكاهن

من الله اعطاء السامعين نعمة لفهم الكلمة والعمل با ناجيله والاقتداء بالمسيح ورسله ويطلب امتداد نور الانجيل ونزع عبادة الاوثان وتثبيت موعوظي الشعب في الايمان المسيحي

(٤) صلاة السلامة وفيها يطلب الكاهن سلامة الكنيسة وسلامة المؤمنين روحياً وجسدياً وسلامة الملك والجيش

(٥) صلاة الاباء وفيها يدعو الكاهن للبطريرك والمطارنة والاساقفة والقسوس والشمامسة بالسلامة ليرعوا الشعب بالطهارة والبر والاستقامة

(٦) صلاة الاجتماعات وفيها يطلب البركة على المجتمعين وعلى البيعة المقدسة وسحق قوة الشيطان وأهل البدع والشكوك واعداء الكنيسة ونجاتها من تعاظمهم وحسدهم وسعايتهم وعميمتهم وتبديد مشورتهم

(٧) صلاة الامانة المقدسة وفيها يتلو كل مؤمن قانون الايمان (نؤمن باله واحد الخ)

(٨) صلاة الصلح وفيها يتلو الكاهن نشيد الملائكة (المجد لله فى الاعالي وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة) ويطلب نجاة المؤمنين من كل غش ورياء وفعل خبيث وتذكار الشر ويقبل المؤمنون بعضهم بقبلة طاهرة مقدسة

(٩) صلاة القداس وتبتدىء بتمجيد الله وتسبيحه بتسبيحة

الشاروبيم والساروفيم (قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت الخ
ثم يذكر الكاهن سقوط ادم بغواية الحية وتدبير الله بسر الفداء
وتجسد المسيح وموته على عود الصليب وقيامته وصعوده الى السماء
ويتلو الآيات التي نطق بها السيد المسيح في مناولة التلاميذ سر
العشاء الرباني ثم يطلب حلول الروح القدس على القرابين فيصير
الخبز والخمر جسد المسيح ودمه ويطلب البركة للمؤمنين لكي
يكونوا جسداً واحداً وروحاً واحدة ثم يطلب سلامة الكنيسة
الواحدة الجامعة الرسولية ويدعو للاكليروس والشعب ثم يصلي
من اجل القرابين ومن اجل من قدمت عنهم او بواسطتهم ثم يذكر
الانبياء والرسل والقديسين واباء المجامع المسكونية الثلاثة الاولى
وانفس الراقدين في الرب ثم يبتدىء بصلاة القسمة عند كسر الخبز
ويختم هذه الصلاة والاقوال التي نطق بها السيد المسيح قبيل تسليمه
واثناء الصلب (راجع المقارنة البديعة المذكورة فى كتاب اللالىء
النفيسة في شرح طقوس الكنيسة جزء ١ صحيفة ٥٧٢ —
٥٧٧) وبعد ذلك يصلي الكاهن سراً طالباً من الله النجاة من
ابليس ومكائده وقطع الاسباب التى تسوق المؤمنين الى الخطية

ثم يصلى صلاة الخضوع وفيها يشكر الله لاجل هذه المائدة
التي تشتهي الملائكة ان تطلع عليها ويطلب تثبيت المؤمنين وقبول

توبتهم وغفران خطاياهم وخطاياه ثم يتلو الاعتراف بالجسد والدم الكريمين ثم يصلي لاجل التناول باستحقاق وبعد التناول يختم الصلاة بالشكر لاجل هذه الاسرار المقدسة

وهناك صلوات اخرى تقال اثناء خدمة القداس او في رفع البخور عن المسافرين والمرضى والاهوية ومياه النيل وغير ذلك من الادعية

وفي اثناء الصلوات يشترك الشماس والشعب مع الكاهن في ترديد الصلوات والتأمين عليها

والشروط التي تشترطها الكنيسة القبطية للصلاة هي

(١) ان يجمع المصلي افكاره ويوجهها الى العزة الالهية مصلياً بالروح والحق (مت ١٥ : ٨) الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا (يو ٤ : ٢٤) وحتى لا ينطبق عليه القول الآتي

« يقترب الي هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه واما قلبه فمبتعد عني بعيداً »

(٢) ان يصلي بخشوع وتواضع لا بافتخار وتشامخ كالفريسي « القلب المتخشع والمتواضع لا يرذله الله » (مز ٥١ : ١٧) (لو ١٨ : ٩ — ١٤)

(٣) ان يصلي بحسب مشيئة الله ولا يرتأى فوق ماينبغي « ان طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا (١ يو ٥ : ١٤)

(٤) ان يصلي بمواظبة « صلوا بلا انقطاع » (١ تس ٥ : ١٧) كونوا مواظبين على الصلاة (رو ١٢ : ١٢)

(٥) ان يصلي بلجاجة الى ان ينال ما يطلبه ولا يفشل عملاً بتعاليم المسيح التى ضرب لها مثل الارملة مع قاضي الظلم (لو ١٨ : ١ — ٧) ومثل الشخص الذى اقترض الارغفة من جاره في نصف الليل (لو ١١ : ٥ — ١٣)

(٦) ان يصلي بايمان « كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا ان تنالوه فيكون لكم (مر ١١ : ٢٤) « ولكن ليطلب بايمان غير مرتاب البتة » (يع ١ : ٦و٥)

(٧) ان يصلي وقلبه مملوء بالرحمة ومطهر من الضغينة على الغير « طوبى للرحماء لأنهم يرحمون » (مت ٥ : ٧) ومتى وقفتم تصلون فاغفروا ان كان لكم على احد شيء لكى يغفر لكم ايضاً ابوكم الذى فى السموات زلاتكم » (مر ١١ : ٢٥ ومت ٦ : ١٤و١٥ ولو ٦ : ٣٦و٣٧ وكو ٣ : ١٣)

(٨) ان يصلي منقياً قلبه من الشر والتمادى فيه « طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها (يع ٥ : ١٦ — ١٨) « ها ان يد

الرب لم تقصر عن ان تخلص ولم تثقل اذنه عن ان تسمع بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين الهكم وخطايا كم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع (اش ٥٩ : ١و٢) « ذبيحة الاشرار مكرهة الرب وصلاة المستقيمين مرضاته (ام ١٥ : ٨)

(٩) ان يصلي بغاية الوقار والخشوع متذكراً انه امام رب الارباب وملك الملوك وان يلاحظ اثناء وجوده فى بيت العبادة انه في بيت الرب « حقاً ان الرب فى هذا المكان . . . ما ارهب هذا المكان . . ما هذا الا بيت الله . وهذا باب السماء (تك ٢٨ : ١٦ و١٧)

وتطلب الكنيسة من المؤمن ان يدخل بيت الرب وهو طاهر جسداً وروحاً وتحتم الطهارة بنوع مخصوص عند تناول العشاء الرباني فقد ناول المسيح رسله هذا العشاء وهم مغتسلون واطهار وفوق ذلك غسل ارجلهم (يو ١٤ : ٣ — ١١) وحرم الله في العهد القديم من يأكل من ذبيحة السلامة وهو نجس (لا ٧ : ٢١ و ٢٢) فكم بالاولى من يأكل الجسد والدم المحيين

والصلاة تكون احياناً بالوقوف (الا لعذر كمرض او سفر) كقول المرتل (ياعبيد الرب الواقفين في بيت الرب مز ١٣٥ : ١و٢ وقوله تعالى (متى وقفتم تصلون (مر ١١ : ٢٥) وتشبهاً بالمسيح

الذي في صلاته ليلة آلامة خر على وجهه وجثا على ركبتيه (مت ٢٦: ٣٩ ولو ٢٢ : ١:)

ومما يستحب في الصلاة رفع الايدى « أريد ان يصلي الرجال في كل حين رافعين ايادي طاهرة (اتى ٢: ٨) « لنرفع قلوبنا وايدينا الى الله في السموات مرا ٣ : ٤٠ و ٤١) بسطت نحوك يدي مز ٨٨ : ٩) ورفع العينين الى فوق كما عمل المسيح حينما اقام لعازر وحينما بارك الخبز وكقول داود النبي (رفعت عيني اليك ياساكن السماء مز ١٢٣ : ١

ويستحب قرع الصدر كصلاة العشار والبكاء عند الاستغفار من الخطية كما كان يفعل داود النبي وغيره من الانبياء

هذا هو ملخص ترتيب الصلاة الانفرادية والاجتماعيـة في الكنيسة القبطية وكله حسب ترتيب الكتاب المقدس

ولـكن المعترضين لا يروق لهم شيء وتراهم دائما ابداً يشوهون محاسن الـكنيسة القبطية ويعترضون على هذه الصلوات بانها مكتوبة وهذا اعتراض سخيف لاننا بينا ان الغرض من الصـلاة حسب تعليم الـكنيسة ليس مجرد التلاوة وانما توجيه الفكر الى الله ومتى حصر المؤمن فكره مع الله امكنه تتبع كل معنى يرد في كتاب الصلاة . ولايخفى ان معظم كتاب الصلاة هو من كلام الوحى الموافق لحالة الانسان وكلام الوحى له تأثير خاص يصل الى اعماق القلب ولاترجع كلمة الله فارغة ولو اخذ بقول المعترض لترتب

على ذلك الاقرار بعدم فائدة تلاوة الكتاب المقدس لانه مكتوب والمعترض لا يسلم بذلك . وفريق من البروتستانت وهم الاسقفيون صلاتهم مكتوبة كالكنيسة القبطية . بل أليس كتاب الترنيم عند المعترضين مكتوباً وما هو الترنيم أليس هو نوعاً من الصلاة والعبادة

ثم يعترضون بان صلوات الكنيسة القبطية تتكرر يومياً وان هذا لا يتفق مع روح العبادة وهذا الاعتراض ايضاً منقوض لاننا قلنا ان الصلوات مستمدة من الوحي الالهي ولا يشبع المؤمن من كلام الوحى بل كلما ازداد تكراره كلما ازداد الشعور بحلاوته ولو قيل خلاف ذلك لجاز القول بالاكتفاء بتلاوة الكتاب المقدس مرة واحدة منعاً من السأمة وهذا لا يقوله قائل

بل أليست ترانيم الكنيسة البروتستانتية هي هي وتكرر من وقت لآخر . فلم لا يعترض على تكرارها ويعترض على تكرار الصلاة والاثنتان نتيجتهما واحدة

بل حلل ايها المعترض صلواتك التي تتلوها في الصباح والمساء وتناول الطعام وفي الكنيسة تجدها كلها تقريباً بالفاظ واحدة الا الصلاة التى تقال بعد العظة التي يقتبس المصلى منها بعض جمل من الاقوال التي يلقيها

وتكرار الصلاة ليس فيه شيء ضد الكتاب فقد كرر المسيح الالفاظ نفسها في صلاته في بستان جثيمانى بقوله ثلاث مرات

« يا ابتاه ان امكن فلتعبر عني هذه الكأس » مت ٢٦: ٣٩-٤٤

وكرز داود النبي في مزمور ١٣٦ عبارة لان الى الابد رحمته ٢٦ مرة ويوجد مزامير من مزامير داود النبي مكررة برمتها مثل مز ١٨ انظر ٢ صم ٢٢ : ٢ الخ ومز ١٠٥ : ١٠ جاء في ١ أى ١٦ : ٨ — ٢٢ ومز ٩٦ كله جاء في ١ أى ١٦ : ٢٣ — ٣٣

(الصوم)

الصوم واجب على المؤمن استمداداً لرحمة الله وارشاده وللخلاص من الضيقات والشدائد والتجارب وقمعاً للجسد وقد امر الله به في العهد القديم والعهد الجديد ومارسه المسيح نفسه ورسله وكنيسته في جميع الاجيال وهو كالصلاة والصدقة خصوصي وعمومي ولابد من ترتيب وتعيين مواعيد الصوم العمومي او الجمهوري ليتسنى لجميع المؤمنين الاشتراك فيه . وعبادة الله بنفس واحده ورأى واحد واهتمام واحد. والمسيح وان كان امر بالصوم كركن من العباده ولكن لم يعين مواعيده بل ترك ذلك لرسله الذين اعطاهم السلطان لترتيب العبادة في كنيسته وتنظيم سياستها الروحيـة

والرسل بناء على هذا السلطان وبارشاد الروح القدس قد نظموا شؤون الكنيسة ورتبوا انواع العبادات بما فيها الاصوام والاعياد جاعلين المسيح وتاريخ حياته على الارض قبـلة انظار الجميع

والاساس الذي تبنى عليه كل الانظمة ونحا نحوهم خلفاؤهم الملهمون الذين استمدوا السلطان منهم مباشرة وتسلمت هذه التعاليم خلفاً عن سلف الى ان وصلت الى ايدينا

وقد ذكرنا عند الكلام عن الكتاب المقدس والتقليد ان الرسل استلموا التعاليم عن المسيح شفوياً وعلموا الناس شفوياً ولم يذكروا كل التعاليم والتقاليد التي سلموها للمؤمنين في رسائلهم فيحتج المعترض بالكتاب المقدس وانما يكفي لاعتبار هذه التعاليم القدم والتواتر والاجماع وانطباقها على الكتاب وكما امرنا المسيح بطاعته امرنا بطاعة رسله وكنيسته

وها هى اهم الاصوام التى رتبتها الكنيسة

(١) صوم الاربعين المقدسة سنوياً تذكاراً لصوم المسيح واقتداء به

(٢) صوم يومي الاربعاء والجمعة اسبوعياً الاول لتآمر اليهود على موت المسيح فيه والثاني لان المسيح صلب فيه

(٣) صوم اسبوع الآلام (جمعة البسخة المقدسة) سنوياً

(٤) صوم العنصرة اي صوم الرسل الذى كانوا يمارسونه (اع ١٣ : ٢) اتماماً لكلام عريسهم ومعلمهم (مت ٩ : ١٥ وقد فرض هذه الاصوام الاربعة الرسل أنفسهم ووردت هذه

الفريضة في اوامرهم صراحة وايدتها اقوال الاباء في مؤلفاتهم اللاهوتية وأحكام المجامع وشهادة التاريخ بما فيها شهادة مؤرخي البروتستانت انفسهم الذين شهدوا ان هذه الاصوام كانت تمارس في الكنيسة من بدء عصورها الاولى (راجع موسهيم وكتاب ريحانة النفوس وغيره) وقد اجمعت الكنائس الرسولية على هذه الاصوام الاربعة ويلي الاصوام الاربعة المتقدمة في الاهمية

(١) صوم الميلاد — لايعرف منشأ تاريخ وضع هذا الصوم في الكنيسة وانما المسلم به انه قديم في الكنيسة استعداداً لعيد ميلاد المسيح كلمة الله كما استعد موسى بالصوم لاقتبال كلمة الله أي العشر وصايا ولدينا شهادة تاريخية ان الكنيسة الجامعة كانت تتعبد به قبل عصر القديس باسيليوس وزمان فم الذهب وشهد البروتسانت بان عادة المسيحيين انهم كانوا يصومون قبل الميلاد والفصح (راجع ريحانة النفوس صحيفة ٥٤)

(٢) صوم العذراء — هذا الصوم قديم جداً حتى زعم بعضهم ان الرسل هم الذين رتبوه بعد انتقال العذراء من هذا العالم اكراماً لذكرها كما حول مجمع نيقياصوم العنصرة الى اسم صوم الرسل اكراماً لذكرهم ولانه ينتهي بيوم شهادة اثنين منهم وقد اجمعت جميع الكنائس على صوم العذراء وقد اقره المجمع المسكوني الثاني وسمي باسم العذراء لان آخر هذا الصوم يوافق عيد

انتقالها فالتسمية من باب الذكرى ولم تكن عبادة ومن يقول غير ذلك كذاب والف كذاب فان تسمية الصوم باسم العذراء او باسم الرسل هو من قبيل تسمية التوراة باسم موسى والاناجيل والرسائل باسماء المبشرين والرسل مع انها لله

(٣) صوم نينوى نرض في الكنيسة القبطية في زمن الانبا ابرآم البطريرك الاسكندرى الثاني والستين نقلاً عن الكنيسة السريانية اخت الكنيسة القبطية لتوطيد المحبة بين الكنيستين وبقاء وحدة طقوسهما

(٤) صوم البرامون وهو لفظة يونانية صحتها براموني ومعناها فوق العادة استعداداً لاستقبال عيدي الميلاد والغطاس وقد أمر بهما الرسل وجميع الكنائس الرسولية تقرهما وكذلك الكنيسة الاسقفية البروتستانتية

هذه هي اصوام الكنيسة ويمتنع عن اكل الاسماك فى اصوام الاربعين وجمعة الآلام ونينوى والبرامون لاهميتها

اما الاصوام الانفرادية او الخصوصية فهي تختلف بحسب اختلاف ظروف وأغراض المؤمن بعد موافقة أب ذمته

وتعريف الصوم حسب تعليم الكنيسة القبطية هو الامساك عن الطعام والشراب والمأكولات الدسمة (دا ١٠ : ٢) وعن مشتهيات الجسد بما فيها الاختلاط الزوجي ١ كو ٧ : ٥

ويجب ان يقترن الصوم بالصلاة والتقوى والخشوع والتواضع وانسحاق النفس اذ انه ليس مجرد فريضة وانما عبادة لله ويجب ان يكون بالروح والحق

وتختلف فترة الصوم بحسب مقدرة المؤمن فالبعض يصوم الى بعد الغروب والبعض يصوم للساعة التاسعة ساعة تذكار موت المسيح والبعض للساعة السادسه ساعة صلب المسيح وهو موعد انتهاء الكنيسة فى ايام الاصوام

ويتضح من ذلك ان الصوم في الكنيسة القبطية ليس مجرد الامتناع عن اللحوم فقط وانما الامتناع عن الاكل ايضاً مقداراً من النهار ولكن الخصم الذى قصده الوحيد تشويه جمال تعاليم الكنيسة القبطية يتعمد اغفال الركن الآخر من اركان الصيام اغفالا تاماً ويتهكم على الامتناع عن اكل اللحوم كأنه بدعة فى الدين مع ان الكنيسة رتبته من البدء بارشاد الروح القدس تشبهاً برجال الله القديسين في العهد القديم كداود ودانيال

قال داود النبي « ركبتاي ارتعشتا من الصوم ولحمى هزل عن سمن مز ١٠٩ : ٢٤

وحسب ترجمة طبعة رومية سنة ١٨٥٤ وهي الاصح ركبتاى ضعفتا من الصوم ولحمي تغير من اكل الزيت

وقال دانيال النبي « في تلك الايام انا دانيال كنت نائحاً ثلاثة اسابيع ايام لم آكل طعاماً شهياً ولم يدخل في فمي لحم ولا خمر ولم ادهن حتى تمت ثلاثة اسابيع ايام (دا ١٠ : ٣و٢)

واذا تأملنا في الصيام وحكمته نجد ان الغرض الجوهري منه اذلال الجسد ومنع النفس عن مشتهياتها لتقوى الروح وكما يتأتى هذا الغرض من الامتناع عن الاكل بتاتاً يتأتى ايضاً من الامتناع عن المأكولات الشهية وكلنا نعلم ان الاستمرار في اكل اللحوم مما يزيد الطبيعة الحيوانية في الانسان فلا عجب اذا رتبت كنيسة الله الاصوام للاقلال منه بقدر الامكان كبحاً لجماح الجسد. وبعض علماء البروتستانات انفسهم يسلمون انه لا يعد صوماً ان يأكل الانسان في الليل ما له عادة ان يأكله في النهار (راجع كتاب كشف الظلام في حقيقة الصلاة والصيام المطبوع في بيروت سنة ١٨٥٦)

ومع ان الامتناع عن المأكولات الشهية لا يتنافى مع تعريف الصوم ومفيد للانسان ولا يعثر احداً ولكن البروتستانتي يحاربه بكل قواه واول طعن يوجهه الى تعاليم الكنيسة القبطية هو الطعن على الصيام كأن الاستمرار فى اكل اللحوم ركن من اركان الدين فتقوم قيامة البروتستانتي له وتقعده فلا يكفيه هو انه لا يصوم لان الصوم لا يوافق مزاجه . ولكن يعير من يصوم ويشكك

الناس حتى في عبادة الله . ولكن أليس تعييره للقبطي تعييراً لكل آباء الكنيسة القديسين الذين كانوا يصومون على هذا النحو ولرجال العهد القديم واخصهم بالذكر دانيال النبي وهل هذا التعيير من روح الله وايهما افضل فى العبادة من يمتنع عن الطعام فترة من النهار ويقنع عند الافطار بمأكولات بسيطة او من لا يصوم ابداً ؟وان صام جزءاً من اليوم يعوض الصيام بألذ المأكولات؟ وكيف انعكست الاية واصبحت التقوى تعير ؟ يقول المعترض ان ما يدخل الفم لا ينجس الانسان مت ١٥ : ١١

ويقول ان الرسول بولس نهى عن الامتناع عن اطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر . . . . لان كل خليقة الله جيدة ١ تي ٤ : ٣ — ٥

ويقول فلا يحكم عليكم أحد في اكل وشرب او من جهة عيد او هلال او سبت التي هي ظل الامور العتيدة كو ٢ : ١٦

ويقول أما الضعيف فيأكل بقولاً رو ١٤ : ٢

وهو يعلم ان الآية الاولى قالها المسيح رداً على اعتراض الكتبة والفريسيين على تلاميذه بعدم غسل أيديهم حينما يأكلون الخبز ولم يكن لها مساس بالصوم والآية الثانية قالها الرسول نبوة عن بدعة ماني التي ظهرت في الجيل الثالث للمسيح اذ حرمت الزواج لانه مناف للفضيلة حسب فكر المبتدع واتباعه ورداً على بدعة من

جرموا اكل اللحوم تحريماً دائماً لزعم فريق منهم ان اللحوم خالقها اله الشر فهي نجسة لذلك يجب تحاشيها ولزعم فريق منهم ان من يأكل لحم حيوان يكون مرتكباً جريمة قتل هذا الحيوان وشتان بين هذا التعليم وبين موضوع الصوم المسيحي الذي لا يحرم أكل اللحوم وانما يمنع امتناعاً وقتياً عنها للتفرغ للعبادة

بل أليس الصوم الطبي الذي يسلم به البروتستانتي هو امتناع وقتي عن أكل المأكولات بما فيها اللحوم فأن كانت الآية المذكورة تنطبق على صوم الكنيسة القبطية فبدون شك تنطبق ايضاً على الصوم الطبي ويكون الصوم الطبي ممنوعاً أيضاً . والآية الثالثة قالها الرسول بولس عن اليهود الذين كانوا يريدون ان يقيدوا المسيحيين بالختان والاعياد والفرائض اليهودية ومنعهم عن اكل المأكولات التي تحرمها شريعة موسى . ولا دخل لهذه الآية بالصوم الذي تفرضه الكنيسة المسيحية والآية الرابعة قالها الرسول بولس بسبب الخلاف الذي كان حاصلاً بين اليهودي المؤمن والاممي المؤمن في موضوع الاطعمة اذ كان الاول لا يزال يمتنع عن بعض الاطعمة لاعتقاده انها نجسة حسب شريعة موسى فكان يكتفي بأكل البقول والثاني كان يحتقر اليهودي لهذا السبب فعد الرسول المؤمن اليهودي الذى من هذا القبيل ضعيفاً في الايمان وتجب معاملته بالمحبة والرفق ووبخ الاثنين بسبب ازدراء احدهما بالآخر لاجل

هذا الخلاف الذي لايقدم ولا يؤخر شيئاً فى الخلاص ولم يكن لهذه الآية وما تلاها أية علاقة بموضوع الصوم

واذا عد من يأكل البقول في عصر ضعيفاً في الايمان فيمكن بعدل ان يعد في ايامنامن يأكل اللحوم هو الضعيف في الايمان الذي يستحق ان تعامله الكنيسة برفق بسبب ضعفه وتبدخه

ولا يكفى المعترض بالاعتراضات المتقدمة التي فندناها فيعترض بان الصوم اختياري حسب رغبة المؤمن لا اجبارى بدليل قول المسيح « واما أنت فمتى صمت » أى متى اردت ان تصوم على ان هذا الاعتراض في غير محله فلفظ متى لايفيد الشك بل التحقيق وهو من قبيل قوله (متى جلس ابن الانسان على كرسي مجده مت ١٩ : ١٨)

وتعبير المسيح عن الصوم هو نفس التعبير الذي عبر به عن الصلاة والصدقة « واما انت فمتى صليت ومتى صنعت صدقة » فلو أخذ برأى المعترض لانبنى عليه أن المؤمن غير ملزم بالصلاة والصدقة ولا يمكن ان المعترض يسلم بذلك

لقد صام المسيح ولم يكن في حاجة الى الصوم ولكن لكى يعلمنا نحن البشر الضعفاء ضرورة ووجوب الصوم والمواظبة عليه لنتغلب على جسد الخطية وقوات وتجارب الشيطان التي تحاربنا في كل لحظة وتحارب الكنيسة . ولقد واظب الرسل على الصوم وما كانوا يمارسون عملاً بدون الصوم مت ٩ : ١٥ واع ٩ : ٩ و ١٣

: ٢ و ٣ و ١٤ : ٢٣ و ٢٧ : ٩ – ٢١ و ١ كو ٩ : ٢٧ و ٢ كو ٦ : ٥ و ١١ : ٢٧

وحثوا المؤمنين عليه في رسائلهم ١ كو ٧ : ٥ ورتبوا مواعيده في الكنيسة كما رأينا وسارت الكنيسة على هذا النظام في كل الاجيال فلا معنى لانكار وجوب الصيام خصوصاً الصوم الاجتماعي الذي مثله كمثل الصلاة الاجتماعية والغرض منه الاشتراك الفعلي في العبادة فلا يصح أن يشذ فرد من الجماعة الا اذا كان له عذر يمنعه عن الصيام كمرض او كبر سن اوصغر

ولو ترك صوم اوصلاة الجماعة لاختيار الافراد لترتب على ذلك امكان عدم حصول صلاة اوصيام اجتماعي بالمرة واصبح ممكناً الاستغناء عن العبادة الجمهورية وهذا لايقول به قائل

يقول المعترض ان الصوم لايجب ان يكرر سنوياً وهذا الاعتراض مردود لان الصوم كالصلاة وقد رأينا عند الكلام على الصلاة انها تمارس يومياً واسبوعياً وسنوياً وتكرر وليس من حرج في ذلك

وكانت الاصوام في الكنيسة اليهودية اصواماً دورية تكرر كل سنة بأمر من الله « ان صوم الشهر الرابع وصوم الخامس وصوم السابع وصوم العاشر يكون لبيت يهوذا ابتهاجاً وفرحاً » زك ٨ : ١٩ فما المانع من ان الاصوام تكون دورية في كنيسة العهد الجديد والكنيستان كنيسة واحدة ؟

وقد جاء في سفر الاعمال « ولما مضى زمان طويل ... اذ كان الصوم ايضاً قد مضى اع ٢٧ : ٩ وهذا يدل على ان الصوم كان يمارس سنوياً عند اليهود وقبله الرسل كذلك

ثم يقول المعترض ان الصوم لا يعد صوماً اذا كان الانسان يمارس أعماله الاعتيادية ومع ان الكنيسة القبطية تحث بنيها على لانهماك في عبادة الله اثناء الاصوام والصلوات الاجتماعية والقداسات في الكنيسة تعمل يومياً في اثناء الاصوام الا انه ليس من الضروري الامتناع عن العمل لمن لا تسمح ظروفه بذلك وها بنو اسرائيل كما رأينا كانوا يصومون اشهراً في كل سنة فهل يمكن ان يكونوا كلهم امتنعوا عن مباشرة مصالحهم . بل توجد عدة امثلة في اسفار العهد القديم تدل على أن الصائمين كانوا يؤدون اعمالهم اثناء مدة الصيام فقد كان نحميا وقومه يشتغلون في بناء السور وهم صائمون نح ٤ : ٢١ وعزرا ومن معه من بني اسرائيل كانوا صائمين وهم مسافرون الى اورشليم عز ٨ : ٢١ و٢٣ وصام بنو اسرائيل في زمن صموئيل النبي وهم في الحرب مع الفلسطينيين ١ صم ٧ : ٥ و٦ و١٤ : ٢٤

وبولس الرسول والاسرى الذين كانوا معه كانوا صائمين اثناء سفرهم الى رومية اع ٢٨ : ٩

بل ألم يقل المسيح واما انت فتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائماً مت ٦ : ١٧و١٨ وهل يتأتى اخفاء الصوم اذا حصل الامتناع عن العمل

واخيراً يعترض المعترض بقول المسيح في الآية المذكورة انفاً بوجوب عدم اظهار الصيام للناس ويقول ان صوم الكنيسة القبطية لا يتفق مع هذه الآية على ان هذا الاعتراض فى غير محله لان قصد المسيح هو عن الصوم الخصوصي كما تكلم عن الصلاة الخصوصية والصدقة الخصوصية

ولو قلنا بعدم جواز الصوم الجمهورى خشية من ظهور صيام المؤمن لادى ذلك الى القول بابطال الصلوات الاجتماعية خشية من ظهور صلاة الفرد وفي الواقع ان غرض المسيح الجوهرى منع التفاخر ولا مجال لان يفتخر مؤمن على مؤمن فى صوم يشترك فيه جميع المؤمنين

هذه هى اهم الاعتراضات على الصوم وقد فندناها وليس في الصوم شيء ينافي الكتاب ولا هو ضد الدين بل بالعكس ينطبق تمام الانطباق على الكتاب المقدس وهو رياضة روحية تفيد الروح والجسد معاً .

(الاعياد)

فرض الله الاعياد فى شريعة موسى وامر بحفظها ومعاقبة من يهملها واهم تلك الاعياد السبت وعيد الفصح وعيد الاسابيع وعيد المظال . ولما جاء السيد المسيح احترم الاعياد واحتفل بها اسوة بشعب اسرائيل فكان يذهب الى اورشليم لحضور عيد الفصح. واكل الفصح قبل آلامه لو ٢ : ٤٢ و يو ٢ : ١٣و٥ : ١مت ٢٦: ١٩ ومر ١٤ : ٤ . وحضر عيد المظال يو ٧ : ١٠و٢ وحضر عيد التجديد يو ١٠ : ٢٢ . وبعد صعوده استبدل الرسل الاعياد اليهودية باعياد تدور حول مركز الدائرة وحجر الزاوية المسيح يسوع عريس الكنيسة فغيروا يوم السبت بيوم الاحد اول الاسبوع تذكاراً لقيامة المسيح ورتبوا الاعياد السنوية الكبيرة الآتية

(١) عيد الفصح او عيد القيامة وهو اكليل الاعياد واعظمها لخروج المسيح ظافراً من القبر منتصراً على الهاوية ناقضاً اوجاع الموت اع ٢ : ٢٤

(٢) عيد الميلاد احتفالاً بمولد السيد المسيح الذى احتفلت به الملائكة وانشدت « المجد لله فى العلا وعلى الارض السلام وبالناس المسرة لو ٢ : ١٠و١٤

(٣) عيد العنصرة أو عيد حلول الروح القدس او عيد الخمسين الذي فيه حل الروح القدس بشبه السنة نارية اع ٢ : ١ — ٤

(٤) عيد الغطاس أو عيد الظهور الالهي تذكاراً لظهور الثالوث الاقدس بهيئة محسوسة حينما تعمد المسيح من يوحنا وظهر الروح القدس بشبه حمامة واستقر عليه ونادى الآب من السماء « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » مت ٣ : ١٣ — ١٧

(٥) عيد الصعود تذكاراً لصعود المسيح الى السماء بعد اربعين يوماً من قيامته لو ٢٤ : ٥١ و اع ١ : ١ — ١١

(٦) عيد البشارة تذكاراً لاعلان الملاك مريم العذراء ببشرى الخلاص والحبل بالمخلص حين هتفت مريم « تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي لو ١ : ٤٦ — ٥٥

(٧) عيد الشعانين او أحد السعف ولفظ الشعانين مشتق من لفظ عبراني معناه يارب خلص ومنه أخذت لفظة اوصنا اليونانية تذكاراً لدخول المسيح اورشليم وهتاف شعب اليهود له « اوصنا لابن داود مبارك الآتي باسم الرب أوصنا في الاعالي » مت ٢١ : ٩

وقد رتبت الكنيسة الاعياد السيدية الاخيرة الآتية

(١) عيد التجلي (٢) عيد ختان المسيح (٣) دخول السيد المسيح الهيكل (٤) حضور السيد المسيح في عرس قانا الجليل (٥) خميس العهد (٦) أحد توما (٧) عيد دخول المسيح أرض مصر

ورتبت الكنيسة ايضاً اعياداً تذكاراً للرسل والقديسين احياء لذكرهم واقتداء بفضائلهم باعتبار انهم ابطال الكنيسة وابقاء الصلة والرابطة بين الاحياء والراقدين وكلا الفريقين اعضاء في جسد واحد رأسهما المسيح

وقد أمر الرسل بعيد يوم الاحد وبالاعياد السيدية السبعة الكبيرة التي ذكرناها كما جاء صراحة في اوامرهم. وهناك آيات صريحة في الكتاب المقدس تشير الى بعض هذه الاعياد فتوجد نصوص منها عن يوم الاحد مسلم بها من الجميع فأشارت الى عيد الفصح بقول الرسول بولس «أن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لاجلنا اذاً لنعيد ليس بخميرة عتيقة لا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الاخلاص والحق ١ كو ٥ : ٧ و ٨ — وأشارت الى عيد يوم الخمسين فقد ورد في سفر الاعمال ان بولس « كان يسرع حتى اذا امكنه يكون فى اورشليم في يوم الخمسين اع ٢٠ : ١٦ وقال في رسالته الاولى الى كورنثوس « ولكنني امكث فى أفسس الى يوم الخمسين » ١ كو ١٦ : ٨

وجاء في سفر الاعمال عن لسانه أنه ودع أهل أفسس قائلاً ينبغي على كل حال أن أعمل العيد القادم في اورشليم اع ١٨ : ٢١

فهذه الايات تدل دلالة قاطعة على صحة مبدأ وجود الاعياد المسيحية وليس من الضروري ذكر كل الاعياد في الكتاب لان

الديانة المسيحية بدأت شفوياً وبالتسليم ولم يذكر الكتاب كل الطقوس (راجع مقالة الكتاب المقدس والتقليد)

وكتب التاريخ وعلماء الكنيسة مجمعة على أن الاعياد المسيحية وجدت من بدء أنشاء الكنيسة بما فيهم بعض مؤرخي وعلماء البروتستانت

قال صاحب كتاب ريحانة النفوس البروتستانتي عن عيدي القيامة والعنصرة « وبيان انهما قد حفظا قديماً جداً حتى انه يوجد برهان على انهما كانا في القرن الاول وربما في أيام الرسل أيضاً وانهم ان لم يأمروا بهما فلم يكونوا غير راضين باستعمالهما لكي يرسخ وطيداً بواسطتهما في عقول المسيحيين أمران عن معظم التعاليم الانجيلية الاساسية وهما الكفارة بواسطة آلام المسيح وموته وفيض الروح القدس على الكنيسة

« وبما ان المسيح هو المرموز اليه بواسطة الخروف الذي كان يذبح ويؤكل في فصح اليهود كان موافقاً للطبيعة أن موت المسيح الذي كما يقول الرسول عنه « لان فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لاجلنا يحفظ عيد الفصح) — وبما ان تأسيس الكنيسة المسيحية يحسب ابتداؤه الحقيقي من حين حل الروح القدس وآمن ثلاثة الاف في يوم واحد فيستحق هذا الحادث العظيم ان يذكر (صحيفة ١٣ و ١٤)

وقد اجمعت جميع الـكنائس الرسولية بصحة الاعياد المسيحية ووجوب ممارستها وبعض كنائس البروتستانت تحتفل بكل هذه الاعياد ومن ضمنها الكنيسة الاسقفية ولا تزال الكنيسة المشيخية تحتفل بعيد الميلاد وله اهمية عظمى عندها ولـكن من الغريب ان الكنيسة المشيخية الوطنية في مصر لاتحتفل حتى بهذا العيد

ويتضح من كل ما تقدم ان الاعياد المسيحية هي تسليم رسولي متفق تمام الاتفاق مع الكتاب المقدس ومجمع عليه ولا ينكره الا المكابر!

يقول المعترض أن الرسول بولس قال « لايحكم عليكم في عيد أو هلال او سبت » كو ٢ : ١٦ وقد تكلمنا عن هذه الآية في موضوع الصوم وبينا انها لا تختص بالاعياد المسيحية بل الاعياد والعوائد اليهودية بدليل قول الرسول في نفس الاية « التي هي ظل الامور العتيدة » وبدليل ان الرسول نفسه كان يعيد كما رأينا في الآيات التي ذكرناها انفاً وبديهي أن الرسول ما كان يعيد الاعياد اليهودية التي نهى عنها وزالت بزوال الطقوس اليهودية وانما كان يعيد الاعياد المسيحية

ويلاحظ ان المسيح لم يكتف بالانجيل الذي هو اعظم تاريخ وذكرى له بل فرض فريضة العشاء الرباني لتذكره الـكنيسة الى مجيئه والرسل لم يكتفوا بهذه الفريضة فقط بل استبدلوا بارشاد

الروح القدس يوم السبت بيوم الاحد لذكر المسيح وقيامته وللغرض عينه رتبوا الاعياد السيدية بل كل انظمة الكنيسة وجعلوا شخص المسيح قبلة الانظار يمثل تاريخه أمام المؤمن في كل سنة وشهر وساعة ولحظة

فهل احتفال الكنيسة القبطية باعياد السيد المسيح رئيسها وموضوع رجائها عملاً بارادته وتنفيذاً لأوامر رسله واتفاقاً مع جميع الكنائس في كل زمان يعد عملا منافياً لامر الله فتقوم القيامة عليها كأنها ارتكبت أمراً اداً وهل في هذه الاعياد عثرة لاحد ؟

(باقى عقائد وطقوس الكنيسة)

(الهيكل والمذبح والحجاب واستعمال الانوار والبخور)
(وملابس الكهنوت)

اثبتنا فى شرحنا سر الافخارستيا ان سر العشاء الربانى هو ذبيحة واثبتنا وجود الكهنوت المسيحى الذي حل محل الكهنوت اللاوي [١] وقلنا ان الكهنوت لم يلغ وانما تغير فقط ومتى كان في العهد الجديد ذبيحة وكهنوت فلا بد من مكان تقدم فيه الذبيحة (هيكل) ولا بد من مذبح توضع عليه الذبيحة ولا بد من انظمة لممارسة طقس الكهنوت وقد ذكرنا ان كنيسة العهد الجديد هي عين كنيسة العهد القديم ولكن بطريقة ابهى واكمل

---

(١) استدراك لما ورد (في ص ٨١ من هذا الكتاب) والتأمل في (خر ١٩ : ٢٢ و ٢٤) لا يعلم ماهية وموضوع خدمة هؤلاء الكهنة الذين تقدموا على زمان فرز سبط لاوى وتخصيص نفر منه للتكهن الا اذا مر بنظره على ما ورد في (خر ١٨ : ١٣ — ٢٦) ومن ثم يعلم موضوع خدمة اولئك الكهنة وهو القضاء لا غير وعليه فتكون تسمية خدام العهد الجديد المتولين الحكم على الجمهور المسيحي بكهنة لازمة ولازبة فوق خدمة الاسرار الربية

ولا يخفى ان نظام كنيسة العهد القديم مؤسس من الله على شبه السماويات فعند عدم النص في العهد الجديد وجب الرجوع لكتاب العهد القديم وهذا هو عين ما فعله الرسل الذين اختارهم المسيح من اصل يهودي وفوض اليهم ترتيب نظام كنيسته . قال المرحوم الدكتور هوج زعيم الكنيسة المشيخية بمصر فى كتاب مرآة الاكتشاف صحيفة ٣١٢٢٦ « ان الكنيسة المسيحية الرسولية قد تسلمت من المجمع اليهودي اصول نظامها وطريقة سياستها ومعظم صور عبادتها وذلك بتعيين المسيح نفسه الذي كان حجر زاوية هذا وذاك » الى أن قال « أن الرسل في وضع نظام كنيسة العهد الجديد لم يرسموا رسماً جديداً بل اتخذوا هيئة النظام الموجود بين ايديهم في المجامع اليهودية »

ومتى كان الامر كذلك فلا حرج على الكنيسة وباقي الكنائس الرسولية ولا لوم عليها اذا عملت بما تسلمته من الرسل وسارت في طقس الكهنوت وخدمة السرائر المقدسة حسب نظام كنيسة الله قديماً خصوصاً اذا كانت طبيعة الشيء تقضي بهذا النظام ولا غنى عنه

ومع ان المذبح من مستلزمات الذبيحة لتوضع عليه كما ذكرنا فان انبياء العهد القديم تنبأوا صراحة عنه (راجع الايات التي ذكرناها

في سر الافخارستيا وسر الكهنوت ومنها « في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط ارض مصر » (اش ١٩ : ١٩)

وقال السيد المسيح « اذا قدمت قربانك الى المذبح مت ٥ ٢٣ و ٢٤ »

وهذا النص قاله المسيح في خطبة الجبل التي هي اساس الديانة المسيحية وموجهة لكل المؤمنين في كل الاجيال ولم يقصد بها هيكل اورشليم الذي تنبأ بقرب زواله وقال الرسول بولس « لنا مذبح لاسلطان للذين يخدمون المسكن ان يأكلوا منه . عب ١٣ : ١٠ » ولا يقصد بقوله هذا غير المذبح الذي توضع عليه مائدة الرب التي لا يمكن لكهنة اليهود ان يأكلوا منها واعتبرها الرسول ذبيحة كما تعتبرها الكنيسة القبطية

نظراً لجلال ذبيحة العهد الجديد وجب ان يخصص لها مكان يليق بها في محل العبادة تمارس فيه وهو الهيكل

اما الحجاب فما هو الا حاجز فقط اسوة بباقي الحواجز الموجودة في الكنيسة لان نظام بناء الكنائس من قدم كان يقضي بتقسيم الكنيسة الى جملة اجزاء تفصلها خوارس (حواجز) للتفرقة بين صف وصف حسب درجة ايمان كل فريق . منها (١) صف الباكين الذين كانوا يقفون في مدخل الكنيسة ويطلبون الى الداخلين ان يصلوا لاجلهم (٢) صف السامعين الذين كان لهم ان

يسمعوا ولايشتركوا في الصلاة (٣) صف الراكعين الذين كانوا يركعون امام باب الهيكل لحين انتهاء الصلاة (٤) صف المشتركين الذين كانوا يشتركون في الصلاة دون ان يتناولوا الاسرار المقدسة . اما المستعدون للتناول فكان يصرح لهم بالدخول في الهيكل ولكن كان يمنع منه المفرزون والموعوظون الذين تحت الدخول في الايمان والنساء

وشق حجاب الهيكل الذي حصل بعد صلب المسيح الذي يحتج به البروتستانت لم يكن الا معجزة من ضمن المعجزات الكبيرة التي حصلت عقب هذه الحادثة المشهورة ومن رواية الرسول عب ٩:٣ يعلم ان للهيكل كان اكثر من حجاب ولم يذكر الانجيل الا انشقاق حجاب واحد

وكان المغزى الروحي من شق الحجاب الدلالة على ان دم المسيح الذي سفك على عود الصليب نقض عداوة الخطية التي كانت فاصلة بين الله والناس واصبح الانسان الممنوع بسبب الخطية من الدخول الى قدس الاقداس (مسكن الله) مسموحاً له بذلك بعد المصالحة بموت الفادي والتقديس بالحياة الروحية وبالتالي قادراً ان يساكن الله في اورشليم السمائية رؤ ٢١ : ٣ . ولكن هذه المعجزة التي كان مفعولها المادي وقتياً وقاصراً على تلك الحادثة لاتمنع من اقامة الحواجز في الكنائس حسبما يقتضيه ترتيب

ونظام العبادة . اما العلاقة بين الله والمؤمنين فهى علاقة روحية لا يؤثر على هذه العلاقة حجاب او حاجز مادي واين هو الحجاب والمسيح اعطانا جسده ودمه لنغذي نفوسنا بهما وقبل ان يحل فينا بكل ملئه

اما الانوار فكانت مستعملة فى العهد القديم فقد امر الله بانارة السرج دائماً خر ٢٧ : ٢٠ وامر بوضع المنارة في خيمة الاجتماع مقابل المائدة خر ٥ : ٣١ – ٤٠

وسليمان لما بنى الهيكل وضع فيه المنارة وسرجها ٢ أى ٤ : ٢٠ وتوجد آيات اخرى تشير الى ذلك

واذا كانت الانوار لازمة لذبيحة الخروف التي كانت مجرد رمز لذبيحة المسيح فكم بالاولى تكون الزم لبهاء ذبيحة الجسد والدم الكريمين التي تذكرنا دائماً المسيح « نور العالم » ولذلك رتبت الرسل الانوار بنص صريح في اوامرهم على مثال كنيسة العهد القديم ومثال مجد كنيسة السماء كما وصفها اللاهوتي حيث يقول (رأيت سبع منابر من ذهب رؤ ١ : ١٢ وامام العرش سبعة مصابيح نار رؤ ٤ : ٥)

اما ملابس الكهنوت فقد امر الله بها فى العهد القديم بقوله لموسى « واصنع ثياباً مقدسة لهرون اخيك للمجد والبهاء وتكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة ان يصنعوا ثياب هرون ليكهن لى خر ٢٨ : ٢ و٣

وقياساً على ذلك رتب الرسل ان يلبس كهنة العهد الجديد اثناء تقدمة الذبيحة ملابس خاصة تليق بجلال وعظمة تلك الذبيحة الالهية واختير اللون الابيض على شبه كنيسة السماء كما جاء في رؤيا دانيال النبي ان لباسه (المولى عز وجل) ابيض كالثلج دا ٧ : ٩

ورأى يوحنا الاربعة وعشرين قسيساً متسربلين بثياب بيض حول العرش رؤ ٤ : ٤ ورأى المفدين واقفين امام العرش وامام الخروف متسربلين بثياب بيض رؤ ٧ : ٩ والمسيح في التجلي اضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور مت ١٧ : ٢ ومر ٩ : ٣

وقد اجمعت الكنائس الرسولية على وجوب تأدية هذه السرائر المقدسة بالملابس الخاصة ولا تزال الكنيسة الاسقفية البروتستانتية تتبع هذا النظام

اما البخور فقد كان مستعملاً في العهد القديم بأمر من الله ملازماً لذبيحة المحرقة وكان له مذبح خاص واحياناً كان يستعمل مستقلاً في التكفير عن الشعب ورفع الاوبئة راجع (خر ٣٠: ١ و٧ و٨ و٩ و٣٤ — ٣٧ وعد ١٦ : ٤٦) وقد بشر الملاك زكريا الكاهن بيوحنا اثناء ما كان يكهن ويبخر (لو ١ : ٨) وتنبأ ملاخي النبي عن استعمال البخور في العهد الجديد بقوله

« لانه من شرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم بين الامم وفي كل مكان يقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لان اسمي عظيم بين الامم قال رب الجنود مل « ١ : ١١ »[١]

وقدم المجوس الذين قدموا من المشرق للمسيح وهو طفل ذهباً ولباناً ومراً (مت ٢ : ١١) وهـذا اللبان (اى البخور) كان اشارة الى كهنوت المسيح باجماع المفسرين

وقد ذكرنا ان ذبيحة الجسد والدم حلت محل ذبيحة خروف الفصح وكما كان البخور من مستلزمات تلك الذبيحة فلا شك يكون من مستلزمات هذه الذبيحة ايضاً أى ذبيحة العهد الجديد كما انه من مستلزمات الذبيحتين الصلاة والصوم والاعتراف

والى هذا البخور اشار يوحنا اللاهوتي فى رؤياه بقوله « ان الاربعة وعشرين قسيساً امام الخروف ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين رؤ ٥ : ٨ — ورأيت ملاكاً جاء ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب واعطى بخوراً كثيراً لكي يقدمه مع صلوات القديسين من يد الملاك امام الله رؤ ٨ : ٣و٤

---

(١) في هـذه الآية تصرف في الترجمة وصحة ترجمتها هي (وفي كل مكان تقتر لاسمي تقدمة طاهرة (ومعنى تقتر تصعد رائحة الذبيحة حين تشوى)

فلا عجب ان رتب الرسل اصعاد البخور في كنيسة المسيح تبعاً لنظام كنيسته قديماً وتشبهاً بما رؤي في السماء وتحقيقاً للنبوات الالهية ولا عجب ان اجمعت الكنائس الرسولية شرقاً وغربا على ممارسته

والمعترضون الذين خالفوا الاجماع ونصوص الكتاب المقدس (اذ لا يوجد نص ينص بالغاء هذه الانظمة التي ذكرناها) يتهكمون على هذه الانظمة ويدعون ان الكنيسة القبطية اخذت الانوار والبخور وملابس الكهنوت من البرابي والهيا كل الوثنية. والاغرب من ذلك ان تنطلى هذه الاقوال لا على البسطاء من الاقباط فقط بل على كثيرين من العقلاء والمتنورين فانظروا ايها الاقباط الى اى حد بلغ الامر باعداء كنيستكم حتى يشوهوا جمالها ويصوروها بأبشع الصور يمثلونها امام اعينكم كنيسة وثنية لابعادكم عنها وقد رأيتم ان كل هذه الانظمة واردة فى الكتاب الذى يبشرون به ومجمع عليها من جميع الكنائس فلا عذر لهم في هذا الادعاء الذى لا يتفق مع واجب الصدق والادب اللهم الا اذا كانوا يعتقدون مثل بعض المتطرفين ان موسى نقل انظمته عن المصريين ونسبها لله فليجاهروا بهذا الرأى وينبذوا الكتاب عوضاً عن التحكك في الكنيسة القبطية والطعن على تعاليمها المستقاة من المصادر الالهية

(رسم الصليب)

تم خلاص الجنس البشرى بصلب المسيح وعلى حادثة الصلب تتوقف كل الديانة المسيحية فلا عجب ان الصليب الذى كان عند اليهود لعنة يصبح بركة وعلامة وشعاراً للمسيحيين كما انه هو بدون شك علامة المسيح التي سوف تظهر في السماء عند مجيئه الثانى مت ٢٤ : ٣٠ يستعمل فى العماد والصلاة وعند النوم وعند اليقظة في الخروج والدخول فى المأكل والملبس فى اماكن العبادة والبيوت والاعتاب فى الاعلام الدولية والاوسمة وعلى اذرع المؤمنين . وقد بدأ استعمال رسم الصليب من بدء الديانة المسيحية بأمر من الرسل انفسهم واجمع المؤرخون بما فيهم مؤرخو البروتستانت على انه كان مستعملاً فى الجيل الاول للمسيح في الامور الدينية واعمال الناس الاعتيادية للدلالة على البركات التى تمت بدم المسيح المسفوك على خشبة الصليب (راجع ريحانة النفوس للبروتستانت صحيفة ٥٩ — ٦٣ . وانبأنا التاريخ ان الامبراطور قسطنطين لم يؤمن بالمسيح الا بعد ان ظهرت له علامة الصليب في كبد السماء وناداه صوت انه بهذه العلامة ينتصر على اعدائه وأنبأنا ايضاً ان والدته الملكة هيلانة عثرت على خشبة الصليب

التى صلب عليها السيد المسيح وسط خشبتى اللصين وعرفت صليب المسيح بوضع جثة ميت عليه فقام وبنت الملكة فى موضعه كنيسة القيامة الموجودة لغاية الآن وتذكاراً لاكتشاف هذا الصليب تحتفل الكنائس بعيده مرتين فى السنة

وقد اجمعت كل الكنائس على احترام علامة الصليب ورسمها في الشعائر الدينية بما فيها الكنيسة الاسقفية — والكنيسة القبطية تستعمل الصليب اسوة بباقى الكنائس وتبدأ الصلاة دائماً برسم الصليب فيضع المؤمن يده على جبهته ويقول « باسم الآب اشارة الى ان الله الآب في السماء وانه رأس كل شيء ثم ينقلها الى صدره ويقول « والابن » للدلالة على ان المسيح الاقنوم الثاني هو الذى نزل من السماء وتجسد ثم يضعها على كتفه اليسرى وينقلها الى اليمين ويقول « الروح القدس » اشارة الى انه بموت المسيح مصلوباً وفاعلية الروح القدس قد نقلنا من عبودية ابليس المعبر عنها بجهة اهل اليسار الى ملكوت المسيح المعبر عنه بجهة اهل اليمين (مت ٢٥ : ٣٣) ثم يختم بقوله « الاله الواحد آمين » اعترافاً بوحدانية الله

ومع ان هذا الاقرار هو خلاصة قانون الايمان ومع ان الصليب هو اساس الديانة المسيحية ورسم الصليب لا يعثر احداً فان الكنيسة القبطية تعير باستعمال رسم الصليب ويتهكم عليها

البروتستانتي ولا رد لها على هذا التهكم الا بما قاله بولس الرسول « ذكر الصليب عند الهالكين جهالة واما عندنا نحن المخلصين فهو قوة الله ١ كو ١ : ١٨

(الاتجاه نحو الشرق)

اعتادت الكنيسة القبطية وباقي الكنائس الرسولية من بدء العصر المسيحي الاتجاه نحو الشرق في الصلاة وفي بناء الكنائس عملاً بأوامر الرسل في قوانينهم ولا يفهم من ذلك أن الصلاة لا تجوز الا في جهة الشرق فقط كلا فالله موجود في كل مكان ويقبل الصلاة في اية جهة والكنيسة القبطية في يوم الجمعة الكبيرة تقدم السجود لله في الجهات الاربع الشرق والغرب والشمال والجنوب . ولكن الكنيسة المسيحية المؤسسة من الله وهو اله ترتيب ونظام رأت لوحدة نظام العبادة ووحدة شكل المعابد ان تختار جهة واحدة من الاربع جهات تكون في الوقت ذاته رمزاً الى المسيح قبلة انظارها عملاً بقاعدتها الذهبية التي شرحناها في الفصول السابقة فاختارت جهة الشرق التي ظهر فيها « نجم في المشرق » مت ٢ : ٢ والتي سيظهر فيها في مجيئه الثاني « لانه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغارب هكذا يكون أيضاً مجيء ابن الانسان مت ٢٤ : ٢٧

وقد تنبأ الانبياء قديماً عن هذه الجهـة فقال اشعياء (لذلك في المشارق مجدوا الرب اش٢٤ : ١٥)

وقال زكريا ١٤ : ٤ وتقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قدام اورشليم من الشرق

وقال حزقيال النبي « ثم ذهب بي الى الباب . البـاب المتجه نحو الشرق واذا بمجـد اله اسرائيل جاء من طريق الشرق حز ٤٣ : ١ و ٢

وقال اليشع لما بارك يوآش « افتح الـكوة لجهـة الشرق ولما فتحها رمى منها السهم فقال سهم خلاص للرب ٢مل ١٣ : ١٧

وقد كانت الـكنيسة اليهودية قديماً قبلتها الشرق ١مل ٨ : ٤٤

وصلى سليمان وقت تدشين بيت لله لجهة الشرق ١مل ٨ : ٢٢

يضاف الى ذلك ان فردوس آدم كان في جهة الشرق تك ٢ : ٨

ورأى يوحنا اللاهوتي ملاكاً طالعاً من مشرق الشمس معه ختم الله الحي ليختم به عبيد الله في جباههم رؤ ٧ : ٢ و ٣

فهل اذا اتخذت الـكنيسة القبطية جهة الشرق اسوة بباقي الـكنائس رمزاً الى عريسها المسيح وموطنها السماوي تكون اخطأت؟

(وضع الصور في الكنائس)

من اكبر المطاعن التي يوجهها البروتستانتي الى الكنيسة القبطية ادعاؤه انها تأمر بعبادة الصور مخالفة الوصية الثانية من وصايا الله العشر فينخدع البسيط ويقع في الشرك بينما لو فتش قلب الطاعن نفسه لوجد انه لا يصدق في ما يقول اذ لا يسلم عقل عاقل ان الكنيسة التي حطمت الاصنام والاوثان الكنيسة العريقة في الانجيل والتي تحتم على كل مؤمن تلاوة قانون الايمان (نؤمن باله واحد الخ) صباح مساء تعبد المصنوعات دون الله بل لو فتش كل ارض مصر ربما لا يجد فرداً واحداً فيها يعبد الاوثان

وقبل شرح الغرض الذي من اجله توضع الصور في الكنائس يجب ان نبين رأى الكنيسة القبطية في ترجمة الوصية الثانية من الوصايا العشر فالبروتستانت يترجمونها « لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما الخ والكنيسة القبطية حسب النسخة السبعينية تترجمها « لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صنماً الخ » وهذا هو السبب في ان الكنيسة القبطية لا تجيز وضع التماثيل في الكنيسة بتاتاً خلافاً لما تفعله الكنيسة البابوية

واذا رجعنا الى نصوص الكتاب الاخرى نجد انها تؤيد رأي

الكنيسة القبطية اذ ان قصد الوحى كان منع صنع التماثيل والاصنام وعبادتها لا مجرد الصور قال موسى لبني اسرائيل قبيل وفاته مذكراً اياهم بالشريعة «لا تصنع لك تمثالا منحوتاً صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من اسفل وما في الماء من تحت الارض تث ٥ : ٨ — ١٠ وقال مثل ذلك في مواضع اخرى (راجع لا ٢٦ : ١ وتث ٤ : ١٦ — ١٩ و٢٥)

ولهذا السبب قد زين موسى تابوت العهد بصور الكروبين خر ٣٧ : ٧ — ٢٣)

وزين سليمان الهيكل بصور النخيل والزهور والنباتات والملائكة والثيران والاسود (١ مل ٦ : ١٨ الخ و١ اي ٢٨ : ١٨ و٢ اى ٣ : ٥ — ٧ و١٠ — ١٣

ولم يحسب وضع هذه الصور في الهيكل عبادة اوثان في الزمن الذي كانت فيه تلك العبادة منتشرة فمن باب اولى لا يحسب وضع الصور في الكنائس المسيحية شركاً في زمن النور والمعرفة

ولنعد الى موضوع الغرض من وضع الصور في الكنائس فلا يخفى انه توجد عدة طرق لبنى الانسان للتفاهم وادراك المعاني ومن ضمنها الكتابة وما الكتابة في الاصل الا صور لمسميات الاشياء والافعال كما كانت الكتابة الهيروغليفية واختصرت هذه الصور مع مرور الزمن للسهولة حتى اصبحت حروفاً ولكن لا يزال

لفن التصوير المقام الاول في ايضاح المعنى ويمثل الحوادث تصوره ريشة المصور الماهر على القرطاس او القماش او المعدن فيرى الناظر المعنى بارزاً مجسماً ويرى الخيال كانه حقيقة فينطبع في ذهنه وهذا ماحدا بالكنيسة الى ايجاد الصور الدينية في المعابد لطبع ماتنطوى عليه المعاني الالهية والتعليم بطريقة واضحة جلية في قلوب الناظرين وليستفيد منها بنوع اخص الاميون من ابناء الكنيسة فصورت حادثة ولادة المسيح وعماده وصلبه وقيامته من القبر وصعوده الى السماء الخ

بل ألم يظهر الله في العهد القديم في شكل انسان لابرهيم ولوط ويعقوب وموسى وغيرهم وكذلك ملائكته وكلنا نعلم ان الله روح والملائكة ارواح منزهة عن المادة والشكل أفليس ظهور الله بشكل الانسان هو نوع من الصور المراد بها ان يدرك الانسان بعض الشيء عن الله ؟

والسجود ليس موجهاً للصورة بالذات التي هى في حد ذاتها قطعة من الورق او القماش او الخشب لاتنفع ولاتضر وانما السجود موجه للمسيح نفسه كما تدل على ذلك صراحة الفاظ التسابيح والتماجيد التي تقال وقت السجود « نسجد لك ايها المسيح مع ابيك الصالح والروح القدس لانك ولدت وخلصتنا — او آتيت وخلصتنا او صلبت وخلصتنا او قمت وخلصتنا او تعمدت وخلصتنا

اوصمت وخلصتنا حسب الاحوال) فيسجد المؤمن لله متصوراً امامه المسيح طفلاً او معمداً اومصلوباً اوخارجاً من القبر منتصراً او صاعداً الى السماء الخ

لقد أمر الله موسى بصنع خيمة الاجتماع والتابوت فصنعتهما أيد بشرية ولكن كان موسى ويشوع وهرون وداود وسليمان وبنو اسرائيل يسجدون أمام التابوت ويهتفون له فهل كانوا يسجدون للخيمة والتابوت بالذات أو السجود كان لله وحده (كان موسى عند ارتحال التابوت يقول قم يارب فلتتبدد اعداؤك ويهرب مبغضوك من امامك وعند حلوله كان يقول ارجع يارب الى ربوات الوف اسرائيل (عد ١٠ : ٣٥) فلم يؤل سجود السيحي للمسيح ونظره متجة للصورة بانه عبادة للصورة الامر الذي لايخطر على بال الساجد اذ ان نيته وفكره محصوران في المسيح والعبرة بالنية

أما وضع صور القديسين في الكنائس فالغرض منه احياء ذكرهم واكرامهم والاقتداء بهم

واستعمال الصور فى الكنائس بدأ من العصر الرسولي واشار اليه الرسول بولس صراحة بقوله لاهل غلاطية « ايها الغلاطيون الاغبياء من رقاكم حتى لاتذعنوا للحق انتم الذين امام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً غل ٣ : ١ » وسارت عليه جميع

الـكنائس في كل الاجيال كما تدل على ذلك التاريخ والاثار وكما هو مشاهد الآن ولا اظن ان يجرأ واحد ويقول ان المسيحيين الذين احتملوا الاضطهادات والعذابات حباً في المسيح واستشهد الوف وربوات منهم لعدم قبولهم السجود للاصنام هم عباد أصنام لاستعمالهم الصور في الـكنائس

ان لوثر نفسه زعيم البروتستانت قال باصرح عبارة « انه مسموح لكل مسيحي ان يتخذ صور القديسين لانها حروف هجائية تذكرنا بالمرسومين عليها وتشخصهم لنا » بل احتج على من يعترض على استعمال الصور في الـكنائس بقوله « من هو الذي بلغ به العمى الى هذا الحد حتى يرى انه من الخطأ تصوير الحوادث التاريخية المسيحية ونقشها ووضعها في البيوت والهيا كل المقدسة . انا لا ارى خطأ في ذلك (راجع الاقتباس الموجود في كتاب اللالىء النفيسة في شرح طقوس الـكنيسة جزء ٢ طبعة ثانية ص ٤١٠)

ومالنا وكل ذلك أليست الـكنيسة البروتستانتية تصور كل الحوادث الدينية وتوزعها على الاطفال بصفة جوائز واحياناً تعرضها عليهم بالفانوس السحري بل هل يخلو منزل من منازل اغنياء البروتستانت ومتوسطيهم من هذه الصور التي تعلق على الجدران وفي قاعات الجلوس ألم تسمع بالتمثال المصنوع للوثر في

وسط كنيسة ورنمبرج البروتستانتية وما هو الغرض من استعمال هذه الصور أليس هو نفس الغرض الذى ترمى اليه الكنيسة القبطية ؟ واذا كان لاضرر من استعمال الصور الدينية فى البيوت فما هو الضرر من استعمالها في الكنائس والكنائس اولى من البيوت ؟ هل الخشية من عبادتها ؟ ولكن هل العبادة قاصرة على الكنيسة دون البيوت ؟ ومن الذي يقول بعبادة الصور في الكنائس ذلك القول الهراء الذى فندناه ؟ فان كانت الكنائس المسيحية الرسولية التى يتبعها ما لا يقل عن اربعماية مليون من البشر من كافة الممالك والشعوب واللغات هي هيا كل وثنية لاستعمالها الصور الدينية وان كانت كذلك فى الاجيال السابقة من بدء العصر المسيحي اذاً نحن اشقى جميع الناس وقل على المسيحية السلام .

(شفاعة القديسين واكرامهم وتسمية الكنائس باسمائهم)

خلق الله آدم ثم أخذ منه ضلعاً وخلق منه حواء ثم خلق باقي البشر من آدم وحواء فحواء جزء من آدم و بنو آدم جزء من آدم وحواء والكل يكون وحدة واحدة لا تتجزأ وقد اخطأ آدم وحواء بأ كلهما من الثمرة المنهى عنها و بسبب هذه الوحدة وقع القصاص عليهما وعلى نسلهما معاً واعتبر النسل كانه موجود فعلاً في صلب آدم وقت الا كل من الشجرة فلذا استحق القصاص ووعد الله آدم بالخلاص فاستفاد بنوه معه بهذا الوعد عملاً بتلك القاعدة ولما جاء المسيح اشترك في الطبيعة البشرية واوجد الصلة بين الله والناس وزاد الرابطة بين الناس احكاماً . وعد المؤمنون اعضاء جسد واحد رأسه المسيح

وكنيسة المسيح ليست قاصرة على الارض والا فتكون عرضاً زائلاً وأنما هي كنيسة الارض وكنيسة السماء الكنيسة المنظورة والكنيسة غير المنظورة — الكنيسة المجاهدة والكنيسة المنتصرة والاثنتان تكونان كنيسة واحدة وحيدة

من بدء الخليقة الى الابد ومن يقل بانقطاع الرابطة بين الناس بالموت يخطىء خطأً كبيراً ويهدم التعليم الصحيح من اساسه فالموت لم يكن الا انتقالاً والرابطة لا تزال هي هي

ألم يعد الله ابرهيم باعطاء ارض الموعد (ارض كنعان) له ولبنيه تك ١٣ : ١٥ وان يكثر نسله ويجعله كرمل البحر ونجوم السماء وان فيه تتبارك جميع قبائل الارض تك ١٢ : ٣ فما اهمية كل هذه المواعيد والبركات لابرهيم ان كانت انقطعت علاقة ابرهيم بالساكنين على الارض بموته ؟

بل كيف يفتقد الله ذنوب الآباء في الابناء قصاصاً للاباء (خر ٢٠ : ٥) فصدرت اللعنة على كنعان ونسله مع ان الذي اخطأ حام ابوه (تك ٩ : ٢٥)

وقاصص الله سليمان لاجل سقوطه في عبادة الاوثان بقوله « من اجل ان ذلك عندك . . . . فاني امزق المملكة منك تمزيقاً » واعطيها لغيرك الا اني لا افعل ذلك في ايامك من اجل داود ابيك (١ مل ١١ : ١٢) واعتبر تمزيق المملكة الذى لم يتم في عهد سليمان بل بعد موته في عهد ابنه رحبعام قصاصاً واقعاً على سليمان بالذات

وهكذا من الامثلة العديدة الواردة في الكتاب فان كانت الرابطة بين الآباء والابناء تزول بالموت فما قيمة هذا القصاص؟

بل ألم يعد الله الصديقين بذكر ابدي (مز ١١٢ : ٦) ومصداقاً لذلك الوعد قال السيد المسيح عن المرأة التي سكبت قارورة الطيب على رأسه (الحق اقول لكم حيثما يكرز بهذا الانجيل فى كل العالم يخبر ايضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها (مت ٢٦ : ١٣ ومر ١٤ : ٩) فما فائدة تلك المرأة بهذا الذكر الذى كافأها المسيح به ان كانت صلتها بأهل المسكونة والكرازة بالانجيل تلاشت بالموت ؟

بل اكثر من ذلك ألم يظهر موسى وايليا للمسيح في جبل التجلى وتكلما معه بشأن الفداء واولهما مات والثاني انتقل حياً للسماء قبل مجيء المسيح بمئات من السنين وهل كان الفداء خاصاً بهما او بجميع البشر واذا كانت الملائكة تفرح بخاطىء واحد يتوب (لو ١٥ : ١٠) أفلا تفرح بالاولى ارواح القديسين من بني الانسان ؟

اذا تقرر ذلك وثبت وجود الوحدة بين البشر وبقاء هذه الوحدة بعد الموت واستمرارها الى الابد امكننا ان نفهم بسهولة

اهتمام اهل السماء بأهل الارض وصلواتهم عنهم ولا يصلون فقط بل يتوسطون في تقديم صلوات اهل الارض

قال يوحنا اللاهوتي في رؤياه « ولما اخذ السفر خرت الاربعة الحيوانات والاربعة وعشرون قسيساً امام الخروف ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين (رؤ ٥ . ٨) وقال في موضع آخر وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب واعطى بخوراً كثيراً لـكي يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذى امام العرش فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك امام الله رؤ ٨ : ٣ و ٤

والمراد بالاربعة وعشرين قسيساً حسب تفسير البروتستانت انفسهم « القديسون الذين ينوبون في السماء عن شعب الله المتألم فى الارض فتتجمع الصلوات من جاماتهم ويقدمها المسيح لله ابيه بخور استحقاقه » ويشير النص الثانى الى ان الذي ناب عن اهل الارض في تقديم الصلوات هو الملاك . وصلاة القديسين هذه هي التي تعبر عنها الـكنيسة القبطية والـكنائس الرسولية بلفظ شفاعة فيتخذ المعترض هذه الـكلمة وسيلة للتشنيع على الـكنيسة

والتغرير بالبسطاء فيقول ان الشفيع والوسيط الوحيد حسب تعليم الكتاب هو المسيح والكنيسة القبطية تشرك القديسين معه مخالفة الكتاب

ولكن مهلاً ايها المشنع مهلاً فالعبرة ليست بالمباني ولكن بالمعاني وكثيراً ما تحتمل اللفظة الواحدة جملة معان وهذا الشيء تعرفه الاطفال فخفف من غلوائك واتق الله فيما تقول

فالمراد بشفاعة المسيح تلك الوساطة التي تمت بتقديم المسيح نفسه مرةواحدة فوجد فداء ابدياً عب ٩٠ : ١٢ فهي وساطة واحدة دائمة مستمرة لا يشترك فيها احد مع المسيح ولذلك تصرح الكنيسة علناً فى القداس قائلة « لا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا رئيس آباء ولا نبي ائتمنتهم على خلاصنا بل انت بغير استحالة تجسدت وتأنست واشبهتنا فى كل شيء ما عدا الخطية وصرت لنا وسيطاً مع الاب والسياج المتوسط نقضته والعداوة القديمة هدمتها واللعنة ازلتها وصنعت صلحاً مع السمائيين والارضيين وجعلت الاثنين واحداً واكملت التدبير بالجسد »

وهناك شفاعة ثانية اشار اليها الكتاب صراحة تختلف تمام الاختلاف عن شفاعة المسيح.يقول الرسول بولس « وكذلك

الروح ايضاً يعين ضعفاتنا لاننا لسنا نعلم ما نصلي لاجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بانات لا ينطق بها . . . . لانه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين (رو ٨ : ٢٦ و٢٧)

وهذه الشفاعة تنقض حجة المعترض بعدم وجود غير شفاعة واحدة فى الكتاب والغرض من شفاعة الروح القدس نيابة عن المؤمن اثناء الصلاة الهامه اياه بطلب ما هو حسب مشيئة الله

وهناك شفاعة ثالثة تختلف عن الشفاعتين المتقدمتين وهي صلوات المؤمنين بعضهم عن بعض ولولا فائدة وضرورة هذه الصلاة لما فرضت الكنيسة الصلوات الاجتماعية وقد امر بهذه الصلاة الكتاب صراحة ومارسها رجال العهد القديم والعهد الجديد والكتاب المقدس مملوء بالشواهد الدالة على ذلك نأتي ببعضها . قال الله لابيمالك « الآن رد امرأة الرجل فانه نبي فيصلي لاجلك فتحيا (تك ٢٠ : ٢٧) وقال لاليفاز التيماني ولرفيقيه « وعبدى ايوب يصلي من اجلكم لاني ارفع وجهه لئلا اصنع معكم حسب حماقتكم » اي ٤٢ : ٨

وقال يعقوب الرسول « أمريض احد بينكم فليدع قسوس

الـكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب.... صلوا بعضكم لاجل بعض حتى تشفوا» يع ٥: ١٦و١٤ — وطلب بولس الرسول « ان تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لاجل جميع الناس. لاجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب.... لان هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله» ١ تي ٢: ١-٢ وطلب مرات كثيرة ان يصلى لاجله (رو ١٥: ٣٠ و ٢ كو ١: ١١ و ٢ تس ٣: ١ و ٦ ف: ١٨ و ١٩

وقال يوحنا الرسول ان رأى أحد اخاه يخطىء خطيئة ليست للموت يطلب فيعطيه حيوة للذين يخطئون ليس للموت ١ يو ٥: ١٦

ويلحق بهذه الصلاة صلاة الملائكة عن بنى البشر كما يستدل من النص الذي نقلناه عن سفر الرؤيا (٨: ٣ و ٤) وصلاة الملاك عن اورشليم (فاجاب ملاك الرب وقال يارب الجنود الى متى انت لا ترحم اورشليم ومدن يهوذا التى غضبت عليها هذه السبعين سنة فاجاب الرب الملاك الذي كلمني بكلام طيب وكلام تعزية زك ١: ١٢ و ١٣ — وتهليل الملائكة يوم مولد المسيح تهليل الفرح (المجد لله في العلا وعلى الارض السلام وبالناس المسرة) وفرحهم بالخطاة الذين يتوبون كما قال السيد المسيح وملازمتهم

المؤمنين وحراستهم اياهم (ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم مز ٣٤:٧) ونيابتهم عن الصغار امام الله « لاني اقول لكم ان ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه ابي الذي في السموات (مت ١٨ : ١٠) وتحيتهم للكنائس « نعمة لكم وسلام من الكائن والذي كان والذي يأتي ومن السبعة الارواح التي امام عرشه رؤ ١ : ٤ » الى غير ذلك من الامثلة العديدة في الكتاب

والبروتستانتي يسلم في قانون ايمانه المعمول في اوغستا بصلاة الملائكة عن البشر ويسلم بصلاة المؤمنين عن بعضهم وهو يطلب دائماً من اجل الغائبين او الذين طلبوا منه ان يذكرهم

فما هي ماهية هذه الصلاة أليست هي نوعاً من الوساطة والشفاعة وقد اعتبرها كذلك مفسرو البروتستانت راجع (مغني الطلاب صحيفة ١٢٠ و ١٣٠) وان سألته كيف تجيز هذه الوساطة نفسك وانت واقع تحت آلام الخطية ولا تجيزها للقديسين الاطهار الذين انتقلوا فيجيبك لانني حي وهم اموات ولا يصح ان يطلب الاموات من اجل الاحياء فيناديه صوت الوحي (الرب اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب وليس هو اله اموات بل اله احياء لان الجميع عنده احياء لو ٢٠ : ٣٧ و ٣٨)

ايها المعترض كيف تنفع صلاتك انت ولا تنفع صلاة انبياء الله ورسله وقديسيه الموجودين وجهاً لوجه مع الله وهل تظن ان النبي او الرسول او القديس وجيه عند الله في الارض فقط ؟ كلا انه وجيه في الدنيا ووجيه في الآخرة بل في الاخرة افضل واكمل ألم يقم الميت بمجرد ان مس جثة النبي اليشع ٢ مل ١٣ : ٢١

يقول المعترض كيف يسمعنى القديس بعد ان فارق الحياة والجواب ان الانسان بعد الموت تزول عنه كثافة الجسد ويصبح كملائكة الله ولا يصح للانسان ان يقيس قوى الروح التي لا يدرك كنهها العقل البشري بقوى الجسم المادي المحدود . ألم تستحضر عرافة روح صموئيل وألم يتحادث صموئيل مع شاول وينبئه بما سيكون بقوله ؟ « لماذا اقلقتني باصعادك اياي . فقال شاول قد ضاق بي الامر جداً . . . فدعوتك لكي تعلمني ماذا اصنع . فقال صموئيل ولماذا تسألني والرب قد فارقك وصار عدوك وقد فعل الرب لنفسه كما تكلم عن يدي وقد شق الرب المملكة من يدك واعطاها لقريبك داود . لانك لم تسمع لصوت الرب . . . لذلك قد فعل الرب بك هذا الامر اليوم ويدفع الرب اسرائيل ايضاً معك ليد الفلسطينيين وغداً انت

وبنوك تكونون معي » (١ صم ٢٨ : ١٥ — ٢٠) ويستدل من هذه الحادثة انه في الامكان مخاطبة الارواح وان الروح تسمع وتتكلم وتتنبأ كما كانت تتنبأ على الارض فما رأى المعترض في هذا النص الكتابي لعله خرافة من خرافات اليهود كما يعتقد بعض كبار البروتستانت !!

بل مارأيه في النبوة المكتوبة التي ارسلها ايليا النبي بعد صعوده الى السماء الى يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا وتمت تلك النبوة فعلاً ٢ أى ٢١ : ١٢ — ١٩

وما قوله في مثل لعازر والغني الذي نطق به المسيح عن الآخرة لو ١٦ : ٢٣—٢٩ فكيف عرف لعازر أباه ابراهيم وجلس في حضنه وعرف الغني ابراهيم ولعازر وتحادث الغني مع ابرهيم وكان كل منهما على رأى ومسمع من الآخر مع وجود هوة عظيمة بينهما وكيف عرف ابرهيم كتب موسى والانبياء مع انها كتبت بعد موته باجيال وقرون -- بل كيف تفرح الملائكة بخاطىء واحد يتوب اذا لم تكن الارض واعمال بني الانسان مكشوفة لدى أهل السماء ؟

يقول المعترض ان التسليم بهذه المبادىء يستلزم الاعتقاد

بوجود روح القديس او الملاك في كل مكان ورداً على ذلك نقول انه ليس من الضروري أن يكون كذلك ومن المحتمل ان يكون التفاوت في القوى فقط فقوى الروح تفوق قوى الجسد بما لا يقاس ومع ذلك هل يمكن المعترض ان يجيب في أى مكان يوجد الشيطان؟ وكيف يتتبع الناس في كل دقيقة ولحظة وفي كل مكان فى الارض وفوق الماء وتحت الماء وفوق الهواء ؟ بل قد يمثل بين جند السماء فان كان الشيطان وهو روح نجس يستطيع كل ذلك فلم لا تستطيع الارواح الطاهرة؟

واذا قلنا بوجود الرابطة بين السمائيين والارضيين فالامر يقضي بطبيعة الحال ابقاء ذكر القديسين المنتقلين واكرامهم فتقرأ الكنيسة سيرهم وتحتفل باعيادهم وتسمي الكنائس باسمائهم وتزينها وتزين المنازل بصورهم باعتبار أنهم ابطال الكنيسة الذين جاهدوا الجهاد الحسن واكملوا السعي في خدمة السيد المسيح . وتسمية الكنائس باسمائهم ليس الغرض منها انها مخصصة لعبادتهم كما يدعي من لا يخشى الله وانما هو من قبيل الذكرى قياساً على تسمية هيكل الله بهيكل سليمان والتوراة بتوراة موسى والاناجيل باسماء متى ومرقس ولوقا ويوحنا وهلم

جرا.وقياساً على قول المسيح (من سقى احد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ الحق اقول لكم انه لا يضيع اجره (مت ١٠ : ٤٢) ونفس البروتستانت يسمون الكنائس باسماء القديسين ومنهم الكنيسة الاسقفية الانكليزية. اما اكرام الكنيسة للقديسة مريم العذراء بنوع مخصوص فهو لان الله فضلها على نساء العالمين بحلول اللاهوت بملئه في احشائها وقد حياها الملاك تحية الاحترام « السلام لك ايتها الممتلئة نعمة مباركة انت في النساء » ونطق الوحي على لسانها بان جميع الاجيال تطوبها و بمجرد ان رأتها اليصابات حل عليها الروح القدس وقالت من اين لي هذا ان تأتي ام ربي اليّ » لو ١ : ٤٣

اما تلقيب مريم بوالدة الاله فلا يقصد منه ان اللاهوت متخذ من مريم حاشا فاللاهوت ازلي ومريم مخلوقة وانما الغرض منه ان المولود من مريم والذى رضع من ثدييها هو الله ظهر في الجسد فالنسبة عائدة الى شخص المسيح الذي لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين ولذلك لقبتها اليصابات بوحي من الروح القدس بلقب « ام ربي » فمن يقول ان مريم ام الانسان يسوع فقط يكون فرق بين لاهوت المسيح وناسوته واخل بقانون الايمان

واحترام الكنيسة لمريم وسواها من القديسين والملائكة لا يشتم منه رائحة العبادة اذ ان العبادة حسب تعليم الكنيسة القبطية هي لله وحده ولا يشاركه اي مخلوق فيها ومن عبد مريم او ملاكاً او قديساً اصبح مشركاً يستوجب القطع من الكنيسة حالاً

هذه هي تعاليم الكنيسة القبطية فتجل القديسين وتكرمهم ولكن بطريق الاعتدال من غير افراط ولا تفريط عالمة ان مجدها الوحيد وموضوع رجائها هو المسيح وحده الكرمة الحقيقية وانها ان اكرمت قديسيه فلانهم اغصان في هذه الكرمة يستمدون الكرامة منها ولكن مهما كرم الفرع فالفرع ليس كالاصل

(الصلاة عن انفس الراقدين)

بينا في المقال السابق وجود الوحدة بين بني آدم والرابطة بين الكنيسة المنظورة وغير المنظورة وقلنا ان القديسين هناك يذكرون أهل الارض فمن الطبيعي ان يفعل أهل الارض بالمثل ويذكروا اخوتهم المنتقلين وليس كل المنتقلين وانما القديسين منهم ومن ماتوا على رجاء اما الذين ماتوا وهم مرتكبون خطايا مميتة كقتل النفس والزنا والسرقة والخطف الخ بدون ان يتوبوا فقد اصبحوا في عداد الاموات لا يستحقون الذكر ولا تنفع فيهم صلاة ولاشفاعة ولذلك لاتعدهم الكنيسة من بنيها متى عرفت ذلك عنهم وتمنع قوانينها من الاحتفال بدفنهم والصلاة عليهم

وغرض الكنيسة من الصلاة على الراقدين الذين ماتوا على رجاء مزدوج فهو من جهة تطلب لهم الرحمة عن الهفوات (الخطايا غير المميتة) التي ربما لم تمكنهم الفرصة من الاستغفار عنها فتنوب الكنيسة عنهم كما لو كانوا احياء قال يوحنا الرسول « ان رأى احد أخاه يخطىء خطيئة ليست للموت يطلب فيعطيه حيوة للذين يخطئون ليس للموت . توجد خطية للموت. ليس لاجل هذه

أقول ان يطلب كل اثم خطية وتوجد خطية ليست للموت (ايو ٥ : ١٦ و١٧) ولا يخفى انه وان كان الموت هو الحد الفاصل لمعرفة الاشرار من الابرار الا انه للآن لم ينطق بالحكم النهائي لتقرير حظ المؤمن في الابدية ولم يعين المكان النهائي الذي له ولا يتم ذلك الا بعد انقيامة فلا يزال المؤمن تحت الرحمة

وقد طلب بولس الرسول الرحمة لانيسيفورس الذي رقد كما يفهم من سياق كلامه السابق واللاحق بقوله «ليعط الرب رحمة لبيت انيسيفورس لانه مراراً كثيرة اراحني ..... ليعطه الرب ان يجد رحمة من الرب في ذلك اليوم ٢ تي ١ : ١٦ و١٧ سلم على فرسكا وا كيلا و بيت انيسيفورس ٢ تي ٤ : ١٩

ومن جهة ثانية تصلي الكنيسة على الراقدين تعزية للاحياء وتذكرة لهم بمقرهم الابدي

والصلاة على الراقدين تقليد رسولي ورد بنص صريح في اوامرهم واقره علماء اللاهوت في كتبهم واجمعت عليه الكنيسة الرسولية والكنيسة الانكليزية الاسقفية ونفس الكنيسة المشيخية تحتفل بالصلاة على جثة الميت في الكنيسة وهناك عبارة تتناقلها السنة العامة و يتخذها خصوم الكنيسة

سلاحاً للطعن على الكنيسة القبطية وهي عبارة صرف الروح في اليوم الثالث من الوفاة مع ان هذه العبارة لا اصل لها ولا وجود في تعاليم الكنيسة ولا كتاب الصلاة و بالعكس فان الكنيسة تعلم ان الروح بمجرد فراقها الجسد تصعد الى خالقها وانما فرضت الكنيسة الصلاة في اليوم الثالث لتذكر اهل الميت بقيامة المسيح با كورة الراقدين فى اليوم الثالث التي هي عربون قيامة المؤمنين فلا يحزنون كالباقين الذين لا رجاء لهم ويتلو القس فصلاً من رسالة بولس بهذا المعنى

وغرض الكنيسة الاساسي من ذلك التعزية وازالة الوحشة التي تتسبب عادة لاهل الميت بفراق عزيزهم حيث تبلغ الحال احياناً بالكثيرين منهم الى هجر غرفة الميت فلابطال هذه العادة تصلى الكنيسة هذه الصلاة في منزل الفقيد والغرفة التي مات فيها ولغرض ابطال البكاء والعويل وانهاء المأتم ولذلك كان يسميها الاقدمون صلاة رفع الحصيرة اي رفع الجنازة

اما صلاة القسيس عن الميت في الاعياد والمواسم فالغرض الاصلى منه تعزية اهل الميت بالصلاة وقراءة فصول من الكتاب فلا يحزنون عند ما يأتي العيد ولا يرون عزيزهم

المنتقل بينهم وكانت عادة الاقدمين الاحتفال فى المواسم على قبور الشهداء وعمل الولائم تذكاراً وتكريماً لهم ولا تزال آثار ذلك موجودة في بعض مدن القطر المصرى فيبارك الكاهن الاطعمة بالصلاة وتوزع على الفقراء

ومما ذكر يتضح سمو مبادىء الكنيسة القبطية واغراضها الشريفة في غرس بذور التقوى والفضيلة والاحسان والايمان والرجاء والتسليم لامر الله

(خلاصة)

الى هنا ننتهي من الكلام عن العقائد واشهر الطقوس ومن اراد التوسع في هذه المواضيع ومعرفة الطقوس الاخرى وحكمتها والنصوص الكتابية المبنية عليها فعليه بالرجوع لكتب الكنيسة وعلمائها لا سيما كتاب اللالىء النفيسة في شرح طقوس الكنيسة . ومجلة صهيون ومؤلفات صاحبها التي هي اشهر من نار على علم خصوصاً كتاب (مرآة الحقائق الجلية)

ولا بد ان يكون القاري قد وصل من مطالعة المواضيع المختلفة التي طرقنا بابها في هذا الكتاب الصغير الى النتائج الآتية

(١) -- ان تعاليم الكنيسة القبطية تنطبق على الكتاب المقدس ومستمدة منه لا بنص واحد او اثنين في كل عقيدة بل بنصوص عديدة تعد بالعشرات في بعض العقائد وهذه النصوص ليست مبهمة ولا مما يقبل التأويل وانما نصوص صريحة ظاهرة بارزة

(٢) — ان هذه التعاليم متفقة مع قوانين واوامر الرسل الذين اسسوا ورتبوا ونظموا الكنيسة

(٣) — ان هذه التعاليم تتفق مع اقوال وكتب علماء اللاهوت ومفسرى الكتاب المقدس الذين نشأوا فى اجيال المسيحية الاولى وتحترمهم جميع الكنائس على وجه الاطلاق

(٤) — ان هذه التعاليم تنطبق على احكام المجامع المسكونية الثلاثة الاولى المعترف بها من جميع الكنائس بما فيها البروتستانت

(٥) — ان هذه التعاليم سار عليها المسيحيون من بدء العصر المسيحي كما يدل على ذلك التاريخ والآثار

(٦) — ان معظم الطقوس والعقائد القبطية مجمع عليها من جميع الكنائس الرسولية من ارثوذكسية وكاثوليكية في سائر انحاء العالم

(٧) — ان بعض الكنائس البروتستانتية ومنها الكنيسة الاسقفية الانكليزية تتمسك بكثير من هذه العقائد والطقوس

ومن هذه النتائج السبع يدرك المنصف فوراً بغير ابطاء ولا تردد من هو صاحب الكفة الراجحة في التعليم أهو الكنيسة القبطية ام المعترضون ؟ بل لو اكتفى المنصف بالنتيجة الاولى وحدها لكان حكمه هو هو بعينه لا يتغير

وفي نهاية الامر نجد انفسنا امام حقيقة ثابتة لا مرية فيها وهي ان الاقباط الذين تأتي الارساليات لتبشيرهم بالانجيل اسوة بالوثنيين اذا بهم يعرفون الانجيل ويدللون بآيات الانجيل واذا هم اعرق الامم في الانجيل . والنزاع كله من اوله لآخره مبنى على خلاف في التفسير ولكن شدة تعصب البروتستانتي لمذهبه تنسيه كل شيء وتدفعه الى الانانية والاستبداد والسعي في ارضاخ عقول الناس لعقله وجعلهم ينظرون لآيات الكتاب بالعين التي يرى بها هو كأن رأيه وتبشيره وحي والهام ومن خالفه فى الرأي فهو وثنى وعشار

ولكن القبطي الرزين احكم من ان تهزه الزوابع فهو رابط الجأش مطمئن قلبه بصحة تعاليم كنيسته المؤسسة على الرسل والانبياء والمسيح نفسه حجر الزاوية

(الرد على الذين يخرجون من كنيستهم)

(لاسباب لا علاقة لها بالدين والعقيدة)

الدين علاقة روحية بين الخالق والمخلوق يتوقف عليها مصيره في عالم الابدية ومهما طالت حياة الانسان على الارض فلا بد

له من الرحيل يوماً ما فلا يصح له ان يستخف بامر الدين و يجعله سلعة يبيعها بأبخس الاثمان جرياً وراء شهوة او شهرة او مطمع دنيوي او غرض زائل او غرض باطل او انقياداً لاب اوام او زوج او رئيس او معلم او انتقاماً من رئيس ديني وهلم جرا فكل هذه امور تافهة تعد صفراً اذا قيست بحياة العالم الآخر الذي لا نهاية له «ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه»

و بحمد الله ان للاقباط كنيسة رسولية هي فخر الكنائس مدعمة على قواعد الانجيل وتعاليمها مستقاة من الينبوع الحي فلا يليق بابناء الكنيسة ان يستهينوا بعقيدتهم التي انعم الله عليهم بها والتي سلمها لهم الآباء والاجداد بعد ان ضحوا اوقاتهم ومجهوداتهم واموالهم ودماءهم العزيزة فى المحافظة عليها و يفرطوا فيها لاقل الاسباب

لا عذر لك أيها القبطي في نبذ مذهبك القويم غضباً من رئيس ديني بينك و بينه نزاع شخصي او لانك رأيت منه اعوجاجاً فسورة الغضب لابد ان يخمد اوارها في وقت من الاوقات فلا تستحق ان تضحي لاجلها اعز شيء لديك وهو ايمانك الصحيح الذى يوصلك الى ميناء السلام فى عالم الخلود . واعلم

ان الرئيس الديني بشر مثلك تحت الخطية فلا تعلق آمالك عليه بل اجعل مثالك الاعلى يسوع المسيح رئيس الايمان . وان فتشت خدام الدين في كل المذاهب بما فيها المذهب الجديد الذي اعتنقته او تريد ان تعتنقه فلا بد ان تجد بينهم الزوان الذى لم يخلُ منه تلاميذ المسيح أنفسهم

ولا عذر لك يامن تترك كنيستك لانها تستعمل اللغة القبطية فمعظم ما يتلى في الكنيسة يتلى باللغة العربية والكنيسة ان استعملت اللغة القبطية في بعض الطقوس فلانها لغة المصريين القدماء اجدادك لغة الكنيسة من بدء نشأتها التي كان يتعلمها معظم الاقباط ويفهمونها ولا يزال بعضهم يتكلم بها . انها لغة الكتب الخطية النفيسه لاكبر علماء ولاهوتي الكنيسة الموجود بعضها بخزانة الدار البطريركية والكنائس والاديرة وبعضها بمتاحف اوروبا ومعتبرة كذخر يحتفظ به . اللغة التي كانت سبباً فى بقاء الرابطة بين الاقباط واستمرار الديانة المسيحية في مصر ووصول الايمان اليك . وكل شعب حي يستعمل لغته الاصلية في العبادة وأولهم اليهود قديماً وحديثاً ولكن الكنيسة

القبطية لما رأت من تقاعد الاقباط عن تعلم لغتهم الاصلية داست على كل الاعتبارات المتقدمة ونظرت الى الامر بنظرة روحية اسمى فأخذت بأخف الضررين وفضلت احياء الانفس على أحياء اللغة والعبادة بالروح والذهن على العبادة باللسان (١ كو ١٤ : ١ — ٢٤) فلم تكتف بما يتلى في الكنيسة من قبل باللغة العربية بل لتمام الفائدة صرحت بجعل صلاة القداس باللغة العربية الا عبارات تقديس الاسرار التى تحلو للسمع باللغة القبطية اكثر من غيرها فأصبح كل ما يقال في الكنيسة تقريباً هو باللغة العربية فما عذرك في استمرارك على ترك كنيستك بعد كل ذلك ؟

ولا عذر لك يامن تهجر كنيستك لعدم وجود الوعظ الارتجالى فيها فكنيستك غنية في التعاليم والمواعظ والتفاسير عن أشهر الوعاظ والخطباء الملهمين كيوحنا فم الذهب الذي لايمكن لاقدر واعظ في أيامنا أن يأتي بعشر معشار عظاته فى سمو التعبير وعذوبة الالفاظ وجمال المعاني الروحية. وكيف لاتستفيد من حضورك الصلاة فى الكنيسة القبطية وأنت تسمع في كل يوم موضوعاً جديداً

بفصول تناسبه من كل من سفر المزامير والاناجيل واحدى رسائل بولس واحدى رسائل باقى الرسل وسفر الاعمال وعظة من مواعظ فم الذهب كلها درر غوالى . وخطبة من خطب ابن العسال بلسان عربي مبين علاوة على التفاسير التي تقال في بعض الاحايين ناهيك بصلاة القداس البديعة ولغتها العربية الفصحى تلك الصلاة التي تملأ النفس حماساً وتهز اوتار القلوب وتصعد بالروح الى العالم العلوي بين جند السماء. فان كان قلبك لا يتأثر من كل ذلك فاسمح لى ان اقول لك ان قلبك قد من صخر فدع عنك اللوم والتعنيف ونق قلبك اولاً واطلب من الله أذناً صاغية وقلباً لحمياً واعياً وتعال اسمع

وما الذي تسمعه في باقي الكنائس اكثر مما تسمعه في الكنيسة القبطية ؟ لعل همك محصور في الوعظ الارتجالي كأن خلاص نفسك موقوف عليه ؟ مع أن كل تعاليم المسيح في الانجيل سهلة المعنى وواضحة . وما هو الوعظ الارتجالي الذي تسمعه خارجاً الذي لم يخرج عن كونه أقوالاً من هنا وهناك وأفكاراً معظمها من بنات أفكار الواعظ تختلف باختلاف مقدرته في الانشاء والخطابة كشأن أى خطيب آخر في موضوع علمي

أو ادبي وقد يشت الواعظ في موضوعه ويفسر آيات الكتاب المقدس تفسيراً معوجاً أما عن سوء قصد وأما عن سوء فهم وأما عن جهل ومع ذلك تتهافت عليه وتلقي بنفسك اليه كأن كلامه وحي منزل وتتحمل منه الوخزات التي يغنتك بها ويطعن كنيستك بغير حق وأنت صاغر.

وقطعاً أن كل حجة لديك قد اوجدت كنيستك الوعظ الارتجالي تقوم به وعاظ مشهود لهم بعضهم من كبار الاكليرس والبعض من متخرجي المدرسة الاكليريكية الذين يستمدون افكارهم من كتب الكنيسة حسب التفسير الملهم الصحيح فهل انت مواظب على السماع وحضور الاجتماعات الدينية التي لا تقل عن ثلاث مرات في الاسبوع ؟ اخشى ان يكون الجواب سلبياً وان تمسكك بعدم وجود الوعظ بالكنيسة هو مجرد عذر تبديه.

يامن تقول ان كل امة تعمل البر مقبولة عند الله وان الجميع اخوة في الرب وتتخذ ذلك وسيلة للانضمام للكنائس الاخرى أفليس قولك هذا مردوداً عليك وسلاحاً ضدك لاجل تركك جماعة هم حسب اعترافك امة تعمل البر ومقبولة عند الله وأخوة في الرب؟ ومن الذي، قال لك ان كل المذاهب التي تنتمى لاسم المسيح هي

من الله؟ لعلك قرأت في كتابي هـذا موضوع سر الـكهنوت والخلافة الرسولية فارجوك ان تقرأ ايضاً الآيات الـكتابية العديدة التي نطق بها السيد المسيح ورسله عن المعلمين الغرباء الذين يأتون في ثياب الحملان ولباس التقوى واسمع ما قاله الرسول بولس صراحة « اطلب اليكم أيها الاخوة ان تلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافاً للتعليم الذي تعلمتموه واعرضوا عنهم لان مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم وبالـكلام الطيب والاقوال الحسنة يخدعون قلوب السلماء (رو ١٦ : ١٧ و١٨) ونفس الشيطان قد يظهر في شبه ملاك نور فهل يبعد عليه استخدام البشر بالطريقة عينها لتفريق كنيسة المسيح؟ وليس من الضروري ان يكون الشخص الذي يستخدمه الشيطان لينفذ مقاصده رديئاً في حد ذاته فقد يكون طيب القلب ويعمل بحسن نيته ظاناً انه يخدم الـكنيسة بالتعليم الجـديد والسلطان الذي ينتحله لنفسه ولـكنه في نظر الله متعـد على الشريعة

ولا يخفى ان الحقيقة واحدة لا تتجزأ فلا يمكن ان تكون كل المذاهب المسيحية المتعددة المختلفة بعضها عن بعض صحيحة ولذلك

قال الرسول (امتحنوا كل الارواح وتمسكوا بالحسن) وحينئذ تكون نظرية ان الكل اخوة في الرب بغير تمييز

الغث كالثمين نظرية خطرة لا يسلم بها نفس المذهب الجديد الذي تريد ان تنتحله. وها قد وضعنا امام عينيك تعاليم كنيستك في محك الفحص فخرجت ذهباً نقياً مصفى فلا يصح ان تترك الذهب الابريز الذي تقدمه اليك كنيستك وتسعى وراء سواها فربما تغرك المظاهر وبحسن السبك قد يخفى الزغل

ويامن تفخر انك ابن الكنيستين اعلم انه بمجرد انضمامك لكنيسة اخرى قد انقطعت صلتك بكنيستك الاصلية واصبحت ممن ينطبق عليه قول الرسول «يوحنا منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لانهم لو كانوا منا لبقوا معنا» (١ يو ٢ : ١٩)

وأنت يامن باق في كنيستك تتردد على كنيسة اخرى اعلم انك سميت نفسك اسماً على مسمى فانت هو المتردد بعينه المرتاب الذي يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه فلا يظن ذلك الانسان انه ينال شيئاً من عند الرب. رجل ذو رأيين هو متقلقل في جميع طرقه (يع ١ : ٦ — ٨) انت الذي يناديك السيد المسيح قائلاً « انا عارف اعمالك انك لست بارداً ولا حاراً

ليتك كنت بارداً اوحاراً . وهكذا لانك فاتر ولست بارداً
ولا حاراً انا مزمع ان اتقيأك من فمي» (رؤ ٣ : ١٥ و ١٦)

فاختر لنفسك مذهباً واحداً ولا تعرج بين الفرقتين فتريح
نفسك وتريح ذريتك والناس من بعدك

ولا يخفى عليك انك وانت مولود في الكنيسة القبطية ومعتمد
فيها ومشترك في اسرارها الدينية معتبر شرعاً من ابنائها ولكن
هناك كنائس أخرى تعمل على توسع اختصاصاتها على حساب
الكنيسة القبطية فبمجرد ترددك عليها تضع اسمك في سجل
اعضائها وتعتبرك تابعاً لها ولو لم تندمج فيها فعلاً أو تشترك في
عشائها الرباني فوفر على ذريتك والكنائس والمحاكم والمجالس
الملية أسباب تنازع الاختصاص والمشاكل والخصام وعين من
الآن الكنيسة التي تريد الانتماء اليها

(منشأ الارساليات في مصر)

حلت المصائب بالـكنيسة القبطيـة وظلت تغالب الدهر و يغالبها عصوراً واجيـالاً ولـكنها مع كل ذلك حافظت على استقلالها الديني واستمرت مرعية الجانب في العـالم المسيحي واستمر سلطانها نافذاً على مصر والنو بة والحبشة ولم تجسر كنيسة أخرى او ارسالية على الدنو من الاقباط والتعرض لعقيدتهم في تلك العصور. وأول اختلاط للاقباط مع الاجانب في الازمنة الاخيرة حصل مع الفرنساويين في عهد حملة نابليون حين اتخـذ منهم اصدقاء وادمج بعضاً منهم في سلك جنوده وضباطه وعلم كثيرين منهم اللغة الفرنساوية وآدابها ففتح البابا عنية وطمحت نفسه الى ضم الاقباط تحت لواء كنيسته ولما دالت دولة نابليون في مصر جاء عصر المغفور له محمد علي وكان ذا آمال واسعة يحمل نفساً كبيرة بين جنبيه ميالة الى ترقية مصر واستقلالها وطماحة الى الفتح والاستعمار فكان لابد له من الاستعانة بالاجانب وربط اواصر الصداقة مع الدول الاوربية فانتهز الفاتيكان هـذه الفرصة واستعان بصداقة دولة النمسا العريقة في الـكثلـكة لمحمد علي

و بواسطة نفوذ تلك الدولة السياسي دخل في حظيرة الكنيسة الكاثوليكية المعلم غالي باشكاتب ديوان محمد علي وجر معه آخرين واصبح لبابا رومة لاول مرة في التاريخ سيطرة دينية على فريق من الاقباط التابعين لبابا الاسكندرية

هذا هو منشأ الكثلكة بين الاقباط ومن ذلك الحين اخذت الارساليات من مختلف الامم اللاتينية ترد الى القطر المصري وأهم مركز للاقباط الكاثوليك في الصعيدهوطهطامن أعمال مديرية جرجا

اما ارسالية البروتستانت في مصر فاول من بدأ بها مرسل انكليزي يدعى المستر ليدر انشأ مدرسة امام البطركخانة لتعليم الاقباط وكان يوزع عليهم نسخ الكتاب المقدس مجاناً ولكنه لم يسع في تحويل احد منهم عن المذهب الارثوذكسي الى ان توفى ولم يمض زمن حتى تبوأ الكرسي البطريركي المطوب الذكر الانبا كيرلس الرابع ابو الاصلاح فوضع نصب عينيه انهاض الاقباط بعد أن بزغ فجر الاصلاح في أرض مصر في عهد محمد علي وخلفائه فانشأ أول مطبعة في مصر واحتفل بها احتفالاً كبيراً وأسس مدرسة الاقباط الكبرى وأسس الكنيسة المرقسية بمصر ولكن

لم يجلس على كرسي البطريركية طويلاً بل اختطفه المنون وخلفه الانبا ديمتريوس وفي ايامه ظهرت الارسالية الامريكية المشيخية وكان أول مرسليها القس لانسن الامريكي وقد جاءت هـذه الارسالية لتبشير غير المسيحيين وارادت الاستعانة بالاقباط فلم يلبوا دعوتها الظروف لاتخفى على اللبيب فلما فشلت في مأموريتها لم تشأ الرجوع على اعقـابها والعود الى بلادها بل عولت على العمل بين الاقباط وانضم الى هذه الارسالية مرسل انكليزي شهير يدعى القس يوحنا هوج جعل مركز عمله مدينة أسيوط وبطبيعة الحال ماكان يمكن السماح لوعاظ أجانب مذهبهم يختلف اختلافاً كبيراً عن مذهب الكنيسة القبطية بالدخول في الكنائس وتغيير عقيدة الشعب فقر قرار المرسلين على رسم خطة هـدم الكنيسة القبطية وأنشاء كنيسة جديدة على انقاضها هي الكنيسة البروتستانتية المشيخية وجعلوا مركز العمل مدينة اسيوط وقد ساعدتهم الظروف فقد رزح الاقباط بل المصريون أجمع أجيالاً تحت نير الذل والاستعباد وكان من الطبيعي تفشي الجهل بين جميع الطبقات وقد بدأت النهضة ولكن الفرصة لم تكن كافية لانتاج ثمارها ومن جهة ثانية فان الاقباط كانوا بمعزل عن العالم الغربي ولم يكن عندهم علم بمذهب لوثر ورفاقه ولا بالانقلاب الذي

احدثوه في العالم الكاثوليكي من منذ اربعماية سنة فكان احتاط آباؤهم للامر واتخذوا العدة ضد هذا المذهب الجديد اسوة بأغلب الكنائس الأرثوذكسية التي لم يستطع هذا المذهب الانتشار بينها . نعم ان الكتاب المقدس كان موجوداً في الكنيسة القبطية وكان فيها كتب المفسرين من آباء اجيال المسيحية في القرون الاول ولم يترك الاقدمون تعليماً او نظاماً الا دونوه . الا ان هذه الكتب كانت بخط اليد وعزيزه المنال وكانت معلومات الاكليروس الدينية قليلة قاصرة على حفظ صلوات معلومة والقراءة من كتب الكنيسة الخطية بدون تعمق او درس او بحث او استقصاء خلافاً لما كان عليه اسلافهم الائمة الاعلام . ولا يخفى ان المذهب البروتستانتي قام به اناس مفكرون من اكبر جامعات اوروبا اطلقوا العنان للعقل البشرى الى اقصى حد وبنوا مذهبهم على قوة الجدل الممزوج بروح العنف والشدة ولم يتركوا عقيدة من العقائد الا وطعنوا فيها . فلا عجب ان عجز الاكليروس القبطي عن الدفاع في ذلك الوقت وقد فوجئوا بتعاليم غريبة ومطاعن لا عهد لهم بها من

خصوم اقوياء انتهزوا الفرصة وهجموا عليهم وهم عزل من سلاح العلم ولا عجب ان سلم كثير من الاقباط انفسهم لاولئك المهاجمين . وليت الامر وقف عند هذا الحد ولكنهم انضموا الى صفوف الاعداء وقاموا يحاربون امهم وولية نعمتهم وتهجموا على الكنائس ونزعوا من كنيسة اسيوط الصور وحطموها واهانوا الاكليروس مستعملين القوة المادية بدافع الغيرة المذهبية اوبعوامل شخصية وكان اكثر البلاد ثورة اسيوط وقوص فثارت ثائرة البطريرك الانبا ديمتريوس ولما وصل الخبر الى مسامع المغفور له اسماعيل باشا خديو مصر وهو ذلك المليك العظيم المشهور بالغيرة الوطنية وبعد النظر لم يرق له هذا الصنيع ولا السعي فى حل عرى الكنيسة القبطية الوطنية فأمر باعداد باخرة اميرية اقلت غبطة البطريرك وحاشيته الى بلاد الصعيد ليجول بين ابنائه الاقباط و يردهم الى حظيرة كنيستهم وامر رجال حكومته بتكريمه في كل نقطة يحل فيها وكان مرافقاً له في هذه الرحلة الايغومانوس فيلوثاوس الواعظ القبطى الشهير وقد تداخل بعض الوسطاء لاصلاح ذات البين بين البطريرك والمنشقين من اعيان اسيوط وكاد يتم الامر على ما يرام لمصلحة

الكنيسة القبطية لولا تصلب وتشدد الانبا ديمتريوس البطريرك
وفي هذه الاونة كانت بذلت المساعي الاجنبية لدى سمو
الخديوي فاخلى سراح المعتدين واضاع البطريرك فرصة لم يسمح
الدهر بمثلها ومن ذلك الحين ازداد نفوذ المذهب البروتستانتي
ونشاط الارساليات الى ان توفى الانبا ديمتريوس وحل محله
غبطة البطريرك الحالي الانبا كيرلس الخامس وفى عهده ارتقى
الاقباط ارتقاء عظيماً ولكن الارتقاء الديني كان بطيئاً وليس
بنسبة الارتقاء في باقي الاشياء وذلك بسبب الخلاف بين
الشعب والاكليروس فى امور تتعلق بالاصلاح الملى وادارة
الاوقاف وسلطة المجالس الملية وكان الخلاف على امور دنياوية
صرفة كان يمكن حلها باستعمال الحكمة والتساهل من الجانبين
ولكن هكذا كان. واستفادت الارساليات من هذا الخلاف
وانفسح لها المجال في اقتناص الاقباط ولكن الله مع كل ذلك
لم يترك الكنيسة القبطية بل اوجد لها رجالاً عاملين كان فى
مقدمتهم اللاهوتي الشهير والواعظ الطائر الصيت المرحوم
الايغومانوس فيلوثاوس والمرحوم عريان افندى مفتاح بخطبه
الارتجالية ومؤلفه النفيس المدعو (الدرة البهية في الاسرار الربية)

والمرحوم ابرهيم بك رفائيل بمؤلفيه السديدين المدعوين (البراهين القوية ضد نا كرى المعمودية. وردع اهل الجهالة بسيفي الكهنوت والاستحالة) والراهب البرموسي وشهرته في التأليف والمدافعة عن الارثوذكسية تغني عن الاطناب والمرحوم يوسف بك منقريوس ناظر المدرسة الاكليريكية وصاحب مجلة الحق والمرحوم اقلاديوس بك لبيب صاحب القاموس القبطي المشهور والشماس حبيب افندي جرجس ناظر المدرسة الاكليريكية الحالي والمرحوم فلسطين افندي انطونيوس والقمص يوحنا سلامه وغيرهم من المطارنة والاساقفة والقسوس وابناء الشعب الغيورين فنهضوا بالكنيسة نهضة تبشر بالخير والنجاح وبدأ الاقباط يفتحون عيونهم ويذكرون فضل كنيستهم وخطأ تركها وقد زالت عنهم تلك النوبة التي اخذت الكثيرين منهم على غرة وسيحل رد الفعل ويرجع الكثيرون الى احضان كنيستهم

(الوسائل التي تتخذها الارساليات لاقتناص الاقباط)

يدير الارساليات هيئات قديرة مفكرة تعمل بمهارة وحكمة بمقتضى خطط منظمة مدبرة معينة بقوة المال وقوة العلم وقوة الخدم والثبات وقوة النفوذ السياسي والادبي والشخصي وكل ما اوتيت من قوة اخرى وسلطان . تواصل الجهد ليلاً ونهاراً وتتحين الفرص وتستخدم الظروف والمناسبات للوصول الى اغراضها فتنشىء المدارس والكليات للبنين والبنات وهي الدعامة الاولى وحجر الزاوية في عمل الارساليات وتنشىء الجمعيات التبشيرية للوعظ الثابت والوعظ المتجول وتنشىء الكنائس والمكاتب والمستشفيات والملاجىء والاندية وجمعيات الشبان المسيحية ولجان الحث وتبث موزعي الكتب الدينية وتنشر الكتب والمجلات وتعقد المجامع الاقليمية والمجامع العامة وتنظم الحفلات الدينية السنوية وتنتدب من وقت لآخر بعض مشاهير الوعاظ لالقاء الخطب والمحاضرات الدينية وغير ذلك من طرق النشر والدعوة .

ولا يسمح المجال ان نذكر بالتفصيل الخطوات التي تتبعها كل

ارسالية على حدة في تنفيذ برنامجها واتمام المشاريع العديدة التي ذكرناها فنكتفى بالارسالية المشيخية الامريكية اكبر الارساليات في مصر واقواها واكثرها تداخلاً في الاقباط

اختارت هذه الارسالية مدينة أسيوط وجعلتها ميداناً للعمل لان فيها وفى ضواحيها ومراكزها وقراها اكثرية اقباط القطر المصري واغناهم وانشأت فيها كلية للتعليم يديرها مرسلون امريكان فيها قسم خاص الذكور وقسم للبنات تتبعها كنيسة ومكتبة وانشأت مستشفى

وهاك وصف نظام الكلية على ماخبرته بنفسي في سنة ١٨٩٨

هذه الكلية ولو انها موصوفة بانها مدرسة علمية فهي فى الحقيقة مدرسة علمية ودينية معاً غرضها الجوهري تخريج معلمين وتهيئة الصف المنتهي للدخول في مدرسة اللاهوت وطلبتها معافون من الجندية فكان لهذا الامتياز الفضل الاكبر فى ضم كثيرين من ابناء الاقباط من أهالي مديرية أسيوط خاصة للانتظام في سلك طلبة هذه المدرسة و بالتالي للاشتغال في خدمة الارسالية كما سترى فعند ذكر اسباب نجاح الارسالية الامريكية يجب ان لاننسى المعافاة من الجندية التي تمنحها الحكومة المصرية لكل طلبة

الدين في القطر المصري من كافة الملل واستخدمتها الارساليات الامريكية احسن استخدام

والمدرسة داخلية وخارجية وأغلب الطلبة تابعون للقسم الداخلي والمصاريف على درجتين — درجة اولى ودرجة ثانية باختلاف نوع الطعام (والآن اربع درجات مخصوصة واولى وثانية وثالثة وطلبة الدرجة الثانية (الثالثة الان) اغلبهم من الفقراء فيساوم الناظر اهلهم في الاجرة ومن يعفى من الاجرة كلها او بعضها يكلف بأداء خدمة معينة للمدرسة تختلف باختلاف المبلغ الذى اعفته منه المدرسة فيقوم بالكنس او الرش او خدمة الموائد أو غسل الاوانى اودق الجرس الخ حسب الاحوال . وهذا النظام مفيد من جهة تعويد الطالب على العمل وعدم الكبرياء ولكنه في الوقت نفسه من اكبر العوامل في غرس روح التمييز والتفضيل بين الغني والفقير

ومدة الدراسة ثلاث عشر سنة اربع للابتدائى واربع للتجهيزى وخمس للعلمي وتتخلل الدروس العلمية دروس فى الدين حسب العقيدة البروتستانتية تزداد كلما ارتقى الطالب الى فرقة اعلى الى ان تصبح الدروس كلها في الفرق المتقدمة دينية تقريباً ومن

لاينجح في علم الدين لاينقل لفرقة اعلى بل يعيد دراسة السنة العلمية با كلها

و بهذه الواسطة تتأصل في الطالب مبادىء المذهب البروتستانتي من الصغر وتنمو فيه كلما زاد في السن الى ان تصبح عقيدة راسخة فيه ولا يمضى زمن طويل بفضل هذا التعليم و بفضل المساعي التي تبذل بواسطة جمعية مخصصة لهذا الغرض تسمى (لجنة الحث) حتى يتقدم الطالب للاشتراك والانضمام الى المذهب البروتستانتي . ومن لايقبل الاشتراك ينظر اليه بنظرة اخرى

و يتعود الطلبة على الخطابة اسبوعياً في المواضيع الادبية بواسطة انتظامهم في جمعيات مدرسية منظمة يشغل وظائفها الطلبة بالانتخاب السرى كما انهم يتعودون على الوعظ اسبوعياً في ليالي الاحد وتسمى ليالي المفاوضة »

ومع أن الدراسة العلمية في هذه المدرسة كانت تؤهل للحصول على بعض الشهادات الاميرية الا انه قلما كان يتقدم أحد من الطلبة لتلك الامتحانات مفضلين الخدمة في « كرم الرب » على وظائف الحكومة ولو انه في بدء انشاء المدرسة توظف كثيرون من طلبتها في بعض المصالح الاميرية لاسيما

مصلحة البوستة وكان ذلك سبباً في اقبال كثيرين من الطلبة على المدرسة (والان بسبب انتشار المدارس الاميرية والاهلية والميل العام للحصول على الشهادات الاميرية التى تؤهل للدخول في المدارس العالية دعت الضرورة ادارة المدرسة ان تعدل برنامج التعليم العلمي وتجعله قريباً بقدر الامكان من برنامج المدارس الابتدائية والثانوية الاميرية مع بقاء روح التعليم الاصلي الذي انشئت من اجله المدرسة . واتفقت الادارة في الوقت نفسه مع ادارة جامعة بيروت الامريكية و بعض مدارس اميركا على قبول بعض طلبة كلية اسيوط بالقسم الطبي وترتب على هذه التعديلات والترتيبات ازدحام المدرسة بالطلبة وكثر الايراد ولكن قلت رغبة الطلبة في الخدمة في « كرم الرب » والدخول في مدرسة صف اللاهوت حتى اضطرت الارسالية الى انشاء قسم جديد يسمى صف اللاهوت غير القانوني اجازوا فيه قبول من يكمل الدراسة العلمية وقد بلغ حساب التوظف لدى الطلبة مبلغاً عظيماً حتى ان طلبة صف اللاهوت في أحدى سني الحرب على ما علمت من ثقة تركوا جميعاً مدرستهم وتوظفوا في السلطة العسكرية عدا طالباً واحداً)

ومتى وصل الطالب المعفى من المصاريف كلها او بعضها الى القسم التجهيزى ومكث فيه سنة او سنتين اصبح (هو وامثاله من طلبة الفرق المتقدمة) عرضة في أي وقت لانتدابه بوظيفة معلم في أحـدى الجهات بمرتب ضئيل يتحصل كله تقريباً من اجور التعليم. وعبثاً يحاول الفرار من ذلك اذ يهدده الناظر بالطرد من المدرسة وتقديمه للحربية فيضطر الى الانقطاع من الدراسة ويغيب سنة اوسنتين فى تلك المأمورية ثم يعود لتكملة دروسه ولـكن بشكل انظف وهندام اجمل. وتلزمه الادارة بدفع اجرة كاملة مما يكون وفره من مرتبه وهو معلم ويجوز ان ينتدبه النـاظر للتعليم مرة اخرى

و بواسطة هذا الانتداب للتعليم الذي لا يكلف الارساليـة شيئاً بل بالعكس يعود عليها بالفائدة اصبح من المستطاع نشر المدارس البروتستانتية في المدن والقرى بهولاء المعلمين الذين يشتغلون بالتناوب

وفي نهاية سني التعليم بالـكلية تعمل حفـلة الوداع وتوزع الشهادات للصف المنتهي في حفلة يحضرها مدير اسيوط واحياناً معتمد دولة امريكا و يودع هؤلاء الطلبة المدرسة بنشيد مطلعه « امنا لا تتركينا »

والصف المنتهى بعض منـه يدخل مدرسة صف اللاهوت بمصر (ويحتم الآن على من يتمتع بالمجانية الدخول في هـذا الصف) و يمكث ثلاث سنوات يتعمق فيها في دراسة اللاهوت و يتمرن فى اثنائها على الوعظ الى ان يأخذ شهادة اللاهوت فيصير اهلاً للقب « مبشر »

و بعض من الصف المنتهي ينـدمج في سلك المعلمين في المدارس البروتستانتية بصفة دائمة وهكذا يصبح هؤلاء الطلبة الذين كان اكثرهم من القرويين الساذجين شباناً متعلمين متهذبين واـكن من الاسف هذا العلم وهذا التهذيب موجهان ومنصبان لتحقيق غرض معين هو مناصبة العداء لامهم الـكنيسة القبطية التي استبدلوها بتأثير التعليم الغريب اثناء صغر سنهم و بساطتهم قبل ان يتثبتوا و يتعمقوا في معتقدات كنيستهم بام مستعارة كما رأيت في نشيد الوداع فيضمون فى صفوف خصوم الـكنيسة و يضعون بايديهم معاول الهدم والخراب على امجد كنيسة مسيحية ويستخدمون علمهم في استنباط الطرق والحيل للتنكيل والايقاع بها

أما قسم كلية اسيوط الخاص بالبنات فهو كالقسم الخـاص

بالاولاد مع اختلاف منهج الدراسة والنظام ومـدة التعليم بما يناسب الجنس اللطيف. والغرض الاساسى منه تخريج معلمات وتربية سيدات يكونن في المستقبل عاملات فى بسط نفوذ الكنيسة المشيخية وقلما تكمل فتاة علومها دون ان تكون اعتنقت المذهب الانجيلي بتأثير التعليم ومساعي ونفوذ الناظرة والمعلمات. وفي المدة الاخيرة عمل قسم ممتاز لبنات الاغنياء بأجر عالية ولا تجرأ بنت فقيرة من تاني باب القسم الآخر على الدنو من قسم الغنيات وبهذه الوسيلة والتمييز امكن جر كثيرات من بنات الاسر العالية من الاقباط الارثوذكس فيرضعن من الصغر لبان العقيدة البروتستانتية ويصبحن تابعات لها يعلمن ويزدن في نمو تلك الـكنيسة

وشرعت الارسالية اخيراً في انشاء كليـة للبنات بأسيوط لتوسيع نطاق العمل وزيادة نشر المذهب الانجيلي بين الاقباط

لقد كان المرحوم لورد كرومر يقول في تقاريره ان مدارس الحـكومة معامل لتخريج موظفين للحكومة فيمكننا ان نقول بحق ان مدارس المرسلين هي معامل وفابريقات لتحويل شبان وشابات الاقبـاط من مسيحيين ارثوذكس الى مسيحيين بروتستانت اوكاتوليك

دور المعلم الذي من الـكاية

ولنعد الى طالب الكلية الذي ينتدب او يتخصص للتعليم يذهب الى القرية او البلدة ويفتح له مدرسة صغيرة يضع عليها لوحة زرقاء يأخذها من الارساليه مكتوباً عليها بالانكليزية American mission school اي مدرسة الارسالية الامريكية بينما المدرسة من الوجهة الجنسية قبطية محضة أو ان المعلم قبطي والتلاميذ اقباط والمال من جيوب الاقباط واتذكر انني كتبت مقالاً سنة ١٩٠١ في جريدة مصر تحت عنوان « أمدارس أهلية او اجنبية » منتقداً هذه التسمية التي لا يعرف لها سبب سوى الافتخار بالانتساب للامريكان والمذهب الامريكي والابتعاد عن كل ما هو قبطي وقد استبدلت هذه التسمية اخيراً باسم آخر وهو « المدرسة الانجيلية » اي، باسم المذهب الديني دون اضافة لفظة قبطية فلا تزال الفكرة الاصلية باقية

ويقبل في هذه المدرسة في مبدأ الامر الاولاد والبنات معاً ويعلمون المطالعة في الانجيل ويحفظون غيباً كتاب التعليم المسيحي وكتاب اصول الايمان الخاص بالعقائد البروتستانتية وغيره من الكتب الدينية ويتمرنون على الترنيم والترتيل ويجبرون على الحضور يوم الأحد صباحاً وعصراً (مدرسة الاحد) وبعض

ليال من الاسبوع لحضور الصلاة والوعظ اللذين يقوم بهما المعلم ومن يتأخر عن الحضور يعاقب ولو كان يصلي في كنيسته القبطية. ويمر المرسلون الامريكان من وقت لآخر في ذهبيات مع سيداتهم ويوزعون على التلاميذ الصور الدينية وتعمل احياناً حفلات سنوية تلقى فيها الخطب من التلاميذ . و بطبيعة الحال يحصل التعارف بين المعلم وآباء التلاميذ ويتردد هؤلاء عليه للاستفهام عن أولادهم او الشكوى منهم او التوصية عليهم او لسماع ترنيمهم او الخطب التي يلقونها وتؤدي الحال في نهاية الامر الى جر ارجل هؤلاء الآباء لحضور الصلاة والوعظ ان لم يكن عاجلاً فآجلاً ويصير ذلك عادة فيهم وتصبح الظروف مناسبة والحاجة ماسة الى شخص يتخصص للوعظ فيأتي دور المبشر

دور المبشر — يطلب من الارسالية (الآن السنودس) مبشر من متخرجي صف اللاهوت يعين بالتناوب ويخصص للصلاة مكان بجوار المدرسة ويجعل المبشر وعظه في أول الامر قاصراً على التعليم وبث الفضيلة متحاشياً بالمرة الدخول في العقائد ويظهر احترامه للكنيسة القبطية ويجاهر ان الكل اخوة في

المسيح ليجتذب بهذه الطريقة الاقباط لسماع كلمته ويزورهم في اوقات المآتم وخلافها ويقرأ لهم فصلاً من الكتاب معلقاً عليه بكلمات عنده ومتى أنس من الناس الاقبال لسماع وعظه يبدأ في بث العقيدة البروتستانتية والفت في عضد عقائد الكنيسة القبطية بطريق التلميح اثناء الوعظ ويؤدي الامر في النهاية الى المباحثة والمجادلة في المجالس الخصوصية بروح الحذر والاحتياط ولا يلبث ان يؤثر على بعض البسطاء او غير المتمكنين من عقيدتهم القبطية ويحضهم على سرعة الاشتراك فيكلف أحد قسوس الكنائس المجاورة لعمل فريضة العشاء الرباني وادماج الاعضاء الجدد ضمن « المؤمنين » وبعد تمثيل هذا الدور يظهر المبشر بمظهره الحقيقي ولا يخشى شيئاً فيطعن على عقائد الكنيسة علناً مستعيناً بالاعضاء الجدد الذين يدخلون « الايمان » بغيرة ونار شديدة ولا يلبث ان يزداد الاعضاء وتكون الحاجة ماسة الى بناء كنيسة للصلاة فتجمع النقدية اللازمة بالتبرع من الاعضاء والكنائس الاخرى ويأتي دور القس

دور القس — يزكي اعضاء الكنيسة أحد المبشرين ليكون قساً لهم يخصصون له منزلاً يليق به ويقومون بدفع مرتبه واول

شيء يضعه القس نصب عينيه التحبب الى اعضاء الكنيسة واستجلاب رضائهم. وقد يصدف ان يكون اعضاء كنيسته من ذوي النعمة واليسار و يصدف ان يكون القس سياسياً ماهراً ذا دهاء يعرف من اين تؤكل الكتف فلا يمضي زمن طويل حتى يكون هو الشخص المفدى ينال مايشاء و يأمر و ينهي وقوله القول الفصل في كل امر ديني اودنيوي عمومي او فردى والكل نساء ورجالا يسبحون بحمده و بشكره. و ياويل من يقف في وجهه من اعضاء كنيسته اذا رأى فيه انحرافاً فيكون نصيبه الطرد لا محالة

هذا نموذج من نماذج التأثير الذي يمكن ان يعمله مثل هذا القس مع ابناء كنيسته وهم من الطبقة الراقية المستنيرة « بنور الانجيل » فهل يستطيع ان يسلم من احبولته من يقع بين يديه من ابناء الكنيسة القبطية البسطاء

و بعد ان يوجد القس صلات الوداد مع اعضاء كنيسته يوجه نظره الى « خراف الكنيسة القبطية الضالة » و يصوب سهامه الى الاغنياء والسيدات منهم اولاً ولكن ليس كل الاغنياء بل المتدينين منهم

اما الاغنياء فلان المال عماد كل شيء ومن اين تقوم المشاريع ؟ ومفيد ايضاً للاستعانة بجاههم ونفوذهم وتأثيرهم في ضم سواهم وله فائدة سلبية وهي حرمان الكنيسة القبطية منهم ومن اموالهم اوعلى الاقل حرمانها من الجزء الاكبر من عطاياهم ولولا اولئك الاغنياء الاقباط لما استطاعت الكنيسة المشيخية الوطنية بمصر الاستقلال المالي عن الارسالية الامريكية

وتوجد عدة عوامل تساعد الكنيسة المشيخية على ضم الاغنياء اليها وهي

(١) ان مذهب الكنيسة القبطية بالنسبة للغني الذي عنده بعض من الدين هو مذهب شديد وضيق عن المذهب الانجيلي وكيف يستطيع الغني وهو ميال بطبيعة الحال الى الراحة والتنعم والتلذذ في المأكل ان يستيقظ في نصف الليل والفجر ليصلي وان يذهب الى الكنيسة بغير افطار وينتظر لقرب الظهر وكيف يحتمل ان يصوم معظم ايام السنة بعض اليوم بغير أكل بالمرة وبعضه بمأكولات غير دسمة فمثل هذا الغنى الذي عنده جانب من الدين ولكنه يميل الى التنعم لايجد مذهباً غير المذهب الانجيلي الذي يقوم بهذين المطلبين ويوفق بين الامرين

(٢) ان الكنيسة القبطية تحرم الربا بتاتاً ومن قبل نصف قرن تقريباً ما كان احد من الاقباط يعرف الربا الى ان دخل الاجانب

واختلطوا بهم وقد سأل احد سراة اسيوط المرحوم يوحنا هوج الزعيم البروتستانتي المعروف رأيه في موضوع الربا فكان رأيه اقرب للاباحة منه للمنع فأتخذ بعض اغنياء اسيوط هذا الرأى الصادر من لاهوتي شهير دارس الكتاب سنداً للتوفيق بين عبادة الله وعبادة المال واراحة ضمائرهم المضطربة وانتشر الربا حتى بين القسوس الانجيليين واقره السنودس وسرت العدوى في باقي مدن القطر وشملت جانباً عظيماً من الاقباط الارثوذكس والفرق بين الانجيلي والارثوذكسي في ذلك ان الاول يعطي الربا وهو مطمئن الضمير من الوجهة الدينية والثاني يعطيه وهو متشكك ولولا تداخل الحكومة لظل الربا الفاحش يتفشى « والكنيسة المصلحة » التي جاءت لهداية الاقباط ملازمة الصمت

(٣) ان الكنيسة القبطية تأمر بوجوب الاعتراف على الكاهن قبل التقدم للاشتراك وهذا لا يروق للغني المتكبر الذي يميل الى المدح والاطراء والتملق وعد سيئاته حسنات ولا يقبل ان يكشف قسيس ادنى منه في نظره مساويه فيفضل مبدأ الكنيسة الانجيلية الذي يوافق رغائبه على مبدأ الكنيسة القبطية

(٤) ان الغني هو اول من بدأ في التطور الاجتماعى والتفرنج وتقليد الغربى في حركاته وسكناته وترك كثيراً من العادات والآداب الشرقية الحسنة وتبعاً لذلك لا يستحسن البقاء في

كنيسة شرقية عتيقة مبنية على الطرز القديم لا مقاعد فيها للسيدات ويتشح اكليروسها بالقلانس والعمائم السوداء ويفضل كنيسة متمدينة تتفق مع العصر فيها خدام الدين من اصحاب القبعات والطرابيش والهندام الاوربكي الجميل

(٥) ان مبدأ الكنيسة المشيخية عيز الاغنياء على الفقراء فالطالب الفقير يكنس غرفة زميله الغني فى المدرسة ويناوله الطعام ويقوم بخدمته والتلميذة الفقيرة لا يمكنها ان تطأ عتبة قسم الغنيات الفاخر والاغنياء هم اصحاب الكرامة و الرعاية المخصوصة وموضوع الفخر والاعجاب من القسوس واعضاء السنودسات والمرسلين بسبب تبرعاتهم واكتتاباتهم الهائلة فلاعجب ان حبب ذلك بعض الاغنياء في الكنيسة المشيخية خصوصاً السيدات فان لهن شخصية بارزة في تلك الكنيسة

وان لم ينجح القس في ادماج الاغنياء فعلاً ضمن اعضاء كنيسته فلا اقل من ادماجهم ضمن الاعضاء المترددين على الكنيسة ليكونوا داخلين في دائرة اختصاص المجلس الملى الانجيلي فيستفيد بالرسوم عند حصر تركاتهم ويكون له السيطرة في تعيين الاوصياء على القصر والتداخل فى شؤون الزوجة والاولاد والعائلة علاوة على ان اضافة اسماء المترددين فى كشف

الكنيسة يفيد فى زيادة عدد اعضاء الكنيسة عند وضع التقارير

اما اهتمام الكنيسة المشيخية بضم السيدات فسنتكلم عليه في دور السيدات

ولكى يصل القس الى تنفيذ اغراضه في نشر الدعوة بين الاقباط يستعين بعدة وسائل تختلف باختلاف مقدرته واخلاقه وعنصره فان كان طيب القلب من عنصر كريم ذا ضمير حي عمد الى الوسائل الشريفة جاعلاً غرضه الاسمى بث الفضيلة واصلاح الاخلاق بصرف النظر عن التقيد بالمذهبية ولكن هذا لا يعجب الكثيرين من اعضاء كنيسته ورفاقه الذين لا يهمهم سوى زيادة العدد

اما ان كان القس متعصباً التعصب الذميم مملوءاً قلبه بنار الكره والبغض فتستوى عنده الوسائل الشريفة وغير الشريفة. يستحل المغالطات والكذب والافتراء في تشويه تعليم الكنيسة القبطية وتصويرها بصورة كنيسة وثنية لكي يخدع البسطاء ويضمهم اليه ويستحل المكائد والدسائس والمماكسة فى فعل الخير. وبالاجمال القاعدة الاساسية عنده الغاية تبرر الواسطة فلو فرض ووجدت ناظرة او وجد ناظر مدرسة بروتستانتي فى مدرسة

قبطية أوعز الى الناظر او الناظرة سراً ببث التعليم البروتستانتي وكتبه العقائدية بين الطلبة او الطالبات ان وجد عدم رقابة من ادارة المدرسة

وان لم يفلح اغرى الناظر او الناظرة سراً على الخروج من المدرسة في بحر السنة للاشتغال عنده او في جهة اخرى بمرتب ازيد . واحياناً لكي يشفى غليل حقده يضطر الى ارهاق جيوب اعضاء كنيسته بانشاء مدرسة تعاكس المدرسة القبطية مع ان حالة البلد لا تسمح بذلك . ويأمر بقبول الطلبة بغير امتحانات وباي اجرة ولو ادى الامر الى خراب المدرستين متبعاً قاعدة « عليّ وعلى اعدائي »

واحياناً يبث تعاليمه فى احد الاقباط الارثوذكس الظاهرين ويساعده فى وضع نبذة تطبع باسم ذلك القبطي مملوءة تعاليم تخالف عقائد الكنيسة القبطية على خط مستقيم ويروج هذه النبذة بين الاقباط باعتبار انها من قبطي صميم كما جرى من عهد غير بعيد مع بعض طلبة المدرسة الاكليريكية ومع بعض محررى الجرائد اليومية وبعض الرهبان ومن هذه النبذ والكتب (كتاب احياء الكنيسة القبطية وكتاب البرهان المحسوس وتفسير نشيد الانشاد) ولا يزال بعضهم يستخدم نفراً من

متخرجي المدرسة المذكورة بمرتبات وانا اعرف اسم بعضهم في تأليف كتب تاريخية وعقائدية يبثون فيها السموم القتالة وولاة امور مذهبنا غافلون عن ذلك

واذا رأى ميلاً من بعض اعضاء كنيسته لمساعدة مشروع او عمل خيري قبطي ارثوذكسي او عمل وقفية خيرية عمومية يفرغ ما فى جعبته لتنفيره من مساعدة الاقباط وان لم يفلح يسعى بكل جهده في التأثير عليه للاقلال من المبلغ المراد الاكتتاب او التبرع به الى ادنى حد مستطاع

هذا قليل من كثير من امور العداء الظاهرة التي يظهرها مثل هذا القس المتعصب لطائفته وكنيسته القبطية التى ولدته وارضعته الايمان المسيحي فكان جزاؤها منه جزاء سنمار [1] ومن المخجل ان تحصل كل تلك المخازى باسم الانجيل

دور السيدات — تلعب السيدات اهم الادوار فى عمل الارساليات فلا عجب ان وجه المرسلون جل اهتمامهم لادخال

---

(١) رجل رومي دعاه الملك النعمان بن امرىء القيس اللخمي وأمره ان يبني له قصراً فبناه ولما اتمه القاه الملك من اعلاه خوفاً من ان يبني قصراً مثل قصره لسواه فمات قتيلاً وكان ذلك جزاءه وبئس الجزاء

السيدات فى المذهب الجديد وللوصول الى ذلك طريقتان الاولى المدارس فترضع البنت مبادىء المذهب البروتستانتي اثناء التعليم وتشب عليه. والثانية نشر الدعوة واستعمال طرق التأثير — :.

وطرق التأثير كثيرة ومتنوعة تختلف باختلاف الوسط والبيئة والظروف وعقل كل سيدة ولا يخفى ان المرأة خصوصاً المصرية بحسب طبيعتها بسيطة وطيبة القلب وسريعة التأثير وهي اكثر تديناً من الرجل ودينها يرتكز على بساطة الايمان ومهما بلغت فى المعرفة فلا تزال معلوماتها الدينية محددة والصفة البارزة فيها الايمان واكرم به نعمة تفوق كل معرفة . فكيف يمكن للمرأة وهذا وصفها ان تقف امام رجل قوى في العلم الدنيوى والديني متفنن في التأثير ؟ وكم وكم ان كانت المرأة امية واغلب نسائنا اللواتى اختطفتهن الارساليات اميات

وقبل البدء في العمل يمهد القس مقدماً بالتعارف مع السيدة التى جعلها هدفاً لسهامه ثم يوالى الزيارات مظهراً لها العطف والاخلاص ويصلى من اجلها ومن اجل زوجها واولادها بتقوى وحرارة في كل مرة وعند ما يأنس منها الثقة فيه والميل لسماع وعظه يشرع فى حملة بالطعن بالتدريج في الكنيسة القبطية ونظامها وعقائدها وقسوسها واكليروسها وفي الاقباط واخلاقهم طعناً مستوراً احياناً واحياناً ظاهراً ملطفاً فى بعض الاحوال وشديداً فى

الاحوال الاخرى بحسب مقتضيات الظروف والمناسبات وهاك بعض الامثلة مما يقوله بعض القسوس والمبشرين لمثل هذه السيدة : —

« الكتاب قال لاتصنع لك تمثالاً منحوتاً ولاصورة ما الخ وكنيستك القبطية تصنع الصور وتعبدها »

« الصوم حسب الكتاب يجب ان يكون لله وكنيستك تخالف الكتاب وتصوم صوم العذراء وصوم الرسل عبادة للعذراء والرسل »

« الكنائس حسب الكتاب هي بيوت للرب وكنيستك تبني الكنائس باسماء مار جرجس او مارمرقس عبادة لمارجرجس ومار مرقس »

« الكتاب يقول ان الله هو الذي يغفر الخطايا وكنيستك تعلم ان القسيس هو الذي يغفر الخطايا »

« الاعتراف بمقتضى تعليم الكتاب لله وحده وكنيستك تأمر بالاعتراف على القسيس وغرض الكنيسة من ذلك ان يكشف القسيس اسرارك واسرار عائلتك ويفشيها أو يدخل بينك وبين زوجك ليسيطر عليك ويستنزف اموالك »

« الكتاب قال لاتدعوا لكم اباً على الارض وانت كيف تدعين القس او القمص اباً كيف تقبلين يده وهو لايساوي خادماً من

خدم ابيك بل هو في مركز شحاذ يمد يده بطلب الاحسان »

وغير ذلك من سلسلة التهكمات والمطاعن التي لا أصل لها يقولها مثل ذلك القس الوطني لتلك السيدة القبطية بغير رقيب ولاضمير . ويعيد الكرة مرة ومرة ومرة الى ان يزحزح عقيدتها ويقلعها من اساسها وخشية من ان تفلت الفريسة من يده يعجل في تقديمها لحفلة الاشتراك وهناك تقابل بالفرح والتهليل وتهنأ لدخولها في « عهد النعمة بفاعلية الروح القدس » ويواظب القس وبعض الاخوة في موالاة زيارة هذه « الاخت في الرب » لتثبت في إيمانها وان كانت غنية تنتظم حالاً في وظيفة تليق بها في احدى الجمعيات التابعة للكنيسة وتصبح عضواً عاملاً وتعرف بالمرسلين والمرسلات واعضاء السنودس وتأتي لها جوابات التشكر من مختلف الكنائس لاجل تبرعاتها فتشعر بوجود شخصية ظاهرة لها فتتيه فخراً وتتفانى في خدمة الكنيسة وتفتح خزائنها للقس ليأخذ من « مال الرب » مايشاء بغير حساب

ونتيجة التحول للمذهب الجديد انها كانت حقيقة مسيحية واصبحت مسيحية متنورة تعرف الخير والشر ولكنها في الوقت نفسه اكتسبت بواسطة التغير الجديد اخلاقاً وصفات لم تكن فيها من قبل

كانت مسيحية مخلصة الضمير وأصبحت مسيحية بعاطفة جديدة وهى التعصب الظاهر او الكامن والشعور بالاحتقار والكره لطائفتها وكنيستها القبطية

كانت مسيحية متعبدة تصلي في نصف الليل والفجر وتصوم معظم ايام السنة واصبحت الآن مسيحية متبررة بالايمان وتحرر جسدها من قيود السهر والاصوام ليأخذ نصيبه من الراحة والتنعم

كانت مسيحية متواضعة واصبحت مسيحية فريسية تدين الغير وتتهكم وتطعن على اخلاقهم وعباداتهم ومعتقداتهم الخ من النتائج التي ستراها في احدى مقالات هذا الكتاب

وهناك الاعمال التي تقوم بها السيدات في خدمة الارساليات تؤدي بعضهن وظائف معلمات ونظارات لمدارس البنات في مختلف جهات القطر جنباً الى جنب مع مدارس الاولاد والكنائس لغرس المعتقد البروتستانتي في قلوب البنات الغنيات امهات المستقبل حتى اذا كبرن وولدن الاولاد يرضعن هذه العقيدة لاولادهن مع اللبن وبهذه الكيفية تتسلسل العقيدة من جيل الى جيل

وتأثير المرأة على الاطفال شديد جداً فتعمدهم خلسة من ابيهم في الكنيسة البروتستانتية ولو كان الاب عميداً في الطائفة القبطية وتأخذهم معها لكنيستها لحضور الصلاة الاجتماعية ودروس مدرسة الاحد وتعلمهم في الصغر في المدارس

الانجيلية ولو ترك لها الخيار لصيرتهم كلهم او بعضهم مبشرين وقسوساً وان وجدت ميلاً من أحدهم للكنيسة القبطية تعتاظ ظاهراً او باطناً

وليس تأثيرها قاصراً على اطفالها بل يؤدي في نهاية الامر الى جر زوجها لمذهبها سواء كان عن عقيدة او بمجرد الانقياد وان كان مركزه في الطائفة القبطية لا يسمح بذلك او شديد التمسك بالمذهب الارثوذكسي فيضطر ارضاء لها ان يعضد المشروعات البروتستانتية بنفوذه وماله

وتؤثر المرأة كذلك على اقاربها واتباعها بما لها من التأثير الطبيعي والنفوذ

وبعض السيدات يعملن بصفة مبشرات متجولات يطفن في المنازل في اوقات المآتم. وقد انشأت الارسالية الامريكية في العهد الاخير مدرسة في طنطا لتخريج مبشرات من هذا القبيل وتتطوع بعض السيدات الغنيات لزيارة الفقيرات من الاقباط وقراءة فصول لهن من الكتاب ودعوتهن للكنيسة الانجيلية فتضطر اولئك النسوة تلقاء هذا التنازل الى تلبية الدعوة . ومن النساء من تنتهز فرصة وجود السيدات عندها في اليوم الاسبوعي المحدد لزيارتها وتعمل جمعية دينية اسبوعية تدعو لها قس كنيستها وبهذه الوسيلة يصطاد القس بعض نساء الاقباط للمذهب البروتستانتي

وهكذا من الخدم الجليلة العديدة التي تقوم بها السيدات فالمرأة قوة عظيمة لا يستهان بها يتوقف عليها حفظ كيان الكنيسة وسرعة نموها بل توجد عدة كنائس انجيلية لولا السيدات لاصبحت قاعاً صفصفاً . فلا غرابة ان اهتمت الارسالية واتباعها بأمر السيدات وتفننوا في جذبهن اليها

دور المطابع والمكاتب وموزعي الكتب والمجلات — لا تستغنى الارساليات عن المطابع لنشر الكتاب وبيعه بقيمة زهيدة وهى تؤدي بذلك خدمة عظيمة للجميع لا تنكر كما وانها تنشر الكتب الدينية المختلفة المفيدة وتنشر المجلات والتقارير وكتب العقائد البروتستانتية وتعين اناساً مخصوصين للمرور في الجهات لتوزيع هذه الكتب وتكلفهم احياناً التبشير بين الاقباط في القرى التي ليس لها كنائس ولا نزاع فيما تجنيه الكنيسة المشيخية من بسط نفوذها بسبب ذلك

دور المجامع — يسمى المجمع عند الانجيليين بلفظ سنودس والمجامع على قسمين اقليمية تشمل عدة كنائس متجاورة وهي سنودس الاقاليم العليا وسنودس اسيوط وسنودس الاقاليم الوسطى وسنودس البحيرة ومجمع عام وهو سنودس النيل وتنعقد المجامع في مدد دورية في بحر السنة كل مرة في جهة والكنيسة التي يحل فيها المجمع تقوم بنفقات الضيافة وهذه المجامع المشكلة من المرسلين

والقسوس الوطنيين وبعض المشايخ والمبشرين وكبار الشعب تنظر في الشؤون العمومية وسياسة الكنيسة الداخلية وانظمتها ومرتبات القسوس والمبشرين وتعيينهم ومرتبات عائلات القسوس المتوفين وتحقيق الشكاوي ضد القسوس او افراد الكنيسة وتبحث في بسط نفوذ الكنيسة المشيخية والطرق التي تبتكر للوصول الى ذلك وطبعاً لا مطمح لهذه الكنيسة في طائفة من طوائف القطر المصري غير طائفة الاقباط الارثوذكس التي هي بدون شك موضوع التدبير والتآمر . وفي اثناء انعقاد المجامع تعمل حفلات دينية عمومية يدعى اليها الاقباط الارثوذكس يتبارى فيها الوعاظ من مختلف الجهات

دور الوعاظ المتجولين — علاوة على الوعاظ الذين يتجولون في المنازل لاصطياد الاقباط تنتدب الارسالية مشاهير الوعاظ الامريكان لالقاء خطب دينية في الاخلاق باللغة الانكليزية تترجم للغة العربية يدعى اليها الشبان بما فيهم الاقباط وفي نهاية الخطب توزع احياناً اوراق مطبوعة يمضيها من يريد من الشبان بالتعهد بالسير باستقامة ويأخذ الواعظ هذه الاوراق . والذي نفهمه ان التعهدات الكتابية لازمة للمعاملات المدنية ولم نسمع ان الرابطة بين الخالق والمخلوق تكون بعقد كتابي

ومعلوم ان تلك الرابطة رابطة روحية متوقفة على نقاء القلب

وقوة الارادة فاذا ضعفت الارادة ومال الانسان الى الشر لا يثنيه عن ذلك عهد ولا كتابة بل لا يلبث ان ينسى الكتابة وينسى الواعظ الذي ربما لا يراه طول العمر ومن المحتمل ان يكون غرض الواعظ حفظ هذه الاوراق ليعرف منها مبلغ قوة تأثيره في سامعيه او يسلمها لارساليته (إن كان تابعاً لارسالية) للدلالة على عدد الذين تم تجديدهم على يديه

وبعض هؤلاء الوعاظ يطلب من الشبان مقابلة خاصة ليعترفوا على انفراد بخطاياهم السرية ويشير عليهم في النهاية بالتردد على الكنيسة الانجيلية لسماع كلمة الله . ومهما كان غرض الارسالية الاصلي من هذه الخطب التي هي من وسائل جذب الشبان للكنيسة المشيخية ومهما كانت نيات بعض هؤلاء الوعاظ الذين هم بروتستانت قبل كل شيء فلا نزاع في فائدة مثل هذه الخطب والمحاضرات والكنيسة القبطية ترحب بها ولكنها بصفتها اقدم وامجد كنيسة في الشرق واكبر كنيسة في مصر تضم معظم مسيحي القطر المصري والسوداني وكل مسيحي الحبشة ولها ذاتية ممتازة معترف بها من الجميع والحكومات الرسمية يحسن بالواعظ الغريب الذي يريد وعظ شبانها الاقباط ان يكون لمحض فائدتهم بغير غرض آخر وان يتبع التقاليد المرعية وما يقضي به واجب المجاملة فيستأذن منها ويعمل الوعظ في اماكنها وتحت

رعايتها ليوجد بذلك حسن التفاهم وتكون الفائدة اعم

دور جمعيات الشبان المسيحيين — تنشىء الارسالية المشيخية اماكن فسيحة بغرف منظمة لاجل الشبان من مختلفى المذاهب وتجهز هذه الاماكن بالاثاثات الجميلة والكتب والمجلات الدينية والادبية ليصرف الشبان اوقات فراغهم في المطالعة والالعاب الرياضية او المحادثات الادبية عوضا عن تضييع الوقت فى الملاهى ومالا يفيد وتنتدب لهم من وقت لآخر مشاهير الوعاظ والخطباء والاطباء لالقاء المحاضرات الدينية والادبية لدرء الاخطار والتجارب المعرض لها الشبان واحياناً تنظم الارسالية حفلات تلقى فيها القصائد والنكات الادبية مع بعض الالعاب والعزف على البيانو وتوزع فيها الحلوى كما وانها ترتب سياحات قصيرة في الضواحي وسط الهواء الطلق اوالسكن اسبوعاً في الخيام ولايخفى مافي ذلك من الفوائد الجسدية والعقلية – والكنيسة القبطية لاترى مانعاً من هذه الجمعيات مادام يكون الغرض منها قاصراً على الرياضة لا التسيطر على العقول وسحرها ولا لتكون حبائل تقتنص الارساليات بها الناشئة وتنشب بها ارجلهم فاذا كانت خالية من الغرض فتكون اعظم اداة لايجاد روح المحبة والوفاق والتسامح والاحترام المتبادل بين ابناء الكنائس المختلفة وأصلاح ما افسده التعصب والنزعات والتهكمات والمطاعن المذهبية التي

كانت سبباً في تعطيل عمل الانجيل وبالتالي تعد هذه الجمعيات الاساس للتقريب بين الكنائس وتوحيدها اذا جمعت من مختلفي دعاة المذاهب وكان قصدهم مجد الله . ومن حيث ان اكثرية الشبان هم من الاقباط الارثوذكس وقصد الارسالية كما تقول فائدة الشبان الروحية والادبية والجسدية فيكون من المناسب واللائق ان يكون للكنيسة القبطية نصيب مع الكنيسة المشيخية في ادارة هذه الجمعيات وان يكون لها مراقبة دينية على ابنائها حتى اذا استمروا ثابتين في كنيستهم متمسكين بتعاليمها السامية امكنهم ان يكونوا اعضاء اقوياء عاملين في المسيحية العامة

دور باقي المدارس الامريكية والجامعة الامريكية — للامريكان بعض المدارس في بعض جهات القطر خلاف كلية المدارس الوطنية الانجيلية منها كلية البنات بالعباسية بمصر وكلية جديدة للبنات شرع في انشائها باسيوط وهذه المدارس ولو انها علمية غير ان غرضها متجه لنشر المذهب الانجيلي وبثه بين الشبان والشابات وقد انشأت الارسالية الامريكية في العهد الاخير الجامعة الامريكية بمصر وهي تؤهل للشهادات الاميرية باسلوب رائق وعلمت انها متبعة في الدروس الدينية نظام جامعة بيروت الامريكية التي لا تتعرض للمذاهب بل تكتفي ببث روح الدين والتعبد لله ومطالعة الكتاب المقدس والتحلي بالفضائل فان كان الامر كذلك فتكون الارسالية

خطت خطوات واسعة في الطريق السوي الذى كان يجب ان تتبعه الارساليات من البدء

دور المستشفى — انشأت الارسالية الشيخية مستشفى خيرياً باسيوط لخدمة المرسلين وخدمة الانسانية اجمع. وفرع من هذه الاسبتالية مخصص للولادة تلد فيه عادة السيدات القبطيات الغنيات ويقوم بالعلاج والخدمة طبيبات وممرضات واطباء من المرسلين والوطنيين. وبدون شك للعمل الدينى تأثير على المرضى لا يستخف به. ويعد المستشفى وسيلة من وسائل نشر الدعوة المذهبية

دور الملاجيء — تنشأ الملاجىء لتربية الاطفال الايتام مجاناً وتعليمهم الى ان يبلغوا من السن ثماني عشر سنة ولا يسمح بخروج الطفل من الملجأ قبل هذه المدة الا اذا دفع ما صرفته عليه ادارة الملجأ من النفقات. وغرض الملجأ من بقاء الطفل كل هذه المدة الاستعانه بخدمته عند ما يكبر قليلاً ليساعد في تربية الاطفال امثاله الذين يستخدمون اثناء هذه المدة ومن جهة ثانية ليخرج الطفل متعلماً صناعة تمكنه من التعيش. والغرض شريف والخدمة انسانية تستحق الشكر ولكن الطفل مقابل هذه التربية يدفع ثمناً غالياً — وهو تركه عقيدته وقطعه العلاقة مع كنيسته القبطية

دور ادارة الارسالية — قلنا في مقدمة هذا الفصل ان للارسالية هيئة مفكرة مدبرة ترسم الخطط وتوزع العمل وقد رأينا بالتفصيل اعمال الوحدات المختلفة للارسالية الامريكية والنظام البديع المحكم الذي تسير عليه كل وحدة — والرابطة التي بين هذه الوحدات وكيف ان هذه الوحدات حلقات متماسكة بعضها ذو اثر مباشر وبعضها غير مباشر ولكنها ترمي الى غرض واحد هو نشر المذهب البروتستانتي بين اقباط مصر وتلك الهيئة المفكرة هي ادارة الارسالية ومركزها مصر وعيونها المرسلون في مختلف جهات القطر كل منهم في المنطقة المعينة له وفي نهاية السنة تكتب هذه الهيئة تقريراً ضافيا تبعث به للادارة العليا بأمريكا التي تمد الارسالية بالمال. تذكر في التقرير عدد الكنائس الانجيلية والمدارس والمرسلين والمرسلات والقسوس والمبشرين والمعلمين والمعلمات والاطباء والطبيبات والتلاميذ والتلميذات واعضاء الكنيسة رجالا ونساء والمؤمنين الذين انضموا « لحظيرة الرب » في بحر السنة وما تم من الاعمال وهذا التقرير تتوكأ عليه الادارة العليا في امريكا في جمع الاموال اللازمة للارسالية من اهل البر والخير واغلبية هؤلاء لا يعرفون شيئاً عن الاقباط ويعتقدون ان المهتدين هم من امم افريقيا التي لا تعرف الرب ولا تدين بدين المسيح (ولا يدرون أنهم مرقس وبطرس وبولس وجرجس)

فيدفعون بسخاء عند ما يرون النجاح الهائل السنوى والزيادة المطردة فى عدد الذين اهتدوا بنور الانجيل وانضموا (لحظيرة الرب) بواسطة كرازة المرسلين .

وقد جاهر بهذه الحقيقة المستر بولاس رئيس احدى الجامعات المشهورة في امريكا وأحد اقطاب الارسالية فى امريكا فى خطبة القاها في الكنيسة القبطية بالاقصر منذ سنتين اذ كان هو نفسه من هذا الرأي ولكنه ذهل عند ما سمع الانجيل يقرأ فى الكنيسة القبطية ويفسر والمواعظ تلقى. وعند ما رأى روح العبادة المسيحية الحقيقية والخشوع متجلياً في الكنيسة القبطية انحى باللائمة على الاقباط الذين يتركون كنيستهم المسيحية ويسعون وراء كنيسة اخرى وقال شيئاً كثيراً ولا يزال صدى خطبته يرن في اذان الذين سمعوها الى الآن بل ألم ينتقد المرحوم المستر روزفلت أحد رؤساء جمهورية امريكا المرسلين فى تحويلهم الاقباط من مسيحيين الى مسيحيين ومثل ذلك بمن ينقل منديله من الجيب الواحد الى الجيب الآخر . فليتعظ الاقباط بذلك ويفكروا ويرجعوا الى صوابهم

الى هنا ننتهى من دور عمال الارسالية الامريكية بمصر اما باقى الارساليات الدينية من بروتستانتية وكاتوليكية فاعمالها مثل

اعمال الارسالية الامريكية مع بعض الفوارق الناتجة عن اختلاف اللغة والمشرب والطباع والعادات والآداب باختلاف الامم التي تنتمى اليها تلك الارساليات . ويحق للامم الغربية ان تشجع هذه الارساليات فى بلاد الشرق لانه وان كانت الفكرة الاصلية نشر الدين او المذهب الا ان الارساليات اداة عظيمة لنشر لغات وآداب تلك الامم ويعقب ذلك النفوذ الادبي والسياسي والاقتصادى والتجارى فالاستعمار ان كانت الامة من دول الاستعمار. ولا ننكر فضل هذه الارساليات والاعمال النافعة التي ادتها للاقباط وقد نوهت عن بعضها فى خلال سطور هذه المقالة وساطري الارساليات واطرى المرسلين في مقال يلى ولكن اذا اعترفنا بالفوائد فهناك مضار بجانبها لا يصح اغفالها تظهر عند المقارنة .

والمتتبع المنصف للطرق التى تسير فيها الارساليات والمبشرين الوطنيين فى ابعاد الاقباط عن كنيستهم يصل الى النتيجة الآتية وهي ان كل الاقباط تقريباً الذين يضمون للكنائس الاخرى وهم اولاد وبنات يضطرون بحكم الضرورة الى الوجود في مدارس المرسلين لغرض التعليم فيلقنونهم مبادىء المذهب الجديد مع التعليم . ونساء اميات او شبه اميات او سيدات او رجال فان المعلومات الدينية فيهم سطحية يحولون عن عقيدتهم بطرق صناعية ومؤثرات

خارجية ممزوجة بآيات من الكتاب ويندر جداً ان يحولوا قبطياً متمكناً من عقيدته ومتعمقاً فيها . وان قال لك احد ان هذا التغيير المذهبى يتم بفعل الروح القدس فلا تصدقه لان انشقاق الكنائس ليس من الله وفعل الروح القدس فى النفس يتم فى الحال وليس فى حاجة الى طرق بشرية تحتاج الى مجهودات اشهر وسنين ولا يمكن ان يسلم عقل عاقل ان الاقباط والمائتى مليون ارثوذكسياً الموجودين في العالم وجميع الاجيال السابقة بعيدون عن الروح القدس ولا يحل فيهم وفى كنائسهم وان كان تغيير القبطي من ارثوذكسي الى انجيلى مثلاً يتم بنعمة الروح القدس فهل تغييره من انجيلى الى بلموثى ومن بلموثى الى اصلاحي ومن اصلاحي الى سبتي الى تقديسي الخ يتم بالروح القدس ايضاً فى كل مرة ؟ تعقلوا ايها الاقباط ولا تكونوا اطفالاً « محمولين بكل ريح تعليم »

(ماهي الاسباب التي تنتحلها الارساليات

لهدم الكنيسة القبطية وهل من صواب فيها؟)

علمنا مما كتبناه في الفصول السابقة بوجود خطط مدبرة ترمي الى هدم الكنيسة القبطية وعرفنا الوسائل التي تتخذ لتنفيذ هذه الخطط واول سؤال يتبادر الى الذهن هوما هو الداعي لهدم الكنيسة القبطية ؟

اننا اذا التمسنا عذراً للكنيسة الكاثوليكية للزعم المتسلط عليها بأن البابا بيده مفاتيح ملكوت السموات وبغيره وغير كنيسته لا يمكن الوصول للسماء فماهو عذر الكنيسة البروتستانتية وتحويل القبطي من مسيحي ارثوذكسي الى مسيحى بروتستانتى؟ والكنيسة البروتستانتية تعترف ان لله مختارين فى كل كنيسة[1]

(١) حسب البند الرابع من كتاب سياسة الكنيسة الذى طبع بأمر سنودس النيل سنة ١٩١٣ الذي يقول (وحدة الكنيسة المنظورة ان الوحدة المنظورة للكنيسة المسيحية ولو انها غير واضحة ولكنها ليست معدومة بسبب انقسامها الى طوائف ومذاهب متعددة لان جميع هذه الطوائف أو المذاهب المختلفة متى

وان كل امة تعمل البر مقبولة عند الله بل اكثر من ذلك تعتقد
ان من ابناء الوثنيين من يعاين ملكوت السموات

الكنيسة المشيخية لم تفصح عن رأيها تماماً ولا بد ان يكون
هناك سبب خطير حملها على بذل المال والوقت الثمين والمجهودات

كانت محافظة على اوامر وشرائع المسيح وفرائضه الجوهرية تعتبر
جميعها فروعاً حقيقية للكنيسة العمومية) والكنيسة العمومية هي
الوارد تعريفها في البند الاول الذي يقول (الكنيسة الغير المنظورة .
تشتمل الكنيسة الجامعة العمومية على جميع من اختارهم الله
للخلاص واقتداهم بالرب يسوع)وقال البند الخامس (ملك المسيح
ان الكنيسة المنظورة التي هي واحدة وغير متغيرة في كل الاجيال
قد انشأها الرب يسوع المسيح ونظمها وابقاها وهي في كل الدهور
مديونة وخاضعة له بصفته رأسها الحي وملكها صاحب السيادة
والسلطان عليها الذي له وحده حق سياستها وتعليمها والذي
يظهر سلطته ويجرى احكامه بواسطة خدامها وموظفيها الذين
يقيمهم هو عليها) وقال البند الثامن (حضوره الدائم في الكنيسة
بالروح القدس . ان الرب يسوع المسيح منذ صعوده ما كث
في كنيسته بالروح القدس المرسل منه الذي به يجري قوته المخلصة
وسلطته الضابطة بكلمته تعالى وبممارسة احكامه وفرائضه) قابل
ما في هذه البنود وحسن اعتقاد كاتبيها بمسيحية الاقباط
الارثوذكس على تصرفاتهم معهم فتجدها مناقضة لبعضها

العظيمة فى تبشير الاقباط المسيحيين باسم المسيح وهناك مئات الملايين من الوثنيين مثلاً احق بهذا التبشير ولكي نصل الى معرفة السبب يجب ان نفترض عدة حالات عسى ان نهتدى منها الى الحل فلا يخلو الحال من احد امور ستة وهي

(١) اما ان يكون الغرض توحيد المذاهب

(٢) اما ان تكون الكنيسة القبطية ليست كنيسة مسيحية توصل للخلاص

(٣) اما ان يكون الجهل والفساد دبا فى الكنيسة القبطية واصبح من المستحيل برؤها منهما

(٤) اما ان يكون الاقباط اجهل وشر خلق الله ولا يمكن تعليمهم واصلاحهم الا بضمهم الى الكنيسة الانجيلية

(٥) اما ان يكون الغرض انشاء كنيسة مشيخية مصرية من بعض الاقباط تستعين بها الارسالية الامريكية للتبشير بين شعوب اخرى

(٦) اما ان يكون الغرض نشر المذهب البروتستانتي بدافع النعرة المذهبية فعن الامر الاول أى توحيد المذاهب . لا نظن ان ذلك ميسور بل هو المحال بعينه وعندك المذهب البروتستانتي نفسه منشق على ذاته ولا عد ولا حصر للمذاهب المتفرعة والتي تتفرع عنه كل يوم ولا يمكن التوفيق بينها

الى ابد الدهر . انظر كيف تتعب الكنيسة الانجيلية فى مصر وتكد فى أخراج القبطي عن ارثوذكسيته وضمه اليها ولكن لا يلبث ات يخطفه منها الاخوة البلموث او المذهب الاصلاحي او المذهب التقديسي او السبتي الخ . ومن ادرانا انه لو جاءت الى مصر المذاهب البروتستانتية الى لا تعترف بلاهوت المسيح لا ينضم اليها ذلك الشخص المتقلب ففكرة توحيد المذاهب فكرة اقرب للخيال منها للحقيقة

وعلى ذكر توحيد المذاهب نقول ان هناك مسعى من جانب الكنيسة الاسقفية الانكليزية يرمى الى اتحادالكنائس بحيث تحتفظ كل كنيسة باستقلالها مع مراعاة مبدأ الاحترام المتبادل وقد سعت فيه ومهدت له من قبل الكنيسة الارثوذكسية اليونانية وانشأت اخيراً لجنة في مصر لهذا الغرض انضمت اليها الكنائس المصرية عدا الكنيسة البابوية كما ان المخابرات جارية بين الفاتيكان وسيادة مطران كنتربري. والكنيسة القبطية بما اشتهر عنها من التسامح الديني ترحب بكل فكرة تقرب الكنائس بعضهامن بعض ولكن الصعوبة في مصر لابد ان تأتي من جانب الكنائس المتوقف كيانها على هدم الكنيسة القبطية فهل يعمل اعضاء الجنة المنتدبين عن تلك الكنائس باخلاص ؟ الله اعلم ولكننا على كل حال نتفاءل خيراً ونسأل الله ان يصلح القلوب . ان كان الاختيار

علمكم ان قوة المسيحية ضعفت بسبب انشقاق الكنائس وتريدون توحيد الكنائس في مصر فلا يمكن ان يتحقق هذا الغرض وانتم تعملون في الجهر والخفاء على هدم الكنيسة القبطية وبناء كنائسكم على انقاضها فنقوا قلوبكم اولا وانبذوا عنكم فكرة هدم الكنيسة القبطية ودعوها تلم شعثها وسيروا على قاعدة الرقابة خير من الهدم فتهون مأموريتكم ويسهل الوصول الى التوحيد المنشود

وعن الامر الثاني وهو عدم اعتبار الكنيسة القبطية كنيسة مسيحية توصل للخلاص فلا يقول به الا متعصب غبي اعماه الضلال وملأ قلبه الشيطان فالكنيسة القبطية كما رأينا تؤمن بالله الواحد مثلث الاقانيم وبالفداء والصلب ورجاء القيامة وبصحة الكتاب المقدس وبأمره بمحبة الله ومحبة الناس. وشخص يسوع يمثل أمام عينيها صلواتها الانفرادية والاجتماعية وتعاليمها ونظاماتها وطقوسها وكل شؤونها الداخلية والخارجية فهي كنيسة انجيلية بكل معنى الكلمة حطمت اوثان مصر والنوبة والحبشة وكانت ولاتزال شمساً في في عالم المسيحية فان كانت الكنيسة القبطية في نظر الاعمى اومن بعينيه رمد غير مسيحية فكذلك تكون مثيلاتها باقي الكنائس الارثوذكسية في بلاد اليونان والمسكوب ويوغوسلافيا وكرانيا وبلغاريا ورومانيا وسوريا وانطاكية واليابان والصين والهند وأمريكا وغيرها. وان كانت تلك الكنائس وهى وسط بين المذهب

البروتستانتي غير مسيحية فبدون شك تكون الكنائس الكاثوليكية في أوربا وامريكا الجنوبية وآسيا وباقي العالم غير مسيحية ايضاً وحينئذ تكون كل الامم المسيحية تقريباً في احتياج الى ان يبشرهم البروتستانت باسم المسيح اسوة بالوثنيين وتكون كرازة المسيح ورسله وخدامه مدة عشرين قرناً تقريباً كرازة باطلة فهل تسلم الكنيسة المشيخية بهذه النتيجة ؟ ولكنها لا تسلم كما مر بك في الحاشية

وعن الامر الثالث وهو ان يكون الجهل والفساد دبا في الكنيسة القبطية واصبح من المستحيل برؤها منهما فهذا قول لا يقام له وزن لان الكنيسة القبطية كنيسة جامعة رسولية مقدسة مؤسسة على الرسل والانبياء والمسيح نفسه حجر الزاوية (اف ٢ : ٢٠) وقد قال المسيح له المجد « وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها » (مت ١٦ : ١٨)

فلا يمكن نسبة الجهل والفساد الى كنيسة الله وما فصلت الكنيسة عن عريسها المسيح لان السماء والارض تزولان ولا يمكن ان تزول كلمة او حرف واحد من كلمات الله — ومن اراد ان يرى الحياة والقوة في الكنيسة القبطية فليذهب الى أحد معابدها بروح التقوى الخالي عن التعصب فيشعر بالعبادة الخشوعية الحقة ويجد وجلال الله الحال فيها وينطق فوراً « حقاً ان الرب في هذا

المكان ... وما ارهب هذ المكان ... وما هذا الا باب الله وهذا باب السماء (تك ٢٨ : ١٦ و١٧)

وعن الامر الرابع — وهو ان يكون الاقباط اجهل وشر خلق الله ولا يمكن تعليمهم واصلاحهم الا بواسطة ضمهم للكنيسة البروتستانتية فلا نظن ان تصل الحماقة بالمتعصب الى هذا الحد فيزعم هذا الزعم الفاسد . نعم ان الجهل كان مخيماً بدرجة ما على ابناء الكنيسة القبطية في اوائل القرن التاسع عشر خصوصاً بالنسبة للاكليروس ولكن كان جهلهم محتملاً بسبب تقواهم وحسن تعبدهم ثم ان هذا الجهل كان طارئاً تسبب عن ظروف اضطرارية وبمجرد ان زالت تلك الظروف بدأ الاقباط من انفسهم فى محاربة ذلك الداء ولكن الارساليات لم تمهلهم بل اخذت تحارب الكنيسة القبطية ومزقت وحدتها وقسمت الاقباط فرقاً فرقاً وغيرت قلوب كثيرين منهم على كنيستهم وصيرتهم اعداء ألداء لها واخرت الاصلاح خطوات الى الوراء .

ولا يخفى ان محاربة الجهل تكون بالتعليم ولو كانت هذه الارساليات تريد خيراً بالكنيسة القبطية لكانت سلكت طريقاً اخر غير طريق الهدم فالكنيسة القبطية عندها السراج المنير وهو الكتاب المقدس وعندها المؤلفات الدينية التي تركها أئمة الكنيسة الاعلام ولا تزال مشكاة يهتدى بنورها علماء اللاهوت في كل زمان ومكان ولديها مؤلفات باقي الكنائس الاخرى وتحصيل العلم ميسور لكل من

انكب على الدرس فكل من سار على الدرب وصل لافرق بين كاثوليكي وأرثوذكسي او بروتستانتي ولا تخلو كنيسة من العلماء بل اذا قارنت الان ائمة الدين في الكنيسة الكاثوليكية مثلاً بائمة الدين لدى البروتستانت لوجدت الاولين بوجه الجملة اقدر في المعرفة والعلم من الاخرين

واذا قلنا بوجود الجهل عند الاقباط فلا نقصد الجهل المطلق وانما الجهل النسبي لانك حتى في اشد حالات التأخر عند الاقباط ترى المعلومات الدينية الضرورية للخلاص متوافرة لديهم فكل ابناء الكنيسة كانوا يحفظون قانون الايمان والصلاة الربانية وكل اوبعض المزامير والطلبات ويعرفون الوصايا المتعلقة بمحبة الله ومحبة الناس ويواظبون على الحضور في الكنائس ومع ان الصلاة الاجتماعية كانت جميعها باللغة القبطية الا انهم كانوا يسمعون الاناجيل والرسائل واعمال الرسل والنبوات والمواعظ والخطب والتفاسير باللغة العربية بحيث لاتمر السنة الا وكل كتب العهد الجديد ونبوات العهد القديم التي عن المسيح تكون قرئت بتمامها . وفوق ذلك كان تاريخ المسيح والاعمال المهمة التي عملها في حياته على الارض تمثل سنوياً أمام عيونهم بطريقة ظاهرة بالاحتفال بها في الاعياد والمواسم علاوة على تصوير هذه الحوادث على لوحات تعلق فوق جدران الكنائس فيجتلي المعنى باجلى

وضوح للمتعلم والامي على السواء . ورشم الصليب على الوجه والصدر ما هو الا عبارة عن مختصر قانون الايمان لمن لا يعرف اويحفظ ذلك القانون وبالاجمال كانت تعاليم وآيات الانجيل مطبوعة على قلوبهم متغلغلة في دمهم ممتزجة باعمالهم بارزة في احتفالاتهم متمشية في حركاتهم وسكناتهم . وان قسنا المعلومات الدينية التي لدى الاقباط بمعلومات غيرهم من أمم الشرق والغرب نجد أن الاقباط يمتازون في المعرفة عن كثيرين من ابناء تلك الامم المتمدينة التي تأتي لتعليم الاقباط

على ان العبرة في الدين ليست بكثرة المعرفة ولكن المقياس هو الايمان وما هو الايمان ؟ هو الثقة بما يرجى والايقان بامور لا ترى (عب ١١ : ١) الايمان هو التصديق بالحقائق الالهية غير المدركة وهذا التصديق لايحتاج الى كثرة المعرفة وانما هو نور داخلي يهبه الله لمن يختاره بنعمة الروح القدس . الايمان عطية صالحة من عند الله لا تتوقف على درس اوبحث

أننا اذا فتشنا قديسى العهد القديم والعهد الجديد نجد ان كلهم تقريباً كانوا في غاية البساطة لم يمتازوا بعلم واسع اومعرفة وانما الصفة الوحيدة المميزة هى قوة ايمانهم فابرهيم واسحق ويعقوب ومريم العذراء واليصابات ومريم المجدلية ومرتا واختها مريم ما كانوا متضلعين في العلوم اللاهوتية والشريعة . والاطفال الذين قال عنهم

المسيح « دعوا الاولاد يأتون اليّ ولا تمنعوهم لان لمثل هؤلاء ملكوت السموات » وملائكتهم يرون وجه ابي في كل حين » لا يعرفون شيئاً بالمرة في الدين. وحملات المسيح الشديدة وهو على الارض ما كانت موجهة بالاكثر الا لرجال الدين والناموس أي الكتبة والفريسيين. والديانة المسيحية لم تنتشر على أيدي علماء ولا « بسمو الكلام او الحكمة » وانما « بجهالة الكرازة » « يسوع المسيح واياه مصلوبا » . ووعظة واحدة من عظات بطرس العامي نخست قلوب نحو ثلاثة الاف نفس دفعة واحدة فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا واصبحوا بالمعرفة الدينية البسيطة المكتسبة عن تلك العظة الواحدة في عداد المؤمنين اسوة باعظم المتعلمين

وقد قال السيد المسيح ان ابناء هذا الجيل احكم من ابناء النور في جيلهم وقال ليس كل من يقول يارب يارب يدخل ملكوت السموات.

وقال الرسول العلم ينفخ ولكن المحبة تبني فان كان أحد يظن انه يعرف شيئاً فانه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب ان يعرف (١ كو ٨ : ١ و ٢)

وقال لان فخرنا هو هذا شهادة ضميرنا اننا في بساطة واخلاص الله لا في حكمة جسدية بل في نعمة الله تصرفنا في العالم (٢ كو ١ : ١٢) الى غير ذلك من الآيات الكتابية العديدة

وا كبر غلطة ارتكبها المرسلون في مصر اعتقادهم انه بكثرة المعرفة تزداد التقوى والفضيلة والتقرب لله فجعلوا همهم هم واتباعهم محصوراً بالاكثر في نشر العلم الديني والجدل والمباحثات المذهبية التي لا معنى لها ولا تتعلق بامور الخلاص حسب نظرهم هم انفسهم ولم يدروا انهم بعملهم هذا قد زعزعوا العقائد من أسسها واوجدوا الشكوك والعثرات وانتشرت الفوضى الدينية وكثر المعلمون والمفسرون المختلفون كل حسبما يوحى اليه عقله . وليت الواحد منهم يقنع بالتفسير الذي يرتئيه لنفسه ولكنه لا يهنأ له بال الا اذا بشر به غيره بكل طرق الدعوة كأن تفسيره وحي منزل . وكانت النتيجة ان هدم الايمان عند الكثيرين وأصبحوا بلا عقيدة وما أسهل الهدم واصعب البناء . قال موسهيم في تاريخه الشهير صحيفة ٥٧٧ (ان الكنيسة التي ترغب في ان تسمى المصلحة او الكنيسة الانجيلية المصلحة وكان يسميها مقاوموها الكنيسة الزونكلية او الكلفينية المصلحة تكاد تختلف عن جميع من سواها لان جميع الكنائس الاخرى ترتبط بنظام واحد من التعاليم والتهذيب وليست كذلك الكنائس المصلحة فانها لا تعتقد اعتقاداً واحداً لان عندها قوانين ايمان مختلفة عن بعضها كثيراً ولا تمارس طرقاً وطقوساً واحدة للعبادة ولم تكن في كل مكان على ترتيب واحد وسياسة واحدة ومن المعلوم لا تطلب هذه الكنيسة من قسوسها ان يعتقدوا ويعلموا

شيئاً واحداً بل تسمح بأن يختلف في شرح وتفسير قضايا تعليمية كثيرة ليست بقليلة الاهمية)

فاتق الله ايها الاخ الذى تدعي المعرفة واترك عباد الله المؤمنين وشأنهم ولا تكن حجر عثرة في سبيلهم فلست دياناً لهم ولا مسؤولاً عنهم ولا تفتخر بكثرة معرفة آيات الكتاب ولا بقوة الجدل ولا تتباه بنجاحك في تشكيك البسطاء فالشيطان يعرف الكتاب المقدس اكثر من أى انسان وكل آياته محفوظة عن ظهر قلبه واقدر في البحث والجدل من أى مجادل فقد قسم ويقسم الكنيسة بآيات الكتاب ويعثر الضعفاء بآيات الكتاب ويوجد الشكوك بآيات الكتاب

واسمع الويلات التي تنتظر من يسعى في تشكيك الغير

قال السيد المسيح لتلاميذه (لا يمكن الا ان تأتي العثرات ولكن ويل للذي تأتي بواسطته خير له لوطوق عنقه بحجر رحى وطرح في البحر من ان يعثر هؤلاء الصغار (لو ١٧: ١ و ٢)

وقال يعقوب الرسول (لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتي عالمين اننا نأخذ دينونة اعظم لاننا في اشياء كثيرة نعثر جميعنا (يع ٣ : ١)

وقال بولس الرسول (واطلب اليكم أيها الاخوة ان تلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافاً للتعليم الذي تعلمتوه

واعرضوا عنهم ..... وبالكلام الطيب والاقوال الحسنة يخدعون قلوب السلماء (رو ١٦ : ١٧ و١٨)

وقال لا يزدر من يأكل بمن لا يأكل ولا يدن من لا يأكل من يأكل لان الله قبله من انت الذي تدين عبد غيرك . هو لمولاه يثبت أو يسقط ولكنه سيثبت لان الله قادر ان يثبته . واحد يعتبر يوماً دون يوم وآخر يعتبر كل يوم ..... وأما أنت فلماذا تدين اخاك أو انت ايضاً لماذا تزدري باخيك لاننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح ..... فاذاً كل واحد منا سيعطي عن نفسه حساباً لله فلا يحاكم ايضاً بعضنا بعضاً بل بالحرى احكموا بهذا ان لا يوضع للاخ مصدمة او معثرة ... فلنعكف اذاً على ماهو للسلام وماهو للبنيان بعضنا بعضاً (رو ١٤ : ٣ — ٢٢)

وقال (فيهلك بسبب علمك الاخ الضعيف الذي مات المسيح من أجله وهكذا اذ تخطئون الى الاخوة وتجرحون ضميرهم الضعيف تخطئون الى المسيح لذلك ان كان طعام يعثر اخي فلن آكل لحماً الى الابد لئلا اعثر اخي (١ كو ١٨ : ١١ — ١٣)

وقال (المباحثات الغبية والسخيفة اجتنبها عالماً انها تولد الخصومات وعبد الرب لا يجب ان يخاصم بل يكون مترفقاً للجميع صالحاً للتعليم ؛ (٢ تي ٢ : ٢٣ و٢٤)

وقال (واما المباحثات الغبية والانساب والخصومات والمنازعات

الناموسية فاجتنبها لانها غير نافعة وباطلة (تي ٣ : ٩)

وقال (فكر بهذه الامور مناشداً قدام الرب ان لا يتماحكوا بالكلام . الامر غير النافع لشيء لهدم غير السامعين (٢ تي ٢: ١٤) وقال مثل ذلك (في ١ تي ٦ : ٤)

وقال يعقوب الرسول (من هو حكيم وعالم بينكم فلير اعماله بالتصرف الحسن في وداعة الحكمة ولكن ان كان لكم غيرة مرة وتحزب في قلوبكم فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق.....ليست هذه الحكمة نازلة من فوق بل هي ارضية نفسانية شيطانية لان حيث الغيرة والتحزب هناك التشويش وكل أمر رديء وأما الحكمة التي من فوق فهي اولاً طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوءة رحمة واثماراً صالحة عديمة الريب والرياء وثمر البر يزرع في السلام من الذين يفعلون السلام (يع ٣ : ١٣ — ١٨)

فعسى ان يرق قلبك « يا أيها الرجل المعلم غيره » بعد سماعك هذه الآيات وترحم اخوانك البسطاء الذين مات المسيح لاجلهم فلا تعثرهم

ومن جهة اخلاق الاقباط فلا ننكر ان بالاقباط عيوباً نتيجة الضغط والاستبداد في العصور السابقة وهذه العيوب عامة يكاد يشترك فيها جميع المصريين على اختلاف اديانهم ومذاهبهم بل ارني امة اوشعباً خالياً من العيوب ولا يمكن بحال من الاحوال

نسبة هذه العيوب لنقص في الدين او الـكنيسة. على اننا اذا قارنا حالة الاقباط الدينية في زمن الجهل والتأخر لوجدناها أفضل بمراحل من حالتهم الآن في عصر العلم والنور

فقد كانوا اكثر تعبداً يصلون نهاراً ومساء وليـلاً وفجراً ويصومون معظم أيام السنة ويواظبون على العبـادة الجمهورية ويقدسون يوم الاحـد ولا يقدمون على الذهاب للـكنيسة وهم آكلون مفضلين غذاء الروح على غذاء الجسد وكانوا أقوى ايماناً بالله واكثر توكلاً عليه وتسليماً لامره ولا يخجلون من المجاهرة باسم المسيح فيسمون انفسهم باسماء مسيحية ويضعون علامة الصليب على اذرعتهم محتملين عار المسيح لـكي يكونوا دائماً على استعداد للمجاوبة بشجاعة عن سبب الرجاء الذي فيهم

وكانوا اكثر طاعة للكنيسة ورعاتها وكان الابناء اكثر احتراماً للآباء ومن هم اكبر منهم سناً وكانوا اكثر احساناً وتصدقاً لا عن فخر أو مراءاة او مجادلة لـكن لمحض حب الخير

وكانوا اكثر حبـاً للتعاون ومساعدة الضعيف فكان الاخ الغني يقتسم ثروته الطائلة مع اخيه الفقير بالتساوي وحظ الانثى في الميراث كحظ الذكر وكانوا يقرضون المحتاج سراً بغير فائدة او ربح ويحرمون الربا تحريماً باتاً وكانوا اكثر عفافاً يتزوج الشاب صغيراً وان مات الزوج تحافظ الزوجة على العهد للممات وترفض

بتاتاً الزواج بسواه بل كان ذلك يحصل كثيراً مع الازواج الذكورة عند موت زوجاتهم ولو كانوا في سن الشباب وما كان يعرف عندهم الطلاق

وكانوا اكثر زهداً ووقاراً يفضلون المعيشة البسيطة على عيشة الغرور والفخفخة ويمجون الرقص بكافة انواعه والخلاعة والتبرج ولا تجسر امرأة على الخروج من منزلها الا بلباس الحشمة والكمال وما كانت الكنائس معارض للازياء كما هي الان في معظم الكنائس المسيحية بل ما كانت تدخل امرأة بيت الله بأى حلى اذ كانت تعتقد انه يصير وقفاً للكنيسة

وهكذا من الفضائل الكثيرة التي لاتزال باقية آثارها للآن فحبذا ذلك الجهل وذلك الشر ! !

واخشى ان عملت المقارنة بين الاقباط الارثوذكس واقباط الكنيسة المصلحة الآن ان تكون النتيجة « أيها الطبيب اشف نفسك » « قبل أن ترفع القذى من عين اخيك، اقلع الخشبة من عينك »

وعن الامر الخامس وهو ان يكون الغرض انشاء كنيسة مشيخية مصرية من بعض الاقباط تستعين بها الارسالية الامريكية للتبشير بين شعوب اخرى فقد عرفنا ان الارسالية الامريكية جاءت الى مصر لتبشير غير المسيحيين من شعوب افريقيا فلما

رأت ان المهمة ليست بالامر الهين كما كانت تتصور عمدت الى العمل بين الاقباط المسيحيين. ويزعم فريق ان غرض الارسالية الاصلي مازال باقياً وفقط تريد تهيئة رجال تستعين بهم في نشر دعوتها . على انه عند تمحيص هذا الزعم نجدانه لا ينطبق على الواقع تماماً . نعم الارسالية تريد بث بشرى الخلاص لافي افريقيا فقط بل في العالم اجمع ولـكن فرقاً بين الرغبة وبين العمل فقد تطورت النية الاصليـة وتغيرت وأصبح الغرض الاساسي تحويل الاقباط من ارثوذكس الى بروتستانت اما الفكرة الاصلية التي انشئت من اجلها الارسالية فاصبحت غرضاً ثانوياً

لقد مضى على الارسالية الامريكية فيمصر اكثر من نصف قرن ورغماً عما بذلته هي وباقى الارساليات من المجهودات لم يدخل في الدين المسيحي الا افراد قلائل يعدون على الاصابع وظهر للارسالية بالدليـل المحسوس انه ان كان من السهل عليها جر الوفاً من الاقباط البسطاء بواسطة طرق التأثير المادية والمقدرة العقلية فلا يمكنها استخدام تلك الطرق بالنسبة لغير المسيحي المتمسك بدينه . اي برهان عقلي يثبت لاهوت المسيح وصلبه ؟ فالمسألة ليست قلة اشخاص عاملين كما يزعم ذلك الفريق لان العاملين كثيرون فالمرسلون الذين يعرفون اللغة العربية يعدون بالعشرات والمبشرون والقسوس والشيوخ والمعلمون

الوطنيون يعدون بالمئات وابناء الكنيسة المصلحة يعدون بالالوف والمكاتب مشحونة بالمؤلفات والردود . والمجلات منتشرة في كل مكان والحرية متوافرة ولا عائق مادى يعيق نشر الدعوة فلا بد من سبب لعدم النجاح والسبب مزدوج فالنية ليست خالصة لان النية موجهة نحو الاقباط ذلك المرعى السهل الخصيب والمتنصرين كمية مهملة ومن جهة ثانية ان دخول غير المسيحي فى الايمان لا يكون الا بفعل الروح القدس ولا يتفق وجود الروح القدس مع الطرق الصناعية الميكانيكية البشرية فلا يصح درء هذا الفشل ومسحه فى الاقباط

وهنا يخطر على الذهن هذا السؤال وهو هل يصلح الغرب للدعوة والقيادة الروحية العامة ؟ احيلوا نظركم فى قارة اوروبا جمعاء وقارة امريكا الآن وفي العصور الخالية من عهد ان استلم الغرب القيادة الدينية فماذا ترون ؟ ترون انساناً ينازع الله في مجده وسلطانه على الارض والسماء . ترون سلطة روحية مقترنة بسلطة عالمية زائلة حروباً صليبية لا معنى لها استمرت اجيالاً . قتلاً وتعذيباً للمخالف في الرأي . حروباً دموية بسبب النزعات المذهبية . سلطة دينية يسخر بها وتستعمل آلة بيد الملوك والقياصرة لقتل الحرية واستعباد الشعوب . معلمين يشوشون المبادىء الايمانية الروحية بالحكمة البشرية . مفسرين كثيرين للكتاب بمبادىء واراء متطرفة .

مذاهب لا اول لها ولا آخر . فوضى دينية لا مثيل لها. لاهوتيين يشكون في معجزات المسيح وآيات الكتاب . رؤساء دين متمكن منهم المذهب الدرويني يحاولون عبثاً التوفيق بينه وبين الكتاب المقدس . اساقفة يجتمعون ويقررون عدم فائدة الصلاة في شفاء الامراض الخ . وماذا كانت النتيجة العامة ؟ انتشار روح الغطرسة والكبرياء والظلم والاستبداد والقسوة الوحشية المتناهية والتعطش لسفك الدم والحروب والمباديء الفوضوية والبلشفية والشيوعية والاشتراكية والمطامع الاشعبية والتعطيل وعبادة المادة والمال والفساد والفجور والشكوك والكفر والالحاد واخشى ان اقول ان الارتداد اتى وسيأتي من الغرب

ولست اريد بقولي هذا ان اجرد الغرب من الفضائل او من رجال الله الاتقياء حاشا وكلا فللغرب افضال وحسنات على الانسانية لا تنكر ظهر منه ابطال خدموا الكنيسة اجل خدمة ولا يزال فيه قديسون يعملون لمجد الله ومد ملكوته ولكن كلامي عن القيادة الروحية من الوجهة العمومية . الشرق مهبط الدين الحق. منه ظهر جميع الانبياء والرسل وفي ربوعه نزل الوحي على السنة قوم شرقيين بتعابير واساليب وانظمة وعادات شرقية وقد تلقى الغرب الدين عن معلمين شرقيين ولكن مهما نبغ الغرب في الدين فلا يمكن ان يكون الفرع كالاصل فلا تزال

الروح الدينية متغلغلة فى دم الشرق بالميراث عن آبائه واجداده ممتزجة بعاداته وآدابه القومية الشرقية الموروثة من قديم الاجيال ومن عصور الانبياء والرسل . الشرقي روحي اكثر مما هو مادى والغربي عكسه فلا عجب ان نجح الاول في القيادة الروحية العامة وفشل الثاني . قارن مجد الـكنيسة فى الاعصر المسيحية الاولى وقت ان كانت القيادة بيد الشرق وقارن عيشة اولئك المبشرين التقشفية وعبادتهم وصلواتهم واصوامهم وطريقتهم البسيطة في نشر الدعوة المبنية على قوة الايمان قارنها بحال الـكنيسة الآن في عهد قيادة الغرب وراقب عيشة المبشرين الحالين وتنعمهم وطريقتهم فى نشر الدعوة المرتكزة على قوة المال والعلم والسياسة والحيلة العقلية وطرق التأثير والاساليب البشرية واحكم ايهما المثمر ؟ ولا يغرك العدد الذي تضمه الارساليات اليها فاغلبه مسيحي يحول الى مسيحى وليس فى هذا صعوبة تذكر لا سيما اذا كان التحويل بوسائل صناعية تدريجية ومؤثرات قوية على اطفال مدارس ونساء ورجال اميين او بسطاء فى المعرفة الدينية ومن السهل ان يعمل مثله رجال اي دين

اضف الى ما تقدم ان الغربى المصلح يأتى الى الشرق وفي يده الخير ولـكن وراءه جيوش من الشر والرذيلة آتية من

بلاده تتعقب خطواته اينما سار فتهدم البناء الصالح القديم والحديث وغالباً لا تبقى ولا تذر .

يقول فريق آخر ان الاقباط احوج الى التبشير من غير المسيحيين لانه فى كل سنة يخرج ثلثمائة منهم من الدين المسيحي وهذا زعم سخيف باطل ودعوى بلا دليل تقال لتبرير تضييع الاموال الطائلة فى تبشير قوم مسيحيين باسم المسيح . ومن الغريب ان هذا الرقم يذاع ويكرر من منذ خمس عشرة سنة كانه حقيقة ثابتة فأين هي الاحصائية الرسمية التي استقى منها هذا الرقم ؟ ومن أى مديرية هذا العدد ؟ وها مديرية قنا مثلاً فيها اكثرية عظمى من الاقباط تمضي السنون ولا نسمع بفرد واحد ترك دينه المسيحي . على انه بفرض صحة ذلك العدد المزعوم وبقائه في كل سنة بغير نقص فأين عمل الكنيسة المصلحة الناشبة اظفارها فى جسم الطائفة القبطية فى كل عضو منه ؟ وهلا يكون هذا الدليل عليها لا لها ؟ لان الاقباط قبل الارساليات كانوا اشد تمسكاً بدينهم واكثر طاعة لكنيستهم وقل من ترك دينه الا مكرهاً أفلا يكون التغيير نتيجة الفوضى الدينية المتسببة عن تعدد المذاهب وعدم حصر الرقابة الدينية ؟

ومع ذلك ألا يوجد اقباط انجيليون تركوا الدين المسيحي

يعرفهم الخاص والعام ؟ فهل اللوم في ذلك على الكنيسة القبطية ؟ وهل اللوم على الكنيسة القبطية فى ترك اللورد هادلي والمستر عبد الله بروان وعبد الله كوبليام والدكتور نولون والسر ارشبالد هاملتون وغيرهم الدين المسيحي ؟ وهل الاقباط هم الملومون في اعتناق الوف من الامريكان الشيعة البهائية التي يرأسها زعيم ديني فارسي مسلم ؟ وهل هم الملومون لان الوفاً الوفاً من مسيحى اوروبا وامريكا بما فيهم ابناء بعض المرسلين فى مصر لا يعترفون بكتب الوحي او بلاهوت المسيح او بوجود الله ؟ وهل وجود هؤلاء المنكرين للدين المسيحي يبرر هدم الكنائس التى كانوا يتبعونها او يوجب المسؤولية واللوم عليها ؟ فان كان لا فلم يحكم على الكنيسة القبطية ولا توجد كنيسة فى الوجود تباهي وتفاخر مثلها بالشهادة للمسيح وسط اتون النار ؟ بل من هو صاحب الفضل عليكم ايها الاقباط المتبجحون ناكرو الجميل الخارجون على كنيستكم القبطية ؟ ألستم مدينين لها بالايمان الذى تفاخرون به وماذا كان يكون مصيركم لولاها ؟ فاستغفروا الله ولا تقولوا على كنيستكم قولاً فرياً

وعن الامر السادس — وهو ان يكون الغرض نشر المذهب الانجيلى بداعى النعرة المذهبية . فلا نزاع فى ان الدافع

للمرسل لان يتحمل مشاق السفر والغربة ومفارقة الاهل والخلان وتعلم اللغة العربية الصعبة هو شدة حبه وتعلقه بمذهبه الذي يعتقد بسمو تعاليمه ويبشر به كوحي سماوى . ومع وجود آيات كثيرة فى الكتاب اختلف فيها المفسرون وتسبب عنها تعدد المذاهب نراه لشدة تمسكه بمذهبه وتمكن العقيدة من قلبه يكاد لا يفرق في المنزلة والاعتبار بين آيات الكتاب وبين التفسير الذي يتبعه فماذا تنتظر منه عند ما يرى تعاليم فى الكنيسة القبطية وباقي الكنائس الرسولية لاتتفق مع التفسير الذي تلقنه ؟

بدون شك يسخط على تلك التعاليم ويعتقد انها كفر وضلال مبين ويعمل كل ما في وسعه فى محاربة هذا الكفر والضلال! !

واذا كان هذا شأن المرسل المشهور عادة بضبط النفس وسعة الصدر فكيف يكون شأن القبطي البروتستانتى المندفع والمملوء ناراً وحماساً ؟ وكم وكم اذا كانت طبيعة المذهب جدلية تطعن وتتهكم وتتهجم على عقائد الغير؟ ولكي تتأكد قوة تأثير النعرة المذهبية على عقل البروتستانتي خذ مثلاً قبطياً انجيلياً ورده الى كنيسته القبطية ولاحظ مفعول هذا الحادث الخطير فى قلب قسيسه الانجيلي واعضاء كنيسته وباقى معارفه من الجهات الاخرى وانظر

كم من المساعي تبذل لرد ذلك الاخ او على الاقل لتشكيكه وقارن ذلك بالتسامح العظيم الذي يبديه الاقباط واكليروسهم الذين يرون بأعينهم الالوف يخطفون من احضان كنيستهم وهم صامتون ويخجلون من الاعتراض لئلا ينسب لهم المعتدون على كنيستهم التعصب ولذلك فان الآية انعكست. المعتدى عليه الذي يدافع عن عقيدته يعد متعصباً والمعتدى على عقيدة الغير لا يعرف التعصب بل هو عنوان التسامح الديني . ولكن هل قدر الانجيليون هذا التسامح حق قدره او عدوه ضعفاً فتمادوا في عملهم ولهم الحق في ذلك ؟

ومن رعى غنماً في أرض مأسدة. ونام عنها تولى رعيها الاسد

هذه هي كل الاسباب التي يمكن ان تنتحل لتبرير هدم الكنيسة القبطية والبعض يحتج بها جميعاً والبعض يحتج ببعضها ولكن لا تنس أن المحور الذي تدور عليه كل هذه الاسباب هو النعرة المذهبية وان انصفت فقل هي الكل فى الكل وعلة العلل

(كلمة)

(الى حضرات المرسلين الامريكان)

اننا نقـدر جود وسخاء وكرم اهل امريكا بسبب الاموال الطائلة التي يدفعونها سنوياً لغرض مد نور الانجيل لا في قطرنا المصري الذي هو ليس بحاجة لهذا النور. وانتم أيها المرسلون النزلاء كنا نشكر حضرتكم لو كنتم تركتم بلادكم اكراماً لنا ولمحض مجد الانجيل لانه مهما كانت اسباب الراحـة والهناء متوافرة لديكم في أرض النيل السعيد فما زلتم تتحملون مشاق الغربة والبعد عن الاهل والخلان والوطن العزيز

وكنا نشكر لـكم خدمتكم لو كانت خالصة لوجه الـكريم تعالى لانه مهما اخذتم من الاجور العظمى وما تتمتعون به من الامتيازات فلا يزال كل ذلك قليلاً لايذكر في جانب عملـكم ومجهودكم خصوصاً اصحاب المواهب العقلية منكم الذين يمكنهم ان يربحوا خارجاً أضعاف اضعاف رواتبهم

ونشكركم لاجل ما يبدو من مكارم اخلاقكم وادبكم الجم وما تظهرون من الرزانة وطول الاناة وسعة الصدر والاعتدال ذلك اذا كان عن اخلاص لا يشوبه ريب ولا تخالطه مداهنة

واذا رأيت انيـاب الليث بادية ... فـلا تظنن ان الليث يبتسم
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ عنك كما يروغ الثعلب

ونشكركم لاجل غيرتكم الدينيه لوكنتم استخدمتموها في الخارج عنا لاننا نختلف عنكم في المبدأ والعقيدة ولذلك لا نحسن الاعتقاد بهذه الغيرة التي اضرت بنا وفصمت عرى اسراتنا وقسمت وحدتنا واننا لقد كنا في غنى عما تدعونه من اعمال البر والاحسان ونشر العلم والفضيلة وان لنا عليكم مؤاخذة نريد ان نطارحكم فيها الحديث بالصراحة والمحبة المسيحية اننا لانوافقكم على هدم كنيسة مسيحية ذات تاريخ مجيد ولاتزال شاهداً حياً للمسيح وان التمسنا لغيركم أي عذر فلا نلتمس لكم عذراً وانتم من عنصر مشهور بالتسامح الديني والنظر الى الاديان والمذاهب بنظرة اسمى خصوصاً في هذا العصر عصر النور وخصوصاً ان مذهبكم الديني لايقفل باب السماء في وجه باقي المذاهب المسيحية (راجع بنود ١ و٤ و٥ من كتاب قوانين كنيستهم والحاشية من صحيفة ٢٧٨ و ٢٧٩)

ألسنا نؤمن بالله الاحد مثلث الاقانيم مثلكم ؟ وقانون ايماننا هو عين قانون ايمانكم تقريباً . أليس موضوع فخرنا ورجائنا ورجائكم المسيح مصلوباً ؟

ألا يأمر مذهبنا بالمعروف و ينهى عن المنكر ؟ أليس الكتاب المقدس كتابنا وكتابكم ؟ ألسنا نذلل على صحة مذهبنا بآيات الكتاب كما تدللون باياته ؟

وانما الفرق بيننا في كل العقائد تقريباً يرتكز على النص الصريح وانتم تؤلون النص الصريح وترتكنون على المجاز . أليس لنا عقول مثلكم تفكر وتفهم اقوال الكتاب كما انتم تفهمون ؟ ولم يكون تفسيركم للكتاب اصح من تفسيرنا ونحن نمتاز عنكم بان في صفنا التقايد ولاهوتي الكنيسة في الاجيال المسيحية الاولى والتاريخ واحكام المجامع واجماع الكنائس الرسولية في العالم اجمع؟ أيمكنكم ان تقولوا ان تفسيركم موحى به ؟ واى تفسير من تفاسيركم المختلفة باختلاف وتعدد مذاهبكم هو التفسير المنزل؟ او تقولون ان الروح القدس يرشدكم انتم وحدكم ونحن وباقي الكنائس والاجيال السابقة فاقدون لنعمته ؟ وهل لمجرد عدم رضوخ عقولنا لتفسيركم نعد كوثنيين يجب تبشيرنا بالانجيل على ايديكم اسوة بالامم التي لا تعرف المسيح ولا نعد مؤمنين الا اذا خرجنا من كنيستنا واتبعنا تعاليمكم؟ وهل آباء الكنيسة الاولى وقديسونا وشهداؤنا وبطاركتنا بما فيهم اثناسيوس الرسولي حامى الايمان الذي تتفننون بمدحه هم وثنيون ؟ وأن كان الجواب لا فلم نكون نحن وثنيين واعتقادناهو عين اعتقادهم ؟

كيف حكمتم على كنيستنا بالموت ؟ وبأى سلطان اصدرتم هذا الحكم الشنيع على كنيسة الله ؟

أتريدون ان تقولوا ان المسيح فارق الكنيسة القبطية وهو

الذي حافظ عليها كحدقة عينه نحو عشرين قرناً في اشد اوقات الاخطار والعواصف والانواء

أتريدون ان تقولوا ان العبادة معدومة من الكنيسة القبطية تعالوا وانظروا ولكن بعين البساطة والاخلاص لا بروح التحزب والانتقاد فتجدوا العبادة الحقيقية بالروح والحق مجسمة أمام عيونكم

أتريدون ان تقولوا ان الكنيسة القبطية مجردة الآن من الاتقياء والقديسين وتقولوا كما قال ايليا النبى « بقيت انا وحدي يارب » ؟ اسمعوا صوت الوحى ينادى ايليا « لى سبعة الاف ركبة لم تجث لبعل » ومثل هذا الصوت يناديكم . أتريدون ان تقولوا ان الكنيسة القبطية قبل وجودكم كانت خالية من الثمار الصالحة ؟ لقد قال السيد المسيح من اثمارهم تعرفونهم فسلوا ابناء الجيل الحاضر الاقباط التابعين لكم عن اخلاق وتقوى آبائهم وامهاتهم واجدادهم وجداتهم فينبئوكم الصحيح وقارنوا بين الحالة قديماً والحالة الآن واحكموا بانصاف

وان قلتم بوجود الجهل عند الاقباط فنقول لكم ان لديهم النور الكافي والمدار على الايمان والرجاء والمحبة لا على كثرة المعرفة . لقد كانت الميزة البارزة فى الاقباط الايمان الشديد لدرجة انهم كانوا يعيرون بالبساطة المتناهية فأين هذا الايمان من

الشكوك الموجودة الآن فى كل شيء حتى فى وجود الخالق نفسه ؟

ومع ذلك أفما كان يمكنكم ان تاتوا البيوت من ابوابها فى اصلاح الكنيسة القبطية لو كانت في حاجة للاصلاح وكان ذلك غرضكم ؟ وهل العلاج الذى يوصف لشفاء مريض يكون لقتل ذلك المريض وتقطيع اوصاله ؟ اما كان يمكنكم الاكتفاء بنشر الكتاب المقدس وكتب الدين والفضيلة والقاء المحاضرات الاخلاقية وانشاء جمعيات الشبان والسير فى التعليم الديني على نمط كلية بيروت التابعة لكم بدون التداخل في العقائد المذهبية ؟ ولم تختلف خطتكم هناك عن خطتكم هنا ؟ اما كان يمكنكم على الاقل مساعدة المدرسة الاكليريكية القبطية بالكتب والمال ؟ ومتى تعلم الاكليروس انحلت العقدة فكنتم خدمتم الاقباط اعظم خدمة واكتسبتم صداقة الكنيسة القبطية والطائفة برمتها ووفرتم على انفسكم الاموال الطائلة والمجهودات الشاقة فى تحويل الاقباط من مذهب الى مذهب الخ

ألم تعيدوا في مصر عهد القرون الوسطى وفتحتم الباب للمنازعات المذهبية واصبح في الاسرة الواحدة والبيت الواحد الارثوذكسي والمشيخى والاخوى والاصلاحي والسبتى الخ.

وصار الاقباط فرقاً ومذاهب انصرفت اذهان اكثرهم عن الغرض السامي الذى وجدت من اجله الاديان وتعلقوا بأهداب المذهبية وما يتبعها من التعصب الذميم والغيرة المرة والتحزب والمجادلات السخيفة والغيبة والشتائم والتهكمات والمطاعن والمعاكسات والدسائس واتباع الطرق غير المشروعة لبث الدعوة المذهبية بدافع الغيرة العمياء وانتم تعلمون طبائع الشرق

وها قد مضى عليكم اكثر من نصف قرن تدبرون وتفكرون وتعملون فى قطع اوصال الكنيسة القبطية دون ان يقف فى وجهكم احد وافلحتم في ضم بسطاء من الاقباط باساليبكم المتنوعة وانتشرت كنائسكم ومدارسكم وجمعياتكم ومبادئكم في كل انحاء القطر تقريباً وماذا كانت النتيجة الروحية في مصر من الوجهة العمومية ؟ — واقول من الوجهة العمومية — ازدادت المعرفة ولا شك ولكن ضعف الايمان وقلت الامانة والمحبة والتقوى والعبادة وخمدت الروح الدينية الحقيقية الى النهاية

فدعونا نصلح امورنا وامور ديننا بانفسنا فصاحب الدار أدري بالذي فيه . افكارنا ليست كافكاركم وطرقنا ليست كطرقكم ونفسيتنا ليست كنفسيتكم ومشاربنا ليست كمشاربكم وعاداتنا ليست كعاداتكم وآدابنا القومية ليست كآدابكم ومايصلح لكم قد لا يصلح لنا وان اردتم الا العمل بيننا فلا أقل من أخذ

رأينا واحترامه وهذا رأينا نبديه لكم ونذيعه على رؤوس الاشهاد . انبذوا ظهرياً فكرة هدم كنيستنا القبطية فلا نسمح ولا يسمح الضمير ان تعبث ايدى الدمار بامجد واقدم كنيسة مسيحية يرتبط بها كياننا الروحي والمادي وشرفنا وتاريخنا وقوميتنا ووحدتنا وعاداتنا وآدابنا واستقلالنا الديني . ان كنتم تحبون مذهبكم وتأتون من آخر الدنيا خصيصاً لهدم كنيستنا فثقوا اننا لسنا أقل حباً وغيرة على كنيستنا وسنذافع عنها وندافع الى النهاية ونفديها بالمهج والارواح والله ينصرنا لاننا انما ندافع عن كنيسته والحق في جانبنا . أترضون ان يسعى اجنبي عن كنيستكم في تحويل ابنائكم عن مذهبهم ؟ بل أتقبلون قيام وعاظ لرد الاقباط الذين اختطفتموهم الى حضن أمهم الكنيسة القبطية وهى احق بهم منكم ؟ اوتقوم قيامتكم وتغضبون وتصخبون وتبذلون كل مسعى علني وخفي للحيلولة دون ذلك وتعطيل عمل هؤلاء الوعاظ ؟ فلماذا حينئذ ترضون لغيركم ما لاترضونه لانفسكم ؟

كفاكم كفاكم انتم واتباعكم مامضى ونريد ان نسبل على الماضي ستر النسيان وننظر الى الامام . وهناك أمور أهم وانفع من تحويل مسيحي الى مسيحي . كما قال أحد رؤساء جمهوريتكم المرحوم المستر روزفلت وهى أمور تتعلق بنشر الفضيلة واصلاح النفوس ومحاربة الشكوك والكفر والضلال ومد ملكوت الله

وميدان العمل فيها فسيح جداً يسعنا ويسعكم ويسع ملايين من الايدي العاملة فدعونا ننظم صفوفنا ونعيد وحدتنا ونجدد قوانا ونعد عدتنا فنحن شاعرون بالواجب المفروض على عاتقنا وقد بدأنا في العمل ويد الله معنا وسنقوم به خير قيام

ان الكنيسة فرع مهم من فروع الكرمة المسيحية ثابت في الكرمة من العصر الرسولي وسيثبت الى الابد وليس من الصواب في شيء تجريد هذا الفرع من الاغصان النامية فيه وتطعيم هذه الاغصان في افرع أخرى اذ ان الغصن الذي يفصل من أصله قد يذبل ويموت علاوة على ما يحدثه قطع الغصن من الفراغ وما يتسبب عن ذلك من الضرر لباقي الاغصان الملتصقة به. لنقوا فرع المسيحية الخاصة فتقو المسيحية العامة. هذه اراؤنا نبديها لكم بكل اخلاص فان قبلتموها وضعنا يدنا في يدكم

(الطرق اللازمة لصد تيار هدم الكنيسة القبطية)

عرفنا ان هناك قوى منظمة تعمل اناء الليل واطراف النهار في هدم الكنيسة القبطية فلا بد من قوى تماثلها تقف في وجهها لصد هجماتها والقيام بكل ما تقتضيه اساليب الدفاع

نريد جيشاً عاملاً قوياً ولابد للجيش من مدارس لتخريج الضباط والقواد ومن اسلحة ومعدات للحرب والنضال ومن ثكنات لسكن الجيش ومن انظمة عامة وانظمة خاصة للجيش ووحداته ولابد من توافر القوة المعنوية لدى افراد هذا الجيش ومن قيادة عامة واركان حرب لمساعدة القيادة العامة وتنفيذ الخطط

(الجيش)

أما الجيش فموجود وهو يشمل كل افراد الكنيسة صغاراً وكباراً ورجالاً ونساء اغنياء وفقراء

(مدارس الضباط والقواد)

وأول شيء ضروري لهذا الجيش هو مدارس الضباط وهذه المدارس هي

(١) (المدرسة الاكليريكية)

لقد انشأ المدرسة الاكليريكية الحالية غبطة البابا الانبا كيرلس الخامس البطريرك الحالي منذ ثلاثين سنة تقريباً ولكنها لم تنل من الطائفة العناية الكافية ولولا همة نظارها واساتذتها ورغبة طلبتها الصادقة لما كانت تعد شيئاً مذكوراً

ليس من عيب في كنيستنا ولا من نقص في تعاليمها وانما الذي كان ينقصنا اظهار مجد وبهاء هذه التعاليم ودحض مطاعن اولئك الذين تهجموا على عقائد الكنيسة بمثل السلاح الذي حاربونا به ولكننا ضيعنا الوقت الثمين في الصياح والندب والعويل وتلمس طرق الاصلاح على غير هدى فوق الآكام والمنحدرات وتركنا الطريق السهل الواضح الامين الموصل للنجاح .

الاصلاح الديني والملي كله يتوقف على تهذيب الاكليروس فما الذى عملناه في هذا السبيل ؟ وكيف ننتظر ان يتحد معنا الاكليروس قلباً وقالباً في الاصلاح اذا لم تمكنه الفرصة لفهم مبادىء الاصلاح ونغرسها في قلبه؟ وهل يجوز في شرعة الانصاف ان نحمل انفسنا فوق طاقتها ؟

ما الذي استفـدناه من المشادة التي حصلت بين الشعب والا كليروس بسبب نزاع في ادارة اوقاف اديرة لوجمعت كلها لقلت عن ثروة واحد من اغنيائنا العديدين ؟ هل جنينا شيئاً خلاف ازدياد العنـاد وتوسيع هوة الخلف والشقاق واستفادة خصوم الـكنيسة من ذلك وحرمان الـكنيسة من ذلك وحرمان الـكنيسة من كثيرين من ابنائها الغيورين ومن اموالهم الطائلة التي صرفوها ووقوفها على كنائس تكيد للكنيسة القبطية وتسعى في خرابها ؟ ولو كنا ضحينا بقليل من المال وعنينا بتعليم الا كليروس العناية المطلوبة لـكنا وفرنا على انفسنا تلك الخسارة الفادحة وفي الوقت نفسه كانت تلك الاوقاف التي لاتستحق كل هذه الجلبة اتت الينا صاغرة عن ايدي الا كليروس انفسهم

أليس من العار ان طائفة كطائفتنا تعجز عن ان تقوم بنفقة مدرسة دينية واحدة يتوقف عليها اصلاح الطائفة برمتها ؟

أينقصنا العدد ونحن اكثر الطوائف المسيحية في مصر ؟ او تنقصنا الثروة ونحن بحمد الله في سعة ورغد من العيش يحسدنا عليهما امم كبرى ؟ ام تنقصنا الشهامة والمروءة وحب البر والاحسان أم ضاعت منا الغيرة الدينية والشرف القومي . أم خانتنا الحكمة واصالة الرأى ؟

لننظر حولنا الى الطوائف التي لاتبلغ عشر معشارنا فهل نراهم اهملوا اهمالاً فاضحاً في الشؤون العامة كاهمالنا ؟

لقد جنينا قطوف المدرسة الا كليريكية وهي صغيرة في المهد وذقنا حلاوة تلك القطوف فهل نريد ان نخالف سنة الطبيعة ونمنع هذه المدرسة عن النمو؟ ارتقى الاقباط في العلوم العصرية وبلغوا فيها شأوا كبيراً كما ارتقوا في كل شيء فلم لا تتكافأ القوى الدينية مع باقي القوى ؟

ألم نكن اصحاب اشهر مدرسة لاهوتية في العالم فهل من مانع ان نعيد مجدنا السابق ونأخذ المركز اللائق بنا تحت الشمس ؟

هل من الشرف وعزة النفس ان نعير بالجهل وعدم معرفة اسم المسيح وان تستجدي الارساليات اكف المحسنين من اهل امريكا لدفع المال لتبشيرنا بالانجيل مع اننا بمجهود قليل يمكننا ان نخرج رجالاً يزيفون اقوال اولئك المرسلين ويظهرون للملاء نور الانجيل الوجود فى كل ذرة من ذرات الكنيسة القبطية ؟

ايها المجلس الملى الذي قامت من اجلك القيامة وعلقت الطائفة عليك واسع الآمال وايدتك الحكومة بسلطانها . اي مشروع نافع قمت به لاعادة وحدة الطائفة ورفع شأنها ؟ هل مأموريتك قاصرة على الحكم في بضع قضايا نفقة او اعلامات وراثة يمكن ان يقوم بها قاض واحد احسن قيام فتركت الحبل على الغارب

في امور الطائفة الهامة ؟ ما الذي عملته لترقية المدرسة الاكليريكية وما هو المبلغ الذي خصصته لها فى الميزانية وانت تعلم شدة افتقار الطائفة الى هذا المعهد الديني الذي ليس لها معهد سواه ؟ لماذا لا تقبر الا على هذا المعهد ؟ وهو من الزم اللزوميات والطائفة ان استغنت عن كل المعاهد الاخرى فلا يمكنها ان تستغنى عن هذا المعهد ومع ذلك هل طلبت من الامة سد العجز وبخلت بالمال ؟ الا يشعر المجلس بالمسؤولية الهامة الملقاة على عاتقه ؟ ايعجب المجلس أستضعاف الارساليات لجانب الاقباط دون باقى الطوائف المصرية وسعيها فى تمزيق شمل الطائفة وتشتيت ابنائها واختطافهم والمجلس المكلف بادارة شؤون الطائفة العمومية ساه لاه ؟ ألا يريد المجلس ان يسجل لنفسه حسنة واحدة باعطاء هذا المعهد جانباً من اهتمامه ونظرة واحدة منه ترفعه الى السماكين ؟

وانتم ايها الاكليروس ألستم بمثابة الرأس من الطائفة ؟ ألستم مسؤولين عن الكنيسة التي اقتناها المسيح بدمه وسلمها لكم الاباء بعد الاجداد بعد ان بذلوا فى المحافظة عليها النفس والنفيس ؟ اترضيكم المطاعن التي يوجهها الاخصام اليكم والى كنيستكم الا يهمكم حفظ مركزكم موفور الكرامة ؟ لماذا لا تعضدون معهداً دينياً خاصاً بكم وفائدته المباشرة تعود عليكم وعلى طغمتكم ؟ الم ينشيء هذا المعهد غبطة رئيسكم المعظم ولا يزال

يساعده بماله الخاص ولم يمنعه المرض ولا سن الشيخوخة عن موالاة زيارته وتشجيع القائمين به فلم لا تضعون يدكم في يده وترفعون هذا المعهد الى مصاف المدارس العالية لتقطعوا حجة اعداء الكنيسة ؟ لقد احتفلتم هذه السنة باليوبيل الذهبي لغبطة البطريرك فهلا تخلدون ذكره وذكر هذا اليوبيل بعمل ظاهر نافع لهذا المعهد الذي تتوقف عليه حياة الطائفة الروحية ؟

وانت ايها الشعب لا تتبرأ من المسؤولية فلا تلقها كلها على عاتق اولياء امورك لانك مشارك لهم فيها سواء بسواء . لقد قصرت تقصيراً معيباً بطرحك المدرسة الاكليريكية في زوايا النسيان وانت تعلم انها هي الطريق الوحيد المؤدي الى حفظ كيان الطائفة واعادة مجد الكنيسة

لقد قمت ايها الشعب بعدة مشاريع محلية ومشاريع عمومية فلو انك فضلت الاهم على المهم وعضدت هذا المعهد الديني لكان حال الطائفة غير هذا الحال فاستيقظ ايها الشعب من سباتك وتلاف مافات واعمل بجد فلا تزال الفرص سانحة . ها ادارة المدرسة الاكليريكية تمد يدها اليك وتستعطفك راجية معونتك.

المدرسة موجودة وحية ونامية لها دار فخيمة هي مبراى مهمشة وضمت اليها قطعة ارض اشتراها لها غبطة البطريرك من ماله

الخاص وانما ينقصها اضافة بعض الغرف والمبانى التى قضت بها حاجة التعليم خصوصاً القسم الداخلى وبيد الناظر مشروع واسع النطاق لرفع مستوى التعليم فى هذه المدرسة وجعلها مدرسة لاهوتية عالية تخرج طلبة متضلعين فى علم اللاهوت والوعظ والشريعة وعلم التربية وعلم النفس واللغة القبطية (لغة الكنيسة والطائفة بل لغة المصريين جميعاً واللغة العبرانية واللغة اليونانية (لغتى الكتاب المقدس للرجوع اليهما عند تفسير آياته) ولغة الحبشة بنت الكنيسة القبطية — مدرسة تخرج طلبة ملمين بمعرفة المذاهب والفلسفة القديمة والفلسفة الحديثة وآراء اهل العلم الفاسدة والرد على كل فريق منهم وهذا المشروع الخطير يحتاج الى المال والبذل الكثير وتضافر وتضامن كل طبقات الامة وستأخذ النخوة فى القريب العاجل بعض الغيورين فيقومون بتشكيل لجنة يرأسها عظيم ذو شخصية بارزة لدرس حالة هذا المعهد ومشروع حضرة الناظر وانظمة المدارس اللاهوتية لدى الطوائف الاخرى ووضع نظام واف وتدبير العدد الكافى من الاساتذة الاكفاء اللائقين لمدرسة لاهوتية راقية وتقدير النفقات الوقتية والدائمة لها والنفقات اللازمة لانشاء مكتبة للمدرسة حافلة بالكتب والمؤلفات النفيسة وتولى جمع المال اللازم فجد ايها الشعب لهذا المشروع

الحيوي بكرم وسخاء وبرهن على انك شعب حي راق .

وانتم ايها الشبان لقد اشتهرتم بالغيرة الوطنية والتفاني في خدمة بلادكم وفي طلب الاستقلال السياسي وقد نجحت حركتكم مع باقي مواطنيكم في هذا العصر السعيد فكملوا الاستقلال السياسي بتأييد الاستقلال الديني الذي حافظت عليه كنيستكم نحو عشرين قرناً وابعدوا اليد الغريبة التى تعمل على تمزيق وحدتكم وسلب هذا الاستقلال منكم ارفعوا عنكم نير الاحتلال الديني الاجنبي . امحوا العار عن كنيستكم وطائفتكم اخرسوا الالسنة التى تضعكم في مصاف عباد الاصنام وبرهنوا للعالم أجمع انكم ابناء اولئك الابطال الذين كانوا هداة وقادة للشعوب فى الدين ولا تزال آثار هذه القيادة باقية فيكم — تقدموا لخدمة كنيستكم ولا تضنوا عليها . انتظموا في سلك طلبة هذا المعهد الديني لتعيدوا عهد مدرسة الاسكندرية اللاهوتية التي كانت سراجاً وهاجاً في عالم المسيحية وقودوا الشعب الى المرعى الخصيب والمنهل العذب. لا تستهينوا بهذا المعهد فهو لا يقل مقاماً عن كل معهد علمي ان لم يكن ارقاها جميعاً . فيه تتلقون دروس الحكمة الالهية التي تتلاشى أمامها حكمة الفلاسفة وقوة جبارة العقول. فيه تنهض أفكاركم من العالم السفلى وتسمو الى العالم العلوي حيث ترون مجد الله وجلاله ولا تخشوا على مستقبلكم فهو مضمون بعون الله والامة ستقدر عملكم وتضعكم في سويداء

قلبها . فان كل مهنة ارضية يجوز ان تضيق بأصحابها ولكن مهنتكم واسعة الرحاب فاطمئنوا « الحصاد كثير والفعلة قليلون » أمامكم عدة وظائف تنتظركم وظائف سفراء لله على الارض ووكلاء سرائره وأمناء على شريعته . ومرشدين ومعلمين للشعب . وأساتذة ونظار المدارس . وحامين للدفاع عن معتقدات الكنيسة وقطع ألسنة المفترين عليها . ومؤلفين يتفرغون لتصحيح كتب الكنيسة الخطية وتأليف وترجمة الكتب الدينية النافعة . وخطباء لالقاء المحاضرات الدينية والاخلاقية . ورسل اصلاح لمحاربة الرذيلة ومكافحة المسكرات والمخدرات ومبشرين بانجيل السلام فى ربوع السودان والحبشة وبين شعوب افريقيا

وهذه الوظائف فى حاجة الى اقوياء العقول والارواح فلا تبخلوا يا ارباب الشهادات وذوى المواهب على الله بما أنعم عليكم وتولوا أنتم هذه الوظائف واقتدوا بالمرسلين وكبار اللوردات من الانكليز الذين يكرسون انفسهم وعلومهم وشهاداتهم العالية لخدمة الله بل انظروا كيف يتجشم المرسلون الاجانب متاعب الاسفار والبعد عن الاوطان لغرض هدم كنيستكم مدفوعين بالغيرة الدينية لترويج المذهب البروتستانتى او الكاثوليكى فهلا تأخذكم الغيرة مثلهم فتمنعوا على الاقل تهجم هؤلاء الغرباء على أعز شيء لديكم وانتم باقون في وسط بلادكم ولا يكلفكم ذلك تعباً يذكر . اقتدوا على الاقل بالاخوين التوأمين بطرس افندي وبولس

افندي رفائيل اللذين كرسا نفسيهما لخدمة كنيستهما وسافرا الى بلاد الانكليز لتلقي العلوم الدينية هنالك على نفقتهما وبعد اتمام علومهما دخلا بطيبة خاطر المدرسة الاكليريكية القبطية وها هما الآن يعملون في ضم شتات ابناء الكنيسة وارشاد الضالين وتقديراً لعملهما النافع قد رسمهما حضرة صاحب النيافة الانبا لوكاس مطران كرسي قنا وقوص رئيسي شمامسة بأبروشيته . اقتدوا بالشاب الورع ابرهيم افندي لوقا الذي حصل على شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان وكان والده وهو من سراة مديرية قنا على وشك ان يدخله مدرسة الحقوق ولكنه فضل ان ينخرط في سلك طلبة المدرسة الاكليريكية وبعد خروجه منها جعل دأبه نشر الفضيلة بين الشبان والآن القس ابراهيم لوقا راعي الكنيسة الكاتدرائية القبطية الكبرى باسيوط وببركة الله يعمل بنجاح تام بالاشتراك مع نيافة مطران أسيوط وحبيب افندي شنوده واعظ اقباط اسيوط وكلمة الرب نامية على ايديهم وكلكم تعرفون اسيوط مركز الارساليات البروتستانتية المختلفة

فتقدموا ايها الشبان تقدموا الى الامام الى الامام ايها الشجعان . تولوا قيادة الجيش تحت رأية المسيح وسيروا في طريق النصر

---

(٢) (مدرسة اللاهوت للرهبان)

قضت انظمة كنيستنا ان يتقلد الوظائف الدينية الرئيسية من
درجة اسقف فما فوق رجال نذروا نفوسهم وعفافهم للرب ليتفرغوا
للاهتمام بشؤون الكنيسة وواجب الرعاية كما رأينا عند الكلام
عن سر الكهنوت وهم يؤخذون عادة من بين رهبان الاديرة التي
كانت في الزمن السابق محط رحال اهل العلم واللاهوت ولكن
من الاسف اصبحت الآن في حالة من التأخر يرثى لها وليس
الآن محل البحث في من هو الملوم من طغمة الرهبان في بقاء هذه
الحالة مع وفرة غنى الاديرة واوقافها وعدم استفادة الشعب منها
بشيء ما وانما الامر المهم هو اصلاح الحال اذ لا يمكن ان يستغنى
الرهبان عنا ولا نحن نستغنى عنهم طالما هم جزء منا لا يتجزأ وطالما
كل اساقفتنا ومطارنتنا وبطاركتنا منهم . ومع ان أموال الاديرة
حسب دعوى البعض هي من مال الشعب ووقفت لاجل
خير الشعب والرهبان جزء من الشعب ومصلحتهم مرتبطة بمصلحة
الشعب ولا فارق بينهما فان الشعب ترك اموال هذه الاديرة للرهبان
ولمصلحتهم الخاصة ولا يقصد الشعب مطلقاً حرمان الاديرة من
اموال وقفت عليها وانما قصده الوحيد ان تستخدم هذه الاموال
جميعها في منفعة الرهبان وتحسين حالهم ورفع شأنهم حسب شرط

الواقف الذي قصده . ولو فهمت هـذه الحقيقة من البدء بروح المحبة والصراحة لما كان حصل شيء من سوءالتفاهم الذي لا يزال اثره من سوء الحظ باقياً للآن بسبب هذه الاوقاف. ما الذي يضر طغمة الرهبان ومتولي أمور اوقافها لو ضبطت حسابات كل دير واطلع الشعب وغبطة البطريرك على هذا الحساب مادامت الاديرة باوقافها ورهبانها جميعاً للطائفة ؟ ـ وما الذي يمنع من انشاء مدرسة لاهوتية في كل دير لتهذيب وتثقيف عقول الرهبان لينالوا كراسي الرياسة عن جدارة واستحقاق ؟ وان لم تسمح مالية الاديرة بتعدد المدارس فلا أقل من انشاء مدرسة لاهوتية واحدة تشترك فيها كل الاديرة ليبقى التوازن محفوظاً بين الرهبان وطلبة المدرسة الاكليريكيـة ولا اليق من دير العريان الذي بضواحي مصر لتكون الرقابة البطريركية قريبة منها

وقبل ان اخرج من هذا الموضوع اوجه هـذا السؤال الى الاغنياء واقول لهم

لماذا لا يكرسون اولادهم الاتقياء لخدمة الله وينفقون على تعليمهم بسخاء اسوة بابناء الاسر العالية في سائر انحاء العالم بل لنرجع الى تاريخنا القبطي فنجد ان أكبر ائمة ديننا كانوا من ابناء الامراء وأصحاب الغنى والوجـاهة فلم نبخل على الله وعلى كنيستنا وشعبنا بابنائنا ولا ندعهم يتولون القيـادة والرعاية وهما اشرف وظيفة ؟

﴿ الفوائد التي تنجم عن مدرستي اللاهوت الاكليريكية ﴾

(ومدرسة الرهبان)

اولاً — توافر الرعاة الاكفاء للكنائس والابروشيات

لقد تقدم الشعب في العلوم العصرية ففيه الكاتب والحاسب والعالم والقانوني والطبيب والمهندس والكيماوي الخ واصبح من الضروري ان يكون الراعي الديني في درجة من العلم تمكنه من الاحتفاظ بمركزه ومقامه الادبي في عيون ابنائه وتجعله اهلاً للقيام بواجب الرعاية بما يتناسب مع الحالة الجديدة التي وصل اليها الشعب ويتعين حينئذ قفل الباب في وجوه طلاب الوظائف الدينية الذين لا تتوافر فيهم الكفاءة فلنقصرها على المتخرجين من مدرستي اللاهوت لنكون اعطينا القوس لباريها وضمنا مستقبل هؤلاء الطلبة من مزاحمة اولئك الذين يتقلدون الوظائف الدينية بالمحسوبية والرجاء والاغراض او بالميراث ويجب ان ينفذ هذا القانون لا من الرؤساء وحدهم ولكن من الشعب ايضاً فكثيراً ما يدفع العناد والتنافس بين العائلات الى تعيين غير الاكفاء وبعضهم يهدد احياناً رؤساءه بالخروج عن الدين او المذهب اذا لم يجب طلبه وقد آن الاوان لوضع حد لهذه الامور الصبيانية

والفوضى وان تنفذ القوانين بدقة وحزم وبلا محاباة

والراعي الكفء الصالح يضع نصب عينيه الاغراض الآتية .

(١) سلامة الرعية من الايدي الخاطفة ووجوب اليقظة والسهر

(٢) التفتيش عن الضال ورده الى الحظيرة

(٣) افتقاد الرعية وعزل المريض عن السليم والعناية به ومدواته ومعاملته بالرفق

(٤) معاملة افراد الرعية كبيرهم وصغيرهم على قاعدة الحق والعدل والانصاف والمساواة بغير تحيز او تمييز او محاباة والابتعاد عن مشيري السوء وذوي الاغراض الذين يوجدون الشقاق بين الراعي والرعية

(٥) اشباع الرعية من الغذاء المقوى المحيي

(٦) يعمل الراعي لا لغرض الربح القبيح ولا كأجير وانما كوكيل امين اؤتمن على رعية اقتناها المسيح بدمه وسوف يعطي حساباً عنها

ثانياً — توافر الوعاظ الاكفاء

من اكبر الاسلحة التي استعملتها الكنائس الغربية لاصطياد الاقباط وابعادهم عن كنيستهم الوعظ الارتجالي . يدعى القبطي لسماع كلمة الله فيذهب بسلامة نيته وهناك تدس له التعاليم الغربية شيئاً فشيئاً وتمزج كلمة الله بافكار الواعظ وتفاسيره بسبك متقن

ويقدم له المزيج كأنه كله كلام الله فلا يلبث ان تتخدر اعصابه وتتأصل فيه تلك التعاليم مع الزمن ويصبح من الصعب استئصالها منه . فاذا اعتنينا بمدرستي اللاهوت العناية اللازمة امكننا زيادة الوعاظ المقتدرين وتعميم الوعظ الارتجالي في الكنائس والوعظ بين القرى . ويرسم للواعظ المتجول خطة سير ويكون بيده تصريح كتابي من الاسقف او المطران التابع له — اذا امكننا نشر كلمة الله بين ابناء الكنيسة سددنا الباب في وجه المعلمين الغرباء وقطعنا كل احتجاج وعذر لمن يتركون كنيستهم بسبب قلة الوعظ ويراعى في الوعظ القواعد الآتية ليكون مثمراً ومفيداً

(١) ان يكون الواعظ ذاقدوة حسنة وبلا لوم ولا عيب فاذا لم تتوافر فيه هذه الصفات لا يكون لوعظه أي ثمرة ولو أتى بكل ضروب الحكمة والفصاحة والبلاغة وبالعكس يكون وعظه عثرة للسامعين

(٢) ان يكون الوعظ بروح الوداعة والبساطة والتقوى والايمان والحرارة الروحية لا بروح الكبرياء والعلم الذي ينفخ والاتكال على المقدرة الذاتية

(٣) ان يكون الوعظ للبنيان لا للهدم فلا يستعمل الغمز فيه

واللمز ولا التعريض بآيات الكتاب باحد لخصومة شخصية ولا الطعن والتهكم وجرح احساسات السامعين

(٤) ان يكون الغرض الاساسي من الوعظ اصلاح النفوس وتجديدها وحث ابناء الكنيسة على التقدم والتناول من مائدة الرب في كل حين

(٥) ان يكون الوعظ مناسباً للافكار والحالة العصرية مع موافقته في الجوهر لمواعظ وتفاسير آباء الكنيسة القديسين

ثالثاً — توافر معلمي الدين للمدارس

المدارس كما رأينا هي عماد الكنائس ولولا المدارس لكان نجاح الارساليات بين الاقباط لايعد شيئاً مذكوراً وقد عرفنا كيف ان الارساليات تنتهز فرصة دخول الطلبة في معاهدهالتلقي العلم فتغرس فيهم تعاليمها الدينية وهم صغار لايدركون شيئاًومتى شبوا على هذه التعاليم انطبعت فيهم واصبح من المتعذر قلعهامنهم والطائفة القبطية ولله الحمد لها مدارس عديدة في سائر جهات القطر ولكن التعليم الديني امر ثانوي فيها وقاصر على القسم الابتدائي ولاتضاف درجاته على درجات باقى الدروس فلا بد ان يهمل التلاميذ هذا العلم . بل قد بلغ الامر ببعض آباء الطلبة الاقباط ان يطلبوا يا للخجل من نظار المدارس اعفاء اولادهم من دوس الدين ليتفرغوا للدروس العلمية والنجاح فيالامتحانات

ولما كان للدين الفضل الاكبر على الاخلاق ولا فائدة للعلم بدون اخلاق ومن جهة ثانية لما كان الغرض الاساسي من انشاء المدارس القبطية وتكبد المحسنين من رجال الطائفة صرف الاموال الطائلة عليها هو اعداد شبيبة قبطية راسخة في عقيدتها الارثوذكسية وجب على القائمين بامور تلك المدارس جعل الدين في المنزلة الاولى من الاعتبار وان لا يكون قاصراً على القسم الابتدائي بل يجب ان يتدرج التعليم فيها في كل سنى الدراسة المدرسية فيشمل القسم الثانوى والعالي ويكلف بتعليم هذه الدروس المتخرجون من المدرسة الاكليريكية والمدرسة اللاهوتية للرهبان. وبواسطة تربية النشء والشبيبة على مبادىء الدين والمذهب الارثوذكسي نكون خدمنا كنيستنا خدمة ثمينة واوجدنا رجالاً ونساء نافعين مفيدين لها وللهيئة الاجتماعية اقوياء في التقوى والفضيلة غيورين على الكنيسة .

رابعاً — توافر المصلحين الدينيين والاخلاقيين

اذا رفع شأن مدرستي اللاهوت امكن تخصيص المتخرجين ذوي الكفاءة الممتازة والجاذبية في الوعظ للتجول في البلاد والقاء محاضرات على ابناء الكنيسة تتناول بنوع مخصوص الامور الآتية .

(١) محاضرات تتعلق بتراجم كبار اللاهوت وآباء الكنيسة القبطية القديسين واعمالهم الخالدة

(٢) محاضرات عن عقائد وطقوس الكنيسة والادلة التي ترتكن عليها باسلوب سهل المأخذ

(٣) محاضرات دينية اخلاقيـة مع مقارنة الحاضر بالماضي وحث ابناء الكنيسة على الاقتداء باسلافهم في التقوى والفضيلة والايمان والاتكال القوي على الله والصلاة والاصوام والرحمة والاحسان واقراض المحتاج بلا مقابل وعيشة البساطة والحشمة والثبات في الكنيسة

(٤) محاضرات تحث على الطهارة وترك العادات المضرة والمسكرات والمخدرات والمغيبات والمراقص والملاهي والخلاعة ورذائل التمدن الغربي

(٥) محاضرات لغرس البطولة والشجاعة الادبية وانكار الذات والتضحية في نفوس الشبيبة

خامساً — ايجاد هيئة تتخصص للبحث والتأليف تكون مأموريتها : —

(١) مراجعة كتب علماء الكنيسة الاقباط الموجودة بالخزانة البطريركيـة وغيرها وطبع النفيس منها — اقرأ مثلاً كتاب الحاوي أو مختصر البيان في تحقيق الايمان وهو جزء من تأليف الراهب الطيب الاثر جرجس بن العميد الملقب بالمكين المطبوع في مطبعة عين شمس سنة ١٩٠٦ فترَ قوة المنطق والبلاغة والفلسفة

الدينية والتدقيق العميق في شرح الآيات الكتابية الغامضة متدفقة من خلال سطور هذا الكتاب وهو مؤلف واحد من جملة مؤلفات لهذا العالم — وكم من مؤلفات لكثيرين غيره من العلماء الاقباط موجودة بالبطرخانة ودير السريان وباقي الاديرة القبطية ومتاحف اوروبا فلو استخرجنا هذه الكنوز ونشرناها لاستفادت الطائفة اعظم فائدة وكنا اظهرنا بالدليل الناطق المحسوس فضل اجدادنا ومكانتهم العالية في علم اللاهوت وسددنا افواه الذين يعيرون كنيستنا بالجهل

(٢) طبع وترجمة كتب علماء البيعة المسيحية من سائر الشعوب الذين ظهروا في اجيال المسيحية الاولى ليتثبت ابناء الكنيسة من آراء اولئك العلماء ويروا رأى العين ان تعاليم كنيستهم وانظمتهم تتفق مع تعاليم اولئك القديسين الذين كانوا اقرب للعصر الرسولي وبعضهم كان معاصراً للرسل

(٣) تكملة طبع كتب الكنيسة المتداولة في العبادة الفردية والجمهورية وممارسة الاسرار والرسوم الدينية بعد تنقيح لغتها وتهذيب عباراتها

(٤) مراجعة السنكسارات والميامر (سير القديسين) وتصحيحها بعد الرجوع لكتب التاريخ والتحقق من اصح الروايات بغير حشو اومبالغة

(٥) مراجعة المدائح والترانيم وان يحذف منها المخالف لروح الكتاب المقدس والتعليم الارثوذ كسي وبعد ذلك تسلم لبعض الشعراء لوزن قوافيها حسب نغمات الموسيقة المناسبة لها

(٦) وضع كتب مطالعة وروايات للناشئة يدمج فيها سير مشاهير ائمة الدين واللاهوت والشهداء الاقباط وابطال الكنيسة لتكون الاجيال الحاضرة متصلة بالاجيال السالفة ويتربى الصغار تربية قومية تحببهم في اجدادهم وكنيستهم

(٧) ترجمة المؤلفات الدينية الحديثة المفيدة

(٨) وضع مؤلفات تشمل مبادىء المذاهب المسيحية المنتشرة الآن في اوروبا واميركا وتبيان اوجه الخلاف بين هذه المذاهب المتعددة التي تعد بالمئات ليرى ابناء الكنيسة القبطية بالبرهان الحسي حكم طوائف خصوم الكنيسة انفسهم على تعاليمهم التي يبشر فريق منهم الاقباط بها كأنجيل موحي به ويرمى من يخالفه فيها بالضلال والمروق عن الايمان

(٣) (مدرسة الراهبات)

يوجد للاقباط اديرة للراهبات بمصر القديمة وحارة الروم وحارة الزويلة فلو ادخل التعليم في هذه الاديرة وبنوع مخصوص التعليم الديني **وفن** التمريض لاستفادت الطائفة فائدة عظمى من هؤلاء الراهبات اللواتي كرسن انفسهن لخدمة الله فيمكن اعداد معلمات منهن للدين فى مدارس البنات وواعظات للنساء في المنازل وشماسات في الكنائس لحفظ النظام بين السيدات وجمع التبرعات منهن وغير ذلك ومربيات للاطفال فى ملاجيء الايتام وممرضات فى ملاجيء العجزة والمستشفيات الخيرية القبطية لتكون لراهباتنا اسوة حسنة للراهبات التابعات للطوائف الاخرى

(ثكنات الجيش)

(١) الكتاتيب القبطية. ويجب تعميمها في المدن والقرى لغرس مبادىء الدين الارثوذكسي فى الاطفال

(٢) المدارس القبطية للبنين والبنات ويجب ان يجعل فيها التعليم الديني وتاريخ الطائفة القبطية اجبارياً والاسراع فى تتميم مشروع كلية البنات وجعل تعليم اللغة القبطية والديانة

من العلوم الاساسية فيها لتخرج لنا معلمات يشغلن وظايف التعليم فى مدارس البنات فى مصر والجهات

(٣) محلات العبادة والكنائس ويجب الاكثار منها خصوصاً فى النقطة المزدحمة بالاقباط وان يراعى في البناء ما يقتضيه نظام العصر الحاضر خصوصاً اماكن السيدات مع اعداد مقاعد لهن اسوة بالرجال وما احسن نظام بناء كنيسة المعلقة بمصر القديمة وحبذا لو عم فى كل الكنائس او نظام كنيسة المرحوم بطرس باشا وفقط توضع فواصل بين اماكن السيدات واماكن الرجال

(اسلحة الجيش)

(١) سيف الروح الذى هو كلمة الله (٢) منطقة الحق (٣) درع البر (٤) خوذة الخلاص (٥) ترس الايمان والرجاء والمحبة (٦) الصلاة والصوم بالروح والحق (٧) العطاء بسخاء (٨) الصبر (٩) الشجاعة الادبية (١٠) الامانة والثبات الى الموت

(جمعيات الصليب الاحمر التابعة لجيش الكنيسة

ومتطوعو الجيش)

ا ن كان لابد للجيش من رجال مخصصين ومكرسين لاداء الخدم المتنوعة المتعلقة به فلا يستغنى جيشنا عن المتطوعين وعن المساعدات التي تاتيه من الخارج ويدخل فى عداد المتطوعين الجمعيات والاشخاص الآتي ذكرهم

(١) الجمعيات الدينية القبطية للوعظ والتعليم والتبشير

(٢) جمعيات الاعتدال ضد المسكرات والمخدرات

(٣) فرق الكشافة المسيحية وجمعيات الاسعاف وجمعيات منع تجارة الرقيق الابيض وجمعيات العفاف والفضيلة وكل هيئة تعمل لمحاربة الفساد والنجاسة

(٤) جمعيات الشبان المسيحيين

(٥) جمعيات ترغيب الشبان فى الزواج وتسهيل وسائله لان على الزواج يتوقف نمو الطائفة وسلامة شبيبتها جسدياً وروحياً ومن ضمن الموانع المغالاة فى المطالب والاسراف الباهظة فى نفقات الزواج فننصح الشبان والشابات واولياء امورهم بمراعاة الاقتصاد والاعتدال

(٦) جمعيات السيدات لترقية الجنس اللطيف ودرس حالة المرأة القبطية وتطورها الاجتماعي ورسم احسن الخطط لتبقى المرأة القبطية محتفظة بصيتها وحشمتها اللذين يضرب بهما الامثال متمسكة بالعادات القديمة الحسنة والآداب الشرقية مع اقتباسها افضل العادات الغربية ومنع تيار التقليد الاعمى والافراط في الازياء والتبرج

(٧) جمعيات الاحسان لسد حاجات الفقراء وتسهيل وسائل الرزق والتعيش امامهم وتمكينهم من مساعدة انفسهم بأنفسهم

(٨) ملاجىء الايتام والعجزة

(٩) المدارس العلمية والصناعية

(١٠) المجلات الدينية والملية والاخلاقية

(١١) التطوع الانفرادي للخدمة في الجيش كل حسب موهبته وظروفه وتشمل هذه الخدمة الانتظام في سلك الجمعيات المختلفة والوعظ والارشاد والقاء المحاضرات الادبية والاخلاقية والطبية وتأليف وترجمة الكتب الخ

(١٢) التبرع بالمال اذ ان المال اساس كل عمل وبدونه لا تقوم قائمة لاي مشروع

ولتكليل هذه الاعمال بالنجاح يجب ان يراعي الافراد والجمعيات القواعد الجوهريه الآتية :

اولاً — انكار الذات والتضحية بحيث تفنى ذاتية كل فرد وتتلاشى امام المجموع وينبني على ذلك نبذ الشخصيات وعدم الاهتمام بالمظاهر الكاذبة والفخر والشهرة والالقاب والوظائف الموهومة وان لا يبخل الفرد على كنيسته وابناء جنسه بماله ووقته ومواهبه ويفرح ويتهلل عند ما توجه اليه الانتقادات والاهانات من اجل البر ويضحي ولو بحياته عند اللزوم

ثانياً — الثقة بالله والثقة بالنفس فيجعل المتطوع اتكاله اولاً على الله القادر على كل شيء والمدبر لشؤون كنيسته. وبهذا الايمان الثابت يقوى ايمانه فى نفسه ويعمل بعزيمة ثابتة

ثالثاً — الثبات فلا يثنيه عن عمله فشل ولا صعوبات او عراقيل توضع في طريقه ولا ييأس مطلقاً ولا يحفل بمن يثبط همته فاما ان يكون المثبط ضعيف العزيمة فلا يصح ان يقتدى به واما ان يكون عدواً للكنيسة ولا ينتظر من عدو نصحاً واخلاصاً مهما تظاهر بالطيبة وحب الخير

رابعاً — ان يتولى قيادة الجمعيات والمشاريع العامة اشخاص ذوو شخصية بارزة — لقد قيل ان رجال الشرق وبنوع مخصوص الاقباط يصلحون افراداً ولا يصلحون جماعات وذلك بسبب

الانانية والانقسام ولكن الشرق تطور وغرست فيه روح الشورى وبدأ رجاله ينجحون جماعات وانما لابد للجماعة من قائد متوافرة فيه صفات الزعامة ولا نجاح بدون زعيم قادر

خامساً — ان تطبع كل جمعية او مشروع بالطابع الوطنى القومي طابع كنيستنا القبطية الوطنية المصري المستقلة من بدء تاريخ الديانة المسيحية والتي هي اكبر كنيسة فى مصر وقارة افريقيا فلا نجعل لاجنبي تداخلاً فى شؤوننا الدينية او سيطرة عليها او نسمح له بمس هذا الاستقلال او بمس كرامة كنيستنا المجيدة

(اركان حرب جيش الكنيسة)

يقود جيشنا ثلاثة اصناف من الضباط يختلف مقدار العدد الذى يقوده كل منهم باختلاف رتبته وهذه المراتب الثلاث هي القس او القمص ثم يليه الاسقف او المطران ثم البطريرك

فالقس او القمص يقود افراد الشعب فى القرية او البلدة الموجودة فيه الكنيسة المعين قساً او قمصاً عليها

والاسقف او المطران يقود كل الشعب الموجود في الابروشية المعين عليها اسقفاً أو مطراناً وتحت امرته كل قسوس الكنائس التابعة لابروشيته

والبطريرك بصفته اسقفاً يقود مباشرة الشعب التابع لمركز البطريركية وفي الوقت نفسه يقود باقى شعب الكنيسة وتحت اشرافه الاساقفة والمطارنة بصفتهم شركاء له ومساوين في الرتبة وبعبارة اخرى القس أو القمص هو ضابط الاورطة وان اجتمع القس والقمص فالتقدم في الكرامة للقمص ويعاون القس والقمص الشمامسة.

والاسقف أو المطران هو قائد الفرقة المتكونة من جملة اورط وان اجتمع الاسقف والمطران فالتقدم في الكرامة للثاني.

والبطريرك هو المشرف العام والمتقدم بين اخوة فلا يجب ان ينفردوا عنه بعمل كما لا يجوز ان ينفرد عنهم بعمل أيضاً الا للضرورة (بند ٢٤ للرسل وبند ٩ لمجمع انطاكيا)

ولابد لكل مرتبة من هذه المراتب الثلاثة من اركان حرب يساعد القائد

﴿ اركان حرب القس أو القمص ﴾

أما اركان حرب القس او القمص فيكاد يكون معدوماً الآن في كنيستنا اذ لاتوجد هيئة معينة من اعضاء الكنيسة تساعد القس في تدبير سياسة الكنيسة التي يقودها وقد يوجد احياناً ناظر كنيسة او جمعية من الجمعيات الخيرية أوبعض كبار رجال الكنيسة يساعدون القس ولكن مساعدتهم محصورة في بعض من فروع القيادة فضلاً عن ان هذه المساعدة ليست بطريقة دائمة ومنتظمة فلا بد من تعيين هيئة دائمة مخصصة لمساعدة القس مساعدة مستمرة وهذه الهيئة تنتخب من كبار ابناء الكنيسة المشهود لهم بالتقوى والمقدرة والغيرة ويمكن تسميتها مجلس الكنيسة أو أي اسم آخر يتفق مع هذا الغرض وتكون مأموريتها حصر اعضاء الكنيسة سنوياً رجالاً ونساء واولاداً وبنات وافتقاد العائلات ومعرفة من يتخلف عن الحضور للكنائس واسباب التخلف وحث الناس على العبادة وحصر اموال الكنيسة واوقافها ونذورها ومراقبة توزيعها في اوجهها المرعية وفض الخلاف الذي يحصل بين اعضاء الكنيسة وعمل الصلح بين العائلات وجمع الاموال اللازمة للكنيسة مما يتعلق بسياستها

﴿ اركان حرب الاسقف أو المطران ﴾

(١) المجالس الملية الفرعية

(٢) المجامع الاقليمية

وسنتكلم عن ذلك عند الكلام عن اركان حرب البطريرك

(اركان حرب البطريرك)

(١) المطارنة والاساقفة وعقد المجامع في السنة مرتين حسب ما نصت القوانين

(٢) تشجيع المجلس الملى العام وتنفيذ قراراته التي تنشط وتصلح نظام الكنائس وتعزز قواعد الديانة وتوفر المال وتنمي ريع الاوقاف

(٣) المجمع الا كليريكى العام والاقليمي والادارة الدينية المعدومة

بدأ نظام المجامع في الكنيسة المسيحية من عهد الرسل والتاريخ حافل باخبار المجامع المسكونية وما ادته للمسيحية من الخدم العظمى خصوصاً المجامع المسكونية الثلاثة الاولى وقد قضت قوانين كنيستنا القبطية بعقد المجامع الاقليمية والمجامع العمومية

سنوياً للنظر في شؤون الطائفة الملية وسياسة الكنيسة الروحية
ولكن من الاسف قد اهملت هذه القوانين في ايامنا وقلما يعقد
مجمع اللهم الا اذا كان لمحاكمة اسقف أو مطران مع انه لا يوجد
وقت الزم لهذه المجامع من وقتنا الحاضر وحولنا عدة طوائف
وارساليات تعمل في تقطيع اوصال كنيستنا ولا غنى لنا عن التشاور
والتعاون لصد هذا التعدي خصوصاً وان بعض هذه الطوائف
اخذت انظمة مجامعنا تحارب بها كنيستنا ونحن لا نحرك ساكناً
فما هي الحكمة في عدم تنفيذ قوانين كنيستنا ؟ كفانا ياقوم نوماً
فقد صرنا هزأ وسخرية ومطمعاً لمختلف الطوائف كبيرها
وصغيرها ونحن اكبر طائفة في مصر واصحاب اعظم كنيسة
وعندنا كل الظروف والمزايا المساعدة لو اننا عرفنا كيفية استخدامها
ما الذي يكلفه عقد المجامع الاقليمية في كل ابرشية من اسقفها
وكهنتها والعمومية من كافة الاساقفة ووكلاء الشرائع سنوياً لتنظر
كل ابروشية برياسة الاسقف او المطران في ترقية شؤونها الخاصة
وتنظر الابروشيات معاً برياسة غبطة البطريرك فيما يؤول لترقية
شؤون الطائفة العامة ؟ فهل يجد ندائي هذا قبولاً لدى حضرات
الرؤساء فينفذون قوانين الكنيسة ويفتحون السنة القبطية
المقبلة باول مجمع اكليريكي للنظر في امور الطائفة ؟

(٤) المجالس الروحى

يوجد بالدار البطريركية مجلس روحي مختلطة اختصاصاته باختصاصات الديوان البطريركى وظيفته قاصرة على تحقيق الشكاوى ضد رجال الاكليروس التابعين لمصر ونقلهم وزيادة مرتباتهم وبعض اعضاء المجلس اعضاء في المجلس الملي العام ومجلس مصر الفرعي

ونحن نريد هيئة تنفيذية دائمة ذات سلطة واسعة تكون بمثابة مجمع الكرادلة لدى الكنيسة البابوية أو الادارة العامة للارسالية الامريكية بمصر للنظر في كل سياسة الكنيسة العامة وليس من الضروري ان تكون كل هذه الهيئة مشكلة من الاباء الروحيين فقط بل يحسن ان يضم اليها بعض العلمانيين من ذوي الرأى الصائب والذمة الطاهرة والغيرة الدينية على الكنيسة ولا يوجد مكان اليق لهذه الهيئة من سراى المدرسة الاكليريكية في جو العلم والسكون والنزاهة بعيداً عن الضوضاء والمؤثرات ولتكن مأمورية هذه الهيئة تشمل ما يأتي

(١) وضع الانظمة والقواعد العامة لوحدات جيش الكنيسة من مدارس وجمعيات وكنائس ومجالس وتنظيم العلاقات بين هذه الوحدات لنوال اعظم فائدة للمجموع ورفع التنافس المضر

(٢) تحديد المواعيد لعقد المجامع الاقليمية والعامة والنشر عنها وتحضير المواد التي تكون موضوع البحث

(٣) ترشيح الاشخاص اللائقين للوعظ والتبشير والخدم الكهنوتية المختلفة لتوزيعهم على الجهات

(٤) وضع القواعد للتعليم الديني في مدارس البنين والبنات والموافقة على الكتب الغريبة التي تدرس فيها

(٥) تحضير دروس الاحد وطبعها

(٦) تتبع اعمال المرسلين والكنائس التي تسعى في هدم الكنيسة القبطية ودرس خططهم المتنوعة والمرامي التي يرمون اليها ورسم خطط تحول دون تنفيذ مآربهم

(٧) مراجعة تنفيذ قوانين الكنيسة والخطط التي ترسم بكل دقة ونظام

(سياسة الكنيسة)

هذه السياسة على قسمين — داخلية وخارجية

أما السياسة الداخلية فتدور حول الاغراض والقواعد الآتية

اولاً — رفع شأن الاكليروس واعلاء مكانتهم بتعليمهم وتوفير أسباب التعيش لهم وعدم تعيين اكثر من اللازم منهم في جهة من الجهات ومنع تجولهم وراء الرزق والاستفادة من الرهبان المتعلمين ورجال الدين الزائدين عن حاجة الكنائس واستخدامهم في التبشير في الجهات المحرومة منه ومنع خروج رجال الدين في

الجنازات الا اذا كان بلا مقابل خصوصاً اذا كان الميت فقيراً

ثانياً — غرس روح النزاهة وعدم التحيز والمحاباة في ابناء الكنيسة والقضاء على الرجاء والمحسوبية والسيمونية خصوصاً بين رجال الدين وان يضع كل واحد نصب عينيه ان الغرض من الوظيفة الدينية ليس جمع الثروة وتكديس الاموال وانما الراعي التقي يكتفي بما يقوم باوده واود اسرته وما يزيد على ذلك ينفقه على كنيسته

ثالثاً — ان تجعل الادارة الاكليروس دائماً في صف الشعب فكل انقسام بينهما يؤدي الى الخراب ويستفيد منه خصوم الكنيسة

رابعاً — تعميم التعليم الديني والوعظ خصوصاً بين الصغار ويندمج تحت هذا الطلب تربية الفتاة تربية دينية ونشر مدارس الاحد

ولمعرفة مقدار الاهمية العظمى التي تعلقها الارسالية الامريكية في مصر على مدارس الاحد في نشر المذهب البروتستانتي ارجو القارىء ان يطالع ماينشر في مجلة الهدى لسان حال الارسالية الامريكية بمصر تحت عنوان « مدرسة الاحد » واثبت هنا مقتطفات منه وردت في العدد ١١ سنة ١٤ « قف ايها الراعي أمام هولاء الاولاد والبنات وضع نظارة مكبرة على عينيك

تراهم . . . . . . كنيسة جديدة تضم عن قريب الى كنيستك الحالية فيتسع نطاق الحظيرة التي أنت راع عليها . وهي حقيقة لاتحتاج الى برهان اذ لاشيء يبهج قلب الراعي ويهون عليه اتعابه في الدرس والتأليف والبحث والتنقيب في بطون المجلدات الا تزايد عدد اعضاء كنيسته .....

فاعتن (ايها الراعي بالحملان لانها الخراف والاغنام غداً) وهكذا من معنى هذا التحريض والاغراء

فاقرأوا ايها الاقباط هذه الاقوال بامعان ولا تمروا عليها مروراً سطحياً وافتحوا عيونكم وعلموا اولادكم مذهبهم القويم

خامساً — ان تتبع في سياسة الكنيسة قاعدة تفضيل الاهم على المهم

سادساً — العمل على اعادة هيبة الكنيسة وسلطانها على بنيها

لقد اضعف هيبة الكنيسة عدة عوامل منها

عدم استعداد الاكليروس كما يجب وعدم الاحترام لانفسهم ولمقام وظائفهم وطعن البروتستانت في السلطان الرعوي الممنوح من الله لسفرائه ووكلاء سرائره — والطعن على شخصية رجال الاكليروس وتحقيرهم وتشويه سمعتهم بحق او بغير حق سواء كان ذلك من ابناء الشعب المتطرفين اومن غيرهم ممن يقصدون تنفير ابناء الكنيسة من رعاتهم ومن كنيستهم ليخلو لهم الجو

في اختطاف الاقباط . والغلطة الفاحشة التي ارتكبها رجال الاصلاح القبطي هي نفى غبطة البطريرك في عصر لورد كرومر التي استفاد منها خصوم الكنيسة الذين يهمهم جداً الحط من كرامة رجال الدين ووجود الخلاف والشقاق بينهم وبين الشعب لينال الخصوم بغيتهم من الطائفة ويصطادوا في المياه العكرة ومنها الشكوك المتسببة من كثرة المذاهب وتعدد المعلمين والمفسرين الدينيين المختلفين

فيجب ان نسعى من طريق الايمان والقداسة والصلاة والصوم والعلم الديني في اعادة هيبة الكنيسة بالقوة التي كانت لها قديماً واظهار جمال تعاليم الكنيسة وعمق معانيها الروحية وازالة الشكوك عنها

سابعاً ان نعمل في النور لاننا ابناء النور ونخدم الحق فلا نلجأ الى الاساليب السرية المبنية على التكتم وعدم الصراحة والمكر والرياء والدسائس والمؤثرات الخارجية والاستهواء

ثامناً ـ ان نجعل رائدنا المحبة والسلام تشبهاً وعملاً بوصايا سيدنا فلا نلجأ الى وسائل العنف او الاكراه المادي او الادبي ولا نجعل للحقد والكره والتعصب المذهبي مجالاً فى نفوسنا

اما السياسة الخارجية فتشمل الآتى

اولا — الاهتمام بالكنيسة القبطية في النوبة والسودان

الـكنيسة الاصلية لتلك الاقطار من قديم الاجيال وجعلها في المقام اللائق بها ومساعدتها لتقوم بواجب التبشير المفروض عليها وتوسيع نطاق اعمالها

ثانياً — احكام صلات المحبة بين الكنيسة القبطية وبنتها الـكنيسة الحبشية وارسال الوفود لتلك الديار والتزاور بين الشعبين

ويراعى في انتخاب رؤساء ورجال الدين في السودان والحبشة وفلسطين ان يكونوا بنوع مخصوص من ذوى الامتياز فى الـكفاءة العلمية والاخلاقية وحسن الرأي والتدبير والسياسة

ثالثاً — اعادة روابط الوداد بين الكنيسة القبطية واختها الكنيسة السريانية — (راجع الخريدة النفيسة وطالع الرسائل الشيقة التي كانت تتبادل بين رجال كرسى الاسكندرية وانطاكيا) وبينها وبين الكنيسة الارمنية شقيقتها أيضاً وباقى الكنائس الارثوذكسية كالـكنيسة اليونانية ولا يخفى ان الـكنيسة المسيحية كانت قوة عظيمة غيرت معظم العالم المعروف من الوثنية الى المسيحية وقت ان كانت الكنائس متحدة . وكان للكنيسة اليونانية الارثوذكسية فضل لا ينكر في رواج الحركة العلمية الدينية في اوروبا فى القرن الخامس عشر بتأثير علماء اليونان الذين هجروا القسطنطينية وقت فتح الترك لها واستوطنوا اوروبا

واخذوا يبثون آراءهم فى جامعات اوروبا ولو ان الكنيسة اليونانية انتهزت الفرصة وقت ثورة لوثر لكان فى استطاعتها ضم معظم الذين خرجوا عن الكنيسة البابوية اليها

رابعاً — ايجاد حسن العلائق بين الكنيسة القبطية والكنيسة الانكليزية الاسقفية التي تقرب في الطقوس والعقائد من الكنائس الارثوذكسية والتى تعد الصديق الوحيد فى العالم البروتستانتي للكنيسة القبطية كما ذكرنا ومن حسن الحظ ان الكنيسة الانكليزية تسعى بجد واهتمام فى توحيد الكنائس المسيحية فلو انضمت هذه الكنيسة وحدها للكنائس الارثوذكسية لاوجدت نهضة دينية في العالم لا مثيل لها

خامساً — ايجاد حسن التفاهم بين الكنيسة القبطية وابنائها الذين خرجوا عنها فلا تزال هي امهم التى ارضعتهم لبان الايمان المسيحي ومهما سعت الام المستعارة في الحيلولة بين الام الطبيعية وبينهم وابعادهم عنها وتنفيرهم منها بكل ما استطاعت اليه سبيلاً فلا يزال الدافع الطبيعي الغريزى يدفع فريقاً من هؤلاء البنين المبعدين الى الشوق والحنين لامهم الحنون التي تذكرهم فى كل حين وبالرغم عن مساعي المتعصبين واعداء الخير نرى هذا الفريق يعطف على كنيسته الاصلية ويمدها بمساعداته الادبية والمادية دون ان تؤثر فيه تلك المؤثرات • وكان زعيم هذا الفريق العامل

المرحوم اخنوخ افندي فانوس. وتاريخ المرحوم ميخائيل افندى عبد السيد وكيل البروتستانت وصاحب الوطن القديم اعظم شاهد لانه كان انشأ مجلة الحق مع زميليه المرحوم يوسف بك منقاريوس وصاحب مجلة صهيون لهذا الغرض أى لتعزيز المذهب الارثوذكسي

وقد بدأ الآن كثيرون من الذين تركوا كنيستهم اثناء الغفلة يغيرون فكرهم من جهة تعاليمها التى صورها لهم المرجفون والمغرضون بصورة تخالف الواقع واخذ ينجلي لهم حسن وجمال تلك التعاليم وشرع طلاب الحقيقة منهم الذين لا يرضون بحكم وتسيطر الغير على عقولهم وضمائرهم فى امور تتعلق بخلاص نفوسهم فى التعمق فى درس عقائد الكنيسة القبطية بغير تحيز ولا محاباة بعيدين عن مغالطات المغالطين مستعينين بقوة الله ولا بد ان الله يرشدهم الى ادراك الحق

والاسئلة التي تجول فى افكار الكثيرين الآن هى « أيمكن ان الفرائض والاسرار التى سنها المسيح وامر وحتم بممارستها تكون مجرد علامات ومظاهر خارجية لا تقدم ولا تؤخر من جهة الخلاص او ينطوي تحتها معان واسرار روحية عميقة فعالة كما تعلم الكنيسة القبطية وهل يمكن ان تكون تعاليم الكنيسة القبطية المجمع عليها من جميع الكنائس الرسولية فى كل العصور مخترعة ؟ وهل يتيسر اجماع كل الشعوب والالسن افراداً وجماعات

على هذا الاختراع ؟ ومتى حصل هذا الاختراع وفي اي مدينة تم؟ وهل حصل مرة واحدة اوعلى جملة مرات ؟ وكيف يتفق هذا الاختراع مع الآيات الكتابية التي تدلل بها تلك الكنائس على صحة تعاليمها ومع احكام المجامع ومؤلفات آباء الكنيسة المعترف بنزاهتهم وصدقهم من الجميع ؟ وهل يسمح الله بحصول هذا الاختراع وان تنشأ كنيسة على اساس فاسد كاذب وتظل قروناً طويلة على هذا الحال ؟ وهل يعدم الحق انصاراً في كل هذه المدة فلا يحتجون على هذه الاختراعات الكاذبة ؟ والتاريخ يعلمنا ان الكنائس كانت واقفة بالمرصاد لكل من يخترع أى بدعة؟ واذا أمكن التسليم بجواز اجماع كل الكنائس واجماع اللاهوتيين في كل العصور على اختراع التعاليم الباطلة أفلا يؤدي بنا ذلك الى التسليم بامكانهم ايضاً تحريف كتاب الله ليتفق مع اختراعهم ونحن لم نتسلم الكتاب الا منهم وهم الذين جمعوه وحكموا بصحة وقانونية اسفاره ؟ وهل يسلم مسيحي بهذه النتيجة ؟ . ولماذا اقيد عقلي وفكري بتطاعن وآراء وتفاسير المذهب الجديد الذي — انتمى اليه واعدها كوحي لايقبل نقضاً ولا ابراماً ؟ ونفس زعماء مذهبي الجديد منقسمون على انفسهم ومختلفو الآراء وهل مذهبي الجديد يسير في نظرياته وتفسيره على قواعد وبراهين ثابتة او مايقوله في موضع ينقضه في اخروما ينكره قولاً يمارسه

عملاً ؟ وهل انا وصلت الى نهاية الحق بدخولي في المذهب الجديد ولماذا لا أعيد النظر فيه وادرسه واقارنه بمذهب كنيستي الاصلية وهل خلاص نفسي كان متوقفاً على ترك اباها واعتناق المذهب الجديد ؟ وهل جدي وجدتي وابى وامي الذين اقر واشهد لهم بالتقوى وسلامة الطوية والايمان الوطيد في الله هم هالكون لبقائهم متمسكين الى النهاية بكنيستهم القبطية ؟ وهل كل ابناء الكنيسة القبطية في الاجيال السابقة كذلك ؟ فان كان لا يجرأ أحد ان يقول بهلاكهم وبالعكس مذهبى الجديد يسلم ان الخلاص ميسور في الكنيسة القبطية (راجع الحاشية من صحيفة ٢٧٨ و ٢٧٩)

فما الداعي حينئذ لان اكون خارجاً عليها محارباً لها مساعداً خصومها على تقويض اركانها ولم لا اكون عضواً عاملاً مصلحاً فيها ؟ » الخ الخ

وبدون شك اذا فهم ابناء الكنيسة القبطية الذين خرجوا منها تعاليمها على حقيقتها من مصادرها الاصلية وادركوا معانيها ومراميها الروحية امكن رجوع كثير منهم الى احضان كنيستهم وان لم يرجعوا فعلى الاقل لايكونون من اعدائها

(قوة الجيش المعنوية)

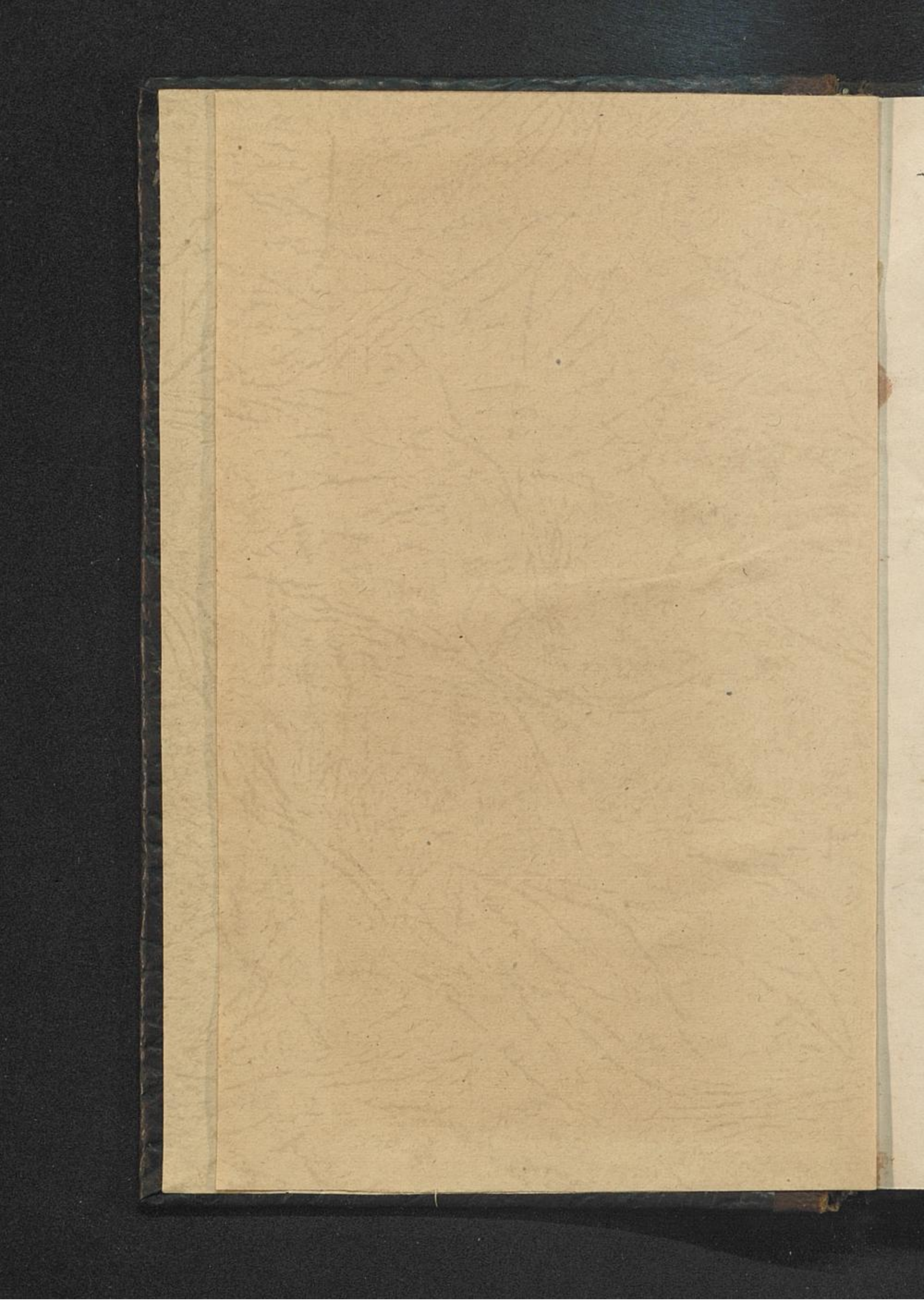
لا يوجد مركز تتجلى فيه الروح المعنوية والفوز بالنصر كمركزنا . فنحن اصحاب أقدم وامجد كنيسة في الشرق تعاليمها مؤسسة على الرسل والانبياء والمسيح نفسه حجر الزاوية لم تزعزعها بدع ولا حروب ولا اضطهادات بل ظلت ثابتة على مبدئها من العصر الرسولي وخرجت من وسط النيران حية سالمة نقية كالذهب المصفى . مذهبها المذهب الارثوذكسي المعتدل المستقيم الرأى ميزان الحق والحكم بين الكنيسة الكاثوليكية وبناتها الكنائس البروتستانتية يوقف الاولى عند حدها ويردها عن افراطها ويكبح جماح الثانية ويردها عن تفريطها . تاريخها في عالم المسيحية مجموعة مفاخر لا تجاريها فيها كنيسة اخرى . ثمرة تعاليمها الايمان الوطيد في الله والشهادة للمسيح بشجاعة والنسك والطهر والعفاف واقراض المحتاج بغير مقابل والاحسان والتفاني في السهر والصلاة والصوم والتعبد لله . تصوروا كنيسة مسيحية هذه حالها يتكالب عليها مختلف الارساليات وينهش في جسمها بغير شفقة ولا رحمة فاى قبطي بل أى مسيحي حقيقي لا تدفعه الحمية والمرؤة والنخوة الى الدفاع عن تلك البيعة المقدسة وتخليصها من انياب اولئك المهاجمين ؟ نحن في مركز مدافع ندافع عن بيعة الله

ندافع عن أمنا التي ولدتنا وغذتنا بلبان الايمان والتعاليم الصحيحة المستقيمة ندافع عن كنيسة آبائنا واجدادنا ندافع عن استقلالنا الديني ندافع عن شرفنا ندافع عن وحدتنا . ندافع عن آداب وعادات وفضائل كادت تندثر ندافع عن المسيحية العامة التي ضعفت في مصر بسبب انقسامها وتعدد مذاهبها .وطريقتنا تقوية الكنيسة القبطية كنيسة مصر وبقاء ابنائها ملتصقين بها عوضاً عن تمزيقها بواسطة الارساليات . ثم السعي في توحيدها وهيهات ان يتم ذلك التوحيد . طريقتنا مبنية على قاعدة الوقاية خير من العلاج

Prevention is better than cure

وهى الطريقة الناجحة المضمونة . نحارب التعصب المذهبى المحرك الاول للارساليات والدافع لها على هدم الكنيسة القبطية وفي رأس المحاربين معنا المسيح نفسه رئيس الكنيسة الذي يغار على كنيسته. في صفنا انصار الحق من كل مذهب الذين لا يرون معنى لهذه المجهودات العقيمة في تحويل القبطي من مسيحي الى مسيحي . في صفنا ضمائر أنفس اولئك المعتدين على كنيستنا ألا تراهم يضطربون اذا سألتهم عن السبب في سعيهم في هدم الكنيسة القبطية. دون باقي الكنائس المسيحية الموجودة في مصر وفي سائر العالم ؟ فلا تسمع منهم الا اجوبة متقطعة متناقضة

ألا تراهم لا يذكرون الحقيقة كلها حتى لمواطنيهم الذين يمدونهم بالمال؟ الذين لا يزال كثيرون منهم يتوهمون ان اموال التبرعات المدفوعة منهم تنفق على تبشير اقوام لا تؤمن بالمسيح بل ألا ترى كثيرين من المرسلين والمبشرين انفسهم يخجلون من الصاق تهمة هدم الكنيسة القبطية بهم ويحاولون التبرؤ من هذه الوصمة بكل ما استطاعوا اليه سبيلاً فاى مركز في الوجود اقوى من مركزنا وهل يخامر أحداً شك في النصر ؟





Goussen

Limāḏā yatruku al-aqbāṭ kanīsatahum

Buṭrus, Bāsīliyūs

[al-Qāhira], 1640 = 1924